التاريخ الإسلامي

— ٤ —

العهد الأموي

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة السابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ ـ هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ ـ هاتف : ١١١٦٣٧

عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ ـ هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

مُقدّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على دربه إلى يوم الدين وَبَعْد:

فإن تاريخ بني أمية قد أصابه الكثير من التشويه، وغدا كأنه قد حدث انفصال مباشر بين العهد الراشدي والعهد الأموي دفعةً واحدةً حتى أصبح الكثير من الناس يظنون أن الإسلام لم يُمكّن له إلا في العهد النبوي والراشدي، وإذا وصل الأمر إلى هذه النقطة زيد فيه وقيل إن الحكم الإسلامي لم يقم إلا في عهد رسول الله ﷺ والخليفتين الراشدين من بعده وبذا فإن ذلك الحكم يؤقت بأقل من ربع قرن، وقد تمكن أنصاره من ذلك بسبب الوضع البدوي السائد والحياة الاجتماعية البسيطة القائمة، أما عندما وصلت الحضارة إلى المدينة المنورة بعد الفتوحات التي حدثت، والاحتكاك بالحضارة الفارسية والرومانية فلم يعد الإسلام يثبت أمام تلك الحضارات، وقامت الخلافات بين صحابة رسول الله ﷺ، ويتمثل هذا فيما حدث بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، حيث يمثل الأول التمسك بالإسلام، ويمثل الثاني التأثر بالحضارة الرومانية حيث كان على تماسٍّ مباشر معها في بلاد الشام، وقد يكون تشويه تاريخ بني أمية لا يقصد به إلا ذاتهم إلا أن ذلك يمس الحكم الإسلامي أصلاً.

وقد طُعن بهذا العهد من جهات متعددة، طُعن به من جهة خصومهم السياسيين من بني العباس الذين دُوّن التاريخ في أيامهم، وطُعن به من جهة أعدائهم التقليديين من الشيعة والخوارج، وهم الذين ذاقوا على أيديهم

أعنف الضربات، وطُعن به من جهة أصحاب العواطف من المسلمين الطيبين الذين هالهم ما أصاب انتقال الحكم من شورى أيام الخلفاء الراشدين إلى نظام ملكي أيام الأمويين، وهو أمر على غاية من الأهمية، وصعُب عليهم ما نال آل البيت من نكبات، وما حلّ بالبيت الحرام من أذى، وما لحق آل الزبير من مصائب، وما قسا ولاتهم على المسلمين، وطُعن بالعهد من جهة العوام الذين لا يعرفون من التاريخ إلا ما تناقلته الألسن، وشاع بين الناس، وما تداولته الأيدي من كتب ـ الله أعلم بواضعيها ـ، هؤلاء جميعاً تكلموا عن الأمويين دون تفريق قد يكون بعضهم بقصد وآخرون من غير قصد، وروّجوا الشائعات التي أشيعت عن بني أمية من غير دراسة أو تحليل أو من غير إلقاء نظرةٍ فاحصة عامة، ثم غدت هذه الشائعات روايات حيكت بشكل مقبول، ونسجت خيوط الأخبار بصورة تدين بني أمية، وتصوّرهم بحالة من السوء كبيرة.

وساعد على قبول هذه الروايات محبة المسلمين جميعاً لآل بيت رسول الله ﷺ، وتعاطفهم معهم هذا بالإضافة إلى أن النفس البشرية تعطف دائماً على من تنزل به نكبة أو تحلّ به نازلة، فتتناقل الألسن المصيبة، وتزيد فيها حتى تصبح حزينة تدمى لها القلوب، وتبكي معها العيون، وتسير معها الأفئدة، وإذا كانت بعض هذه المصائب التي حلّت بآل البيت هي هكذا بل قد تكون أقسى وأصعب مما صُوّرت حتى الآن، ولكن كل مصيبة لا بدّ لها من دراسة وتحليل، وما وقع فيها من اجتهاد، وما حدث فيها من مبالغات وأخطاء، والتفريق بين أصول تطبيق منهج الإسلام وبين العواطف السطحية والمحبة الباردة.

وساعد على قبول مثل هذه الروايات لدى الناس تأخر أكثر بني أمية في قبول دعوة الإسلام حتى وقف أكثرهم في الصف المعادي تماماً للدعوة بل قادوا قريشاً لحرب الإسلام، وجيّشوا الجيوش، وحزّبوا الأحزاب ضد المسلمين، وكان على رأسهم أبو سفيان صخر بن حرب الذي تنتسب إليه الأسرة الأموية الأولى، وعندما أسلم قبيل فتح مكة يبدو واضحاً أن إسلامه

إنما كان خوفاً من السيف، وسار مع المسلمين إلى «حنين»، و«الطائف» والأزلام لا تزال في كنانته، وأعطي من الغنائم يومذاك الشيء الكثير هو وأولاده على أنهم من المؤلفة قلوبهم، هذه المواقف قد أنست الناس حسن إسلامه بعد هذه الغزوة مباشرة وتولية رسول الله ﷺ له على نجران، ووفاته عليه الصلاة والسلام وهو عنه راض، وإرسال أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، له إلى اليمن ليكون على الصدقات، وحسن صنيعه في الجهاد، إذ سار مع الجيوش المجاهدة إلى الشام وهو شيخ كبير قد قارب السبعين من العمر، وموقفه في معركة اليرموك، وحثه أبناءه على الجهاد والتضحية في سبيل الله، وكان أبو سفيان في جيش ابنه يزيد الذي كانت وجهته دمشق فقال لابنه القائد قبيل المعركة: يا بنيّ عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفاً بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولّوا أمور المسلمين؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني، ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك. فقال: افعل ـ إن شاء الله[1].

ووقف أبو سفيان يوم اليرموك يحث المسلمين على القتال فقال: يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأعداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بازاء عدوٍ كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هي الحصون. ثم ذهب إلى النساء فوصّاهن، ثم عاد فنادى: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج٧.

رسول الله والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم، ثم سار إلى موقعه - رحمه الله[1].. وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول: الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم دارة الروم وأنصار الشرك، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك[2]. وقال سعيد بن المسيب عن أبيه: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد[3]. وانتصر المسلمون في اليرموك، وفقد أبو سفيان عينه الثانية، وكان قد فقد الأولى يوم حصار الطائف، وعاش بذلك بعد اليرموك كفيفاً، منقطعاً للعبادة، يخشى ما سبق منه أن صدّ عن سبيل الله. وكأن الناس قد نسوا أمثاله الذين كانوا لهم المواقف نفسها قبل إسلامهم بل منها ما هو أشد، ثم أسلموا، وأبلوا فأحسنوا، وكانوا قدوةً حسنة للمسلمين لم تطالهم الألسن بشيء أمثال خالد بن الوليد، رضي الله عنه، الذي قاتل المسلمين في كل ميدان، ووقف ضد رسول الله في كل موقف، ونال من المسلمين في أحد وربما كان السبب الرئيسي فيما حلّ بهم يومذاك، ثم أسلم، ويقول هو رضي الله عنه عن إسلامه وبيعته لرسول الله ﷺ: وبايعت رسول الله ﷺ، وقلت: استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صدٍّ عن سبيل الله، فقال «إن الإسلام يجبّ ما كان قبله»، قلت: يا رسول الله على ذلك قال: «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صدٍّ عن سبيلك»[4] وهذا ينطبق على خالد بن الوليد كما ينطبق على عمرو بن العاص، وأبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وزهير بن أبي أمية المخزومي، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحي وغيرهم.

وساعد على قبول هذه الروايات أيضاً موقف مروان بن الحكم مؤسس

---

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - ج٧ ص٩.
(٢) المصدر السابق. (٣) المصدر نفسه.
(٤) طبقات ابن سعد: ج٤ ص٢٥٢ - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٨ هـ.

الأسرة الأموية الثانية الذي برز فجأة ولم يعرف من قبل إذ كان عمره ثماني سنوات عندما توفي رسول الله ﷺ ظهر في أواخر أيام سيدنا عثمان بن عفان يشترك في بعض القضايا المهمة والخليفة يثق به ويوليه الكثير من المهام، وذلك على زعم المؤرخين، ودافع عن الخليفة عثمان رضي الله عنه دفاع المستميت، واشترك في معركة الجمل، وقاتل حتى اثخنته الجراح، وأدخل إلى أحد بيوت النساء ليداوى.

وساعد على قبول هذه الروايات الصورة المشرقة لسيدنا علي، رضي الله عنه، منذ نعومة أظفاره وفي بدء الدعوة والمعارك التي خاضها مع رسول الله ﷺ ضد المشركين واليهود في بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وحنين، فتعلقت به النفوس ـ وهو أهل لذلك ـ فقد كان بطل المشاهد ورجل الحروب. ومنذ بداية الخلافة الراشدة ووفاة رسول الله ﷺ بدأ يخبو نجمه ويخفت صوته بعد أن لمع وتألق كثيراً، وهذا اختفاء ظاهري لا حقيقي وذلك لأن الأنظار قد اتجهت نحو الفتوحات التي لم يشارك فيها علي، رضي الله عنه، لرغبة الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في إبقاء كبار الصحابة في مدينة رسول الله ﷺ يستشيرهم الخليفة، ويدعمونه، وقد كفاهم من جهادهم مع رسول الله ﷺ، وقد تألق قادة الفتح على حين لم يبرز في المدينة سوى الخليفة، والواقع أن مركز سيدنا علي، رضي الله عنه، لم ينزل أيام الراشدين فقد كان ساعد أبي بكر، رضي الله عنه، في أحلك الظروف وقت فتنة الردة، وساعدَ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ومستشاره، وواليه على المدينة عندما يخرج منها، وتُحال قضايا الفتوى إليه، وكان ساعدَ عثمان بن عفان، رضي الله عنه، يستشيره في الملمات ويأخذ رأيه إذا حزب الأمر. وادعى بعضهم أن الخلافة كانت تدفع عن علي دفعاً، ولما كانت النفوس متعلقة به وببطولته لذا فقد رأى بعضها أنه أحق الناس بالخلافة، وبررت رأيها بقرابته من رسول الله ﷺ، وبصفته ختنه، ولكونه أبا للحسن والحسين، رضي الله عنهما، وكأن الخلافة إرثاً يتوارثها الأقرباء بعضهم من بعض، وأن أكبر اعتراض على الأمويين

والعباسيين ومن جاء بعدهم اتخاذ الملكية نظاماً بدلاً من الشورى، ولم ينظر إلى علي، رضي الله عنه، أنه لم يكن يريد الخلافة أبداً وهذا ما يبدو من خطبه التي تنسب إليه «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقارّوا[١] على كظة[٢] ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة[٣] عنز»، وأن علياً، رضي الله عنه، كان لا يزال في مطلع الشباب فلم يزد عمره على الثلاثين كثيراً عندما توفي رسول الله ﷺ على حين كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم، في الستين أو ما يقارب منها، والعرب ترى في السن أثراً في تقدم القوم والرئاسة عليهم، ولم ينظر أيضاً إلى ما لقي رضي الله عنه من عنت أنصاره قبل خصومه، وهم الذين ادعوا حبه ونصحه، وكانوا أبعد ما يكون عن الطاعة أثناء الشدائد حتى تكرر في خطبه قوله «ولكن لا رأي لمن لا يطاع»، وحتى ملّهم، وكره العيش معهم، ورغب في مفارقتهم، فكان يقول: «اللهم إني قد مللتهم وملّوني وأبغضتهم وأبغضوني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني»، وما وجد منهم وجد أبناؤه كذلك مع دعوى أنصاره بحبهم أيضاً ورغبتهم في نصرة آل البيت وهؤلاء الأشياع قد ركّزوا على ما لقي من خصومه، ونسوا ما وجد منهم، وعلى كلٍ فإن ما لقي من متاعب، وما حلّ به من نكبات، وما وجد من نقض للعهود من أنصاره وخصومه على حدٍ سواء قد جعل المسلمين يميلون نحوه إضافة إلى حبهم الحقيقي له وميلهم الصحيح له فهو أهل لذلك، وهو سيد عصره بلا منازع، وأفضل من عليها يوم آلت إليه الخلافة.

---

(١) ألا يقارّوا: ألا يوافقوا مقرين.

(٢) الكظة: ما يعتري الآكل من الثقل والكرب عند امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق.

(٣) عفطة عنز: ما تنثره العنز من أنفها.

وساعد على نشر الشائعات ضد بني أمية ما كان من فتن في أواخر أيام الخليفة الراشدي الثالث سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بسبب فتنة ابن السوداء، عبد الله بن سبأ، ومؤمرات اليهود، ومظاهرة المجوس لهم، وكيد النصارى أيضاً، ونسب هذا كله إلى حكم الخليفة وسُمّي عجزاً، وإلى رغبة سيدنا عثمان في عدم الضغط على المسلمين وعدم أخذهم بالشدة، وسُمّي ضعفاً، على حين كانت شدة ولاته على أصحاب الفتن من جملة المؤيدات لأعدائه فحملوا عليهم، وعدوهم قساةً ظالمين، ولما كانوا من البيت الأموي فقد نسبوا إلى الخليفة تقريبه لأهل بيته، وممالأتهم، وقد تحمل الخليفة، رضي الله عنه، تبعة ذلك، وسبحان الله فالحليم ضعيفاً والقوي ظالماً! فمن هو المرغوب فيه؟ ونُظر إلى سيدنا عثمان وكأنه ليس بالخليفة الراشدي، ونُسي إصهار رسول الله ﷺ له، ومواقفه في الدفاع عن الإسلام بالمال والنفس، ويوم الحديبية، وساعة العسرة، وفتوحاته في أول عهده، والرخاء الذي أصاب المسلمين جميعاً في بداية أمره، وكيف كان يواسي المسلمين بماله، ويسعفهم من أملاكه، ولم يذكر منه إلا ما كان في أواخر أيامه يوم حدثت الفتن، وعمت الفوضى.

وساعد في إظهار معايب بني أمية الخلاف الذي جرى بين علي ومعاوية، رضي الله عنهما، وقد اجتهد كل منهما لمصلحة المسلمين والسير على الطريق الصحيح وإن كنا نرى أن الخليفة الشرعي هو سيدنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ولا يحق لوالٍ من الولاة أن يعارض الخليفة، ويدعو إلى قضية هي من حق الخليفة وحده، إلا أنه قد اختلط عليه بسبب الفوضى وسيطرة المشاغبين على المدينة المنورة، إلا أن أنصار علي، رضي الله عنه، أو من يدعون ذلك قد أبعدوا عن معاوية، رضي الله عنه، كل مكرمة، ونسوا صحبته، وكتابته للوحي، وفتوحاته، وتقديره لسيدنا علي، رضي الله عنه، في حياته ومماته ـ وهو ما سنتعرض له في الصفحات القادمة ـ إن شاء الله ـ،ونسبوا إليه لعنه وتحقيره وهو أمر لا يقبله مؤمن، ولا يصدقه مسلم.

وساعد في قبول هذه الروايات النكبات التي حلت بآل البيت بل التي توالت عليهم، فحادثة كربلاء التي تعدّ فاجعة كبيرة نزلت بآل البيت وذهب فيها بطلها سيدنا الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وأكثر إخوانه وأبنائه، وهو أفضل من عليها يومذاك، وإذ كان الحسين، رضي الله عنه، مجتهداً في خروجه إلا أن ذلك الخروج ليس له ما يبرره من الناحية الشرعية، كما أنه ليس بالصحيح من الناحية السياسية والعسكرية والاجتماعية، فجماعته لا تزيد كثيراً على المائة أكثرها من النساء والأطفال تخرج إلى مكان تعم فيه الفوضى ليقوم زعيمها هناك بالثورة ضد الحكم الضعيف، ويحمل لواء الجهاد ليعمل على تطبيق المنهج الإسلامي بشكل أكثر سلامةً، وتتوقع هذه الجماعة القتال والصدام بوالي بني أمية الذي يملك الأمر بشكلٍ قويٍ، ويقسو على أنصارها بكل شدة وإذا نظرنا إلى ما فعله جيش بني أمية بل أحد ولاتهم في هذه الحادثة ألا يجب أن ننظر إلى ما فعله أولئك الذين دعوا سيدنا الحسين للخروج إليهم، ثم تخلّوا عنه ساعة الشدة، وسلموا رسوله، ابن عمه، مسلم بن عقيل وقت الضيق، بل انضم أكثرهم إلى الجيش الذي قاتل الحسين، وشاهدوا مصرعه، ولم ينصروه، ألا يعدّ أولئك هم القتلة الحقيقيون له! وهذا ما يدل على أن الذين تولوا كبر هذه الفاجعة إنما هم الذين سجلوها بهذه الصورة فذكروا ما فعلت خصومهم ونسوا ما اقترفت أيديهم هم منها، فلم يسجلوا خيانتهم له، ومشاركتهم في قتله وأنصاره وأهله. وإضافة إلى فاجعة كربلاء كانت ثورة زيد بن علي بن الحسين، رضي الله عنهم، في الكوفة عام ١٢٢ أيام خلافة هشام بن عبد الملك، وكما سلّم أهل هذه المدينة الحسين بن علي سلّموا كذلك حفيده زيد، وقد دعوه للخروج، وحثوه على ذلك فلما قام تخلوا عنه ورفضوه، ومنذ ذلك الوقت عرفوا باسم الرافضة، وزيد هو الذي أطلق عليهم هذا الاسم، وبعد كل هذا لم يرعووا ولم يتفكروا بل قاموا يعلنون توبتهم بعد كل حادثة يرتكبونها، فهم الذين أعلنوا عدم الطاعة لسيدنا علي، وأجبروه مرات كثيرة على ما لم يرد حتى ملّهم، ثم توانوا عن نصرة سيدنا الحسن، وتباطؤوا في القتال حتى رأى أنه لا بدّ من مبايعة سيدنا معاوية،

ثم بدؤوا يظهرون اللوم والتأفف وإذا كانت أئمتهم قد بايعت فما عليهم إلا البيعة والقبول بالخليفة الجديد، وإذا نسبوا لأئمتهم العصمة فكيف يرفضون ما عمل هؤلاء الأئمة، وما قاموا به، ولم يقبلوا عليهم طائعين راضين؟ ثم تخلوا عن الحسين، وعن زيد بعد أن دعوهم للخروج، وأظهروا لهم التأييد ومما يلاحظ أثناء دراسة كتب التاريخ التي بين أيدينا أن الخوارج قد حلّت بهم النكبات أكثر مما حلّت بآل البيت، وأن ما فيها من المآسي أكثر مما في تلك، ومع ذلك فقد سُجّلت حروب الخوارج على أنها ضرورة اقتضتها ظروف الدولة، وكان الحق بجانب الحكم، على حين صوّرت ثورات آل البيت بأن الحق مع الخارجين وأن الدولة ظالمة لهم بعيدة عن تطبيق الشرع، فكيف هي عادلة في جانب وظالمة في آخر؟ وتطبق الإسلام مع فئة وتخالفه مع ثانية؟ على حين أن الخوارج يطلبون أن تكون الخلافة في الصالح لها، ويطالبون بتطبيق الإسلام هذا خطهم العام مع ما فيه من مخالفات أخرى معروفة يكفرون فيها المسلمين الذين لا يرون رأيهم، ويعدّون العصاة خالدين في النار، أما الشيعة فيطالبون بالتسليم لآل البيت بالحكم على أن يكون فيهم متوارثاً بينما ينتقدون الحكم الوراثي إذا كان في غير من يدعون لهم، هذه الحقائق تجعل أصابع الاتهام تتجه إلى ناحيةٍ معينةٍ وتشير إلى جهةٍ خاصةٍ كان لها دور كبير في تسجيل أحداث التاريخ المغلوطة التي شاعت بين الناس حتى غدت عند أكثرهم حقيقة.

وساعد على قبول الشائعات ضد بني أمية ما نال أنصار علي، رضي الله عنه، من بعده، فقد قتل عدد منهم بصورٍ مختلفة، ولعل من أبرزهم حجر بن عدي، وقد كان مقتله في مرج عذراء شمال شرقي دمشق على بعد خمسة وعشرين كيلاً منها، واختلفت الروايات في قتله، واتهم سيدنا معاوية في ذلك.

وساعد في قبول هذه الروايات شدة بعض ولاة بني أمية أمثال زياد بن أبيه الذي أخضع الكوفة والبصرة وما حولهما، وابنه عبيد الله الذي سار على خطة أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي الذي اشتد لتوطيد سلطان

بني أمية، وضربت بهما الأمثلة في الظلم، وقتل الرجال، إلا أن نظرة واحدة إلى هؤلاء الولاة تنبئ أن من ضرب به المثل إنما كانوا ولاة على العراق فقط، وذلك لما عمّ ذلك المصر من فوضى واضطرابات، فإذا جاءهم الوالي الرحيم استضعفوه وقاموا بالحركات، وإذا جاءهم القوي استهابوه وخافوا منه، وسمعوا منه وأطاعوه، واستقر الوضع، وهدأت الأمور، فكان لا بدّ للوالي الذي يلي أمورهم من أخذهم بالشدة، ومسكهم بالحزم والقوة حتى يستقر له الوضع، وتستمر له الولاية، وتتم له الهيبة، ويسود الأمن، ومن سار على هذه الطريقة وهي مطلوبة روّجوا الشائعات ضده، وذكروا ظلمه، وشدة بطشه، ونسوا ما لقيت الرعية في هذا الإقليم من جور، وما نالها من ظلم بسبب أهل الفتنة، فلما تولى أمر البلد زياد بن أبيه أخذهم بالشدة فاستتب الأمن، فلقد خاطب أهل البصرة خاصة والعراق عامة في أول خطبة له بعد أن تسلم أمرها خطبته المشهورة بالبتراء وقد جاء في بعض فقراتها «إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، وشدة في غير جبرية وعنف، وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم. إن كذبة المنبر تبقى مشهورة، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتي، وإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ واعلموا أن عندي أمثالها، من بُيِّت منكم فأنا ضامن لما ذهب له، إياي ودَلَج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجّلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليّ، وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرّق قوماً غرّقته، ومن حرّق على قوم حرّقناه، ومن نقب بيتاً نقبت قلبه، ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً، فكفّوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف يدي وأذاي، لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه.

وقد كانت بيني وبين أقوام إحن، فجعلت ذلك دَبْرَ أذني، وتحت

قدمي، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته. إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له ستراً، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئسٍ بقدومنا سيُسَرّ، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس، قد أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوُلنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولّينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم. واعلموا أني مهما قصّرت عنه فإني لا أقصّر عن ثلاث، لست محتجباً عن طالب حاجةٍ منكم ولو أتاني طارقاً بليل، ولا حابساً رزقاً ولا عطاءً عن إبّانه، ولا مجمّرا[1] لكم بعثاً. فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى تصلحوا يصلحوا. ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم لكان شراً لكم.

أسأل الله أن يعين كلاّ على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله، وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي[2].

وكان زياد أول من شدّ أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدّم في العقوبة، وجرّد السيف، وأخذ بالظّنة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً حتى أمن الناس بعضهم بعضاً، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها، وساس الناس سياسة لم ير مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحداً قبله، وأدر العطاء، وبنى مدينة الرزق[3].

---

(١) تجمير الجند: حبسهم في أرض العدو، ومنعهم من العودة إلى أهليهم.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٢١٩ ـ ٢٢١ طبعة دار المعارف بمصر ـ القاهرة.

(٣) المصدر السابق ص٢٢٢.

وقال الحجاج عندما وصل إلى الكوفة والياً عليها، وهو على منبر مسجدها:

«أنا ابن جلا وطلاع الثنايا.

متى أضع العمامة تعرفوني[1]

أما والله إني لأحمل الشر محمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى.

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا والقوس فيها وتر عردُ

مثل ذراع البكر أو أشدّ لا بدّ مما ليس منه بدّ

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفّها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وضم[2]

قد لفّها الليل بعصلبي[3] أروع خرّاج من الدوي[4]

مهاجرٍ ليس بأعرابي

ليس أوان يكره الخلاط جاءت به والقُلص الأعلاط[5]

تهوي هُويّ سابق الغطاط

وإني والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين، ولا يقطع لي بالشنان[6]، ولقد فُررت عن ذكاء، وجريت إلى الغاية القصوى. إن أمير المؤمنين، عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً، فوجّهني إليكم؛ فإنكم طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم

---

(١) البيت من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي.

(٢) الوضم: كل ما يقطع عليه اللحم.

(٣) العصلبي: الشديد القادر على العمل والمشي.

(٤) الأرض الفضاء التي يسمع فيها خف الإبل كالدوي.

(٥) الأعلاط: الإبل التي دون أرسان. (٦) الشنان: القربة البالية اليابسة.

سنن الغي، أما والله لألحوَنّكم لحو العود، ولأعصبنكم[1] عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل. إني والله لا أعِد إلا وفيت، ولا أخلق[2] إلا فريت[3]. فإياي وهذه الجماعات وقيلاً وقالا، وما يقول، وفيم أنتم وذاك؟ والله ولتستقيمن على سبل الحق أو لأدعن لكل رجلٍ منكم شغلاً في جسده. من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه، وأنهبت ماله».

واستقر الوضع بالعراق لبني أمية بهذه الشدة التي ساس فيها الحجاج الناس، وبعد أن ضعفت سلطة بني أمية فيها بعض الشيء بعد ولاية زياد بن أبيه، وما كان الوضع في هذا المصر ليستقيم لولا هذه الشدة، بل لانتشرت الفوضى وما كان المسلمون لينصرفوا إلى الفتوحات والجهاد لولا استقرار الأوضاع في أمصارهم وأقاليمهم كافة، أو ما كان الإسلام لينتشر في عهد بني أمية لولا استقرار الأمن والأوضاع بفضل هؤلاء الولاة وأمثالهم فقد عرفت الفتوحات أوجها أيام الحجاج فهو الذي سير محمد بن القاسم الثقفي إلى السند، وقتيبة بن مسلم الباهلي إلى بلاد ما وراء النهر، وانتشر الإسلام أيامه أكثر من أي وقت في العصر كله باستثناء أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

وصحيح أن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير وهو من أهل العلم وكبار التابعين، وكان سعيد قد اشترك في حركة ابن الأشعث التي كادت أن تُجزّئ الدولة، وتهب عليها رياح الفتن.

وساعد في قبول هذه الروايات ضد بني أمية معركة الحرة التي جرت في أواخر عام ٦٣هـ أيام يزيد بن معاوية، وكان جيشه بقيادة مسلم بن عقبة المري، فقد استباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من أهلها ما قتل ثم سار إلى مكة المكرمة لحصار ابن الزبير فيها ولكنه مات في الطريق، وتولى أمر جند الشام بعده الحصين بن نمير فحاصر مكة إلا أن نعي يزيد قد جاءه ففكّ الحصار.

---

(١) أعصبنكم: أقطعكم.
(٢) أخلق: أقدر.
(٣) فريت: أصلحت.

ولما قوي ملك بني أمية مرة أخرى بالشام، جاء الحجاج بن يوسف الثقفي وحاصر مكة، وضرب الكعبة بالمنجنيق، وقتل ابن الزبير، ودخل البيت الحرام، وهذا ما يثير المسلمين لما لابن الزبير من فضلٍ، وما للحرم من حرمةٍ، وما للكعبة من قدسيةٍ، ومع هذا فإن هذه الحادثة تبقى دون فاجعة كربلاء من حيث التسجيل وإثارة المسلمين، إذ سجلت كل منهما بأسلوب الأمر الذي يوضح الأيدي التي سجلت أحداث التاريخ لهذه المدة من الزمن أو ذلك العهد من العصر الإسلامي.

لقد استغل خصوم بني أمية هذه الأحداث التي وقعت في عهدهم، واستفادوا من بعض الحوادث التي سبقت عصرهم فعملوا على تشويه التاريخ بشكل عام.

شنّ هؤلاء هجوماً عنيفاً على بني أمية حتى أخرجوهم من الإسلام، وكان هجومهم على الخلفاء والولاة والأعوان، لم ينج منهم الصحابة، بل لم ينج منهم حتى أولئك الذين كانوا من أنصار سيدنا علي، رضي الله عنه، إذا بدا الضعف في بعض مواقف لهم أمثال أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، وعدّوا الراشدين، رضي الله عنهم، أنهم تآمروا على سيدنا علي فأبعدوا الخلافة عنه، واستبدوا بها، لذا فقد نالهم من سموم المفترين ما نالهم، وقالوا عنهم أقوالاً ما قالها أحد من ألدّ أعدائهم، على حين أن أولئك الذين كانوا سبباً في الفوضى، ومن زعماء الشغب أمثال الأشتر النخعي قد ناله من الثناء ما ناله، لدعمه لسيدنا علي، ولوقوفه بجانبه وقتاله معه.

لقد سلّطوا الأضواء على بني أمية قبل إسلامهم، ولم يسلم منهم الذين أسلموا منذ بدء الدعوة من بني أمية أمثال عثمان بن عفان، وسعيد بن العاص، وخالد بن سعيد بن العاص، وعمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم جميعاً. لقد وجهوا سمومهم ضد أبي سفيان صخر بن حرب على أنه كبير الأمويين، وعدّوه رأس الكفر ـ وقد كان كذلك قبل ذلك ـ وعندما أسلم لم يعترفوا على إسلامه، وإنما عدّوا ذلك

خدعة خوفاً من السيف، واستشهدوا على ذلك بعطاء رسول الله ﷺ له ولأولاده من غنائم هوازن الكثير وبعد حنين كما أعطى المؤلفة قلوبهم - وقد كان كذلك، وعندما حسن إسلامه لم يوافقوا على ذلك على الرغم من تولية رسول الله ﷺ له، وإرسال أبي بكر، رضي الله عنه، إياه على صدقات اليمن، وتوقفوا عن ذكر موقفه يوم اليرموك، وفقده عينه يومذاك، وحياته كفيفاً بعد ذلك، منقطعاً للعبادة أكثر من سبع عشرة سنة حتى توفي عام ٣١هـ في خلافة سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

اتهموا سيدنا عثمان بوصوله إلى الخلافة بطريقة غير أمينة، وأن عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، قد تآمر معه على ذلك في سبيل إبعاد سيدنا علي، رضي الله عنه، عنها، واتهموا عثمان كذلك أنه قد قرّب أهل بيته من بني أمية فأعطاهم الولايات، وقلّدهم المناصب، وترك لهم الأمر يتصرفون به كما يشاءون، وأنه كان ضعيفاً يتلاعب به ابن عمه مروان بن الحكم، وهذا ما سبب الفوضى التي نتج عنها البلاء والفتن.

إن كثيراً من الصحابة الأكفاء كانوا يرفضون العمل والولايات، ولا يستطيع السلطان أن يجبرهم على ذلك، وكان سيدنا عثمان مضطراً لاختيار الأكفاء، وقد تقدم بعض أقربائه يرغبون في الأمر، وهم من قريش وقبل ذلك من المسلمين ومن صحابة رسول الله ﷺ، وما كان له أن يمنعهم عنها، ولكن إذا لاحظ عليهم شيئاً عزلهم وأدبهم وكم عزل منهم! ولم يَتّهم حتى إذا ثبت له صلاحهم أعادهم للولاية، وكان دورهم في الفتح والجهاد ونشر الإسلام.

واتهموا سيدنا معاوية، رضي الله عنه، بأنه صاحب أطماع، وأن ما فعله بما يسمى بالمطالبة بدم عثمان لم يكن سوى مناورة سياسية لتحقيق أطماعه، وهذا ما أدى به إلى الخروج على الخليفة مع ما في الخروج من مخالفات شرعية، وأنه عندما وصل إلى الخلافة نسي ما كان يدعو إليه بالأمس من مطالبة بدم الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

واتهموا سيدنا معاوية بكل من قُتل أو مات ممن كان قد وقف ضده،

مع أن الفوضى كانت سائدة والثارات موجودة، وكل قد خاض في دماء الآخرين، فقد قتل سيدنا علي، رضي الله عنه، بيد الخوارج، وطعن معاوية نفسه، وقتل قاضي مصر خارجة، وصاحبه يظن أنه عمرو بن العاص، ولو لم يكن ذلك لاتهم معاوية بعلي، وعمرو أيضاً، وعلى كلٍ فكل من لم يُعرف قاتله اتهم به معاوية، وكل من مات من الرجال اتهم معاوية بسقيه السم.

اتهم سيدنا معاوية بقتل سيدنا الحسن بن علي، رضي الله عنهما، بالسم الذي دسّ له عن طريق زوجه جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي وقد كان معاوية دسّ إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم، وزوّجتك من يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمه، فلما مات وفّى لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه[1] ويبدو ضعف الاتهام واضحاً، حتى إن المصدر نفسه يضعفه فيقول على لسان الحسن، رضي الله عنه، «لقد سقيت السم عدة مرات فما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه بعود في يدي، فقال له الحسين: يا أخي من سقاك؟ قال: وما تريد بذلك؟ فإن كان الذي أظنه فالله حسيبه، وإن كان غيره فما أحب أن يؤخذ بي بريء»[2]. ويدل هذا على أن الحسن ظنّ ولم يتهم، ومن ظنّه ليس هو بصاحب السلطان، فإنه يؤخذ منه، والسلطان هو الذي يأخذ ذلك، والخليفة معاوية هو السلطان والإمام الذي يجب أن يقيم الحدود، أما الحسين، رضي الله عنه، فلا يستطيع أن يقيم الحدّ على الإمام.

واتهم سيدنا معاوية بقتل الأشتر النخعي فيروي المسعودي ذلك فيقول «وولى علي الأشتر مصر وأنفذه إليها في جيش، فلما بلغ ذلك معاوية دسّ إلى دهقان كان بالعريش، فأرغبه، وقال: أترك خراجك عشرين سنة،

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص٥ طبعة المكتبة التجارية ـ مصر ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص٥.

واحتل للأشتر بالسم في طعامه، فلما نزل الأشتر العريش سأل الدهقان: أي الطعام والشراب أحب إليه؟ قيل له: العسل، فأهدى له عسلاً، وقال: إن من أمره وشأنه كذا وكذا، ووصفه للأشتر، وكان الأشتر صائماً، فتناول منه شربة، فما استقرت في جوفه حتى تلف، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه، وقيل: كان ذلك بالقلزم، والأول أثبت، فبلغ ذلك علياً، فقال: لليدين والفم، وبلغ ذلك معاوية، فقال: إن لله جنداً من عسل»[1].

واتهم سيدنا معاوية بقتل حُجر بن عدي الكندي، وهو أول من قتل صبراً في الإسلام، حمله زياد بن أبيه من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها «ولما صار إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلاً من دمشق تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية، فبعث برجلٍ أعور، فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم: إن صدق الزجر فإنه سيقتل منا النصف وينجو الباقون، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه، فلما وصل إليهم قال لحجر: إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب وقتل أصحابك، إلا أن تراجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤوا منه، فقال حجر وجماعة ممن كانوا معه: إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا إليه، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار، وأجاب نصف من كان معه إلى البراءة من علي، فلما قُدّم حجر ليقتل قال: دعوني أصلي ركعتين، فجعل يطول في صلاته، فقيل له: أجزعاً من الموت؟ فقال: لا، ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلا صليت، وما صليت قط أخف من هذه، وكيف لا أجزع، وإني لأرى قبراً محفوراً، وسيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً، ثم تقدم فَنُحِر، وألحق به من وافقه على قوله من أصحابه»[2].

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٢ ص٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٢) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص١٢ ـ ١٣.

واتهم سيدنا معاوية بقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لما كان له من شأن «أن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام، ومال إليه أهلها، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه معاوية، وخشي على نفسه منه، لميل الناس إليه، فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله، وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجاً ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص، فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفاً من بلاد الروم دسّ إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها فمات بحمص، فوفّى له معاوية بما ضمن له، وولاّه خراج حمص، ووضع عنه خراجه»[1].

واتهم سيدنا معاوية بادعاء زياد بن أبيه ونسبه إلى أبيه أبي سفيان، أي شهد على أبيه بالزنا، ولم يكن بعد قد خلق، وذلك بغية كسبه إلى جانبه، ولو كان في ذلك ترك لدينه، قال المسعودي «ولما همّ معاوية بإلحاق زياد بأبي سفيان أبيه ـ وذلك في سنة أربع وأربعين ـ شهد عنده زياد بن أسماء الحرمازي، ومالك بن ربيعة السلولي، والمنذر بن الزبير بن العوام أن أبا سفيان أخبر أنه ابنه، وأن أبا سفيان قال لعلي عليه السلام حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب:

أما والله لولا خوف شخص	يراني يا علي من الأعادي
لبين أمره صخر بن حرب	ولم يكن المجمجم عن زياد
ولكني أخاف صروف كفّ	لها نقم ونفي عن بلادي
فقد طالت محاولتي ثقيفاً	وتركي فيهم ثمر الفؤاد

ثم زاده يقيناً إلى ذلك شهادة أبي مريم السلولي، وكان أخبر الناس ببدء الأمر وذلك لأنه جمع بين أبي سفيان وسميّة أم زياد في الجاهلية على الزنا، وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف تؤدي الضريبة إلى

(١) الطبري: ج٥ ص٢٢٧.

الحارث بن كلدة، وكانت تنزل بالموضع الذي تنزل فيه البغايا بالطائف خارجاً عن الحضر في محلةٍ يقال لها حارة البغايا.

وكان سبب ادعاء معاوية له فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن علياً كان ولاّه فارس حين أخرج منها سهيل بن حنيف، فضرب زياد ببعضهم بعضاً حتى غلب عليها، وما زال يتنقل في كورها حتى صلح أمر فارس، ثم ولاّه على اصطخر، وكان معاوية يتهدده، ثم أخذ بسر بن أرطأة عبيد الله وسالماً ولديه وكتب إليه يقسم ليقتلنهما إن لم يراجع ويدخل في طاعة معاوية، وكتب معاوية إلى بسر ألا يعرض لابني زياد، وكتب إلى زياد أن يدخل في طاعته ويردّه إلى عمله، فقدم زياد على معاوية، فصالحه على مال وحلي، ودعاه معاوية إلى أن يستخلفه، فأبى زياد ذلك، وكان المغيرة بن شعبة قال لزياد قبل قدومه على معاوية: ارم بالغرض الأقصى، ودع عنك الفضول، فإن هذا الأمر لا يمد إليه أحد يداً إلاّ الحسن بن علي، وقد بايع لمعاوية، فخذ لنفسك قبل التوطين، فقال زياد: فأشر علي، قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وأن تعير الناس منك أذناً صماء، فقال زياد: يا ابن شعبة أأغرس عوداً في غير منبته ولا مدرة فتحييه ولا عرق فيسقيه؟ ثم إن زياداً عزم على قبول الدعوى وأخذ برأي ابن شعبة، وأرسلت إليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها معاوية، فأتاها فأذنت له وكشفت عن شعرها بين يديه، وقالت: أنت أخي أخبرني بذلك أبو مريم، ثم أخرجه معاوية إلى المسجد، وجمع الناس فقام أبو مريم السلولي فقال: أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمّار في الجاهلية، فقال: ابغني بغياً، فأتيته وقلت له: لم أجد إلا جارية الحارث بن كلدة سميّة، فقال: ائتني بها على زفرها وقذرها، فقال له زياد: مهلاً يا أبا مريم، إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً، فقال أبو مريم: لو كنتم أعفيتموني لكان أحب إلي، وإنما شهدت بما عاينت ورأيت، والله لقد أخذ بكم درعها، وأغلقت الباب عليها وقعدت دهشاناً، فلم ألبث أن خرج عليّ يمسح جبينه، فقلت: مه يا أبا سفيان، فقال: ما أحببت مثلها يا أبا

مريم، لولا استرخاء من ثديها وذفر من فيها، فقام زياد فقال: أيها الناس هذا الشاهد قد سمعتم ذكرها، ولست أدري حق ذلك من باطله، وإنما كان عبيد ربيباً مبروراً أو ولياً مشكوراً، والشهود أعلم بما قالوا، فقام يونس بن عبيد أخو صفية بنت عبيد بن أسد بن علاج الثقفي - وكانت صفية مولاة سمية - فقال: يا معاوية، قضى رسول الله ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضيت أنت أن الولد للعاهر وأن الحجر للفراش، مخالفة لكتاب الله تعالى، وانصرافاً عن سنة رسول الله ﷺ، بشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان، فقال معاوية: والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئاً وقوعها»[1]. ويبدو ضعف هذا فكيف قبل زياد هذا الكلام أمامه؟ وكيف قبل معاوية؟ وكيف رضي المسلمون بهذه المخالفة الصريحة من الإمام؟ فهل ضاع الإحساس، وضاع الدين، ولا يزال الصحابة أحياء؟.

واتهم سيدنا معاوية بطعنه بكبار الصحابة ومنهم أبو بكر، وعمر، وعلي، رضي الله عنهم جميعاً، ففي رسالةٍ منسوبةٍ إليه موجهةٍ إلى محمد بن أبي بكر والي علي على مصر يقول: «فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيه عليه الصلاة والسلام ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته، وأبلج حجته، وقبضه الله إليه، صلوات الله عليه، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتز حقه، وخالفه على أمره، على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثم إنهما دعواه إلى بيتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، ثم إنه بايع لهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضهما الله، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، فطلبتما له الغوائل، وأظهرتما عداوتكما فيه حتى بلغتما فيه مُناكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، وقس شبرك بفترك، يقصر على أن توازي أو تساوي من يزن الجبال

(١) مروج الذهب - المسعودي - ج٣ ص١٤ - ١٦.

بحلمه، لا يلين عن قسرٍ قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته أبوك مهد مهاده، وبنى لملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك استبد به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنا إليه، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع ذلك، والسلام على من أناب»[1].

يبدو في هذا الضعف، وأنه من وضع الخصوم في وقت متأخر ففي البداية يثني على علي، رضي الله عنه، ثناء غلاة الإمامية، ويطعن في الخلفاء الراشدين الآخرين، ثم يجمع معهم معاوية.

ونُسب إليه أنه كتب إلى قيس بن سعد بن عبادة بعد أن عزله علي عن مصر «أما بعد: فإنك يهودي. . .»[2] معاذ الله!

واتهم سيدنا معاوية بأنه كان يلعن علياً على المنابر، ويأمر الناس بذلك، وكذلك يفعل ولاته، وبهذا الاتهام يتهم المسلمون جميعاً الذين يقبلون بهذا، ويسكتون عنه، فما من مسلم إلا ويحب علياً، وما من مسلم يمكن أن يرضى بهذا، وهذا فرية ما بعدها افتراء، فقد كان معاوية على ما بينه وبين علي من خلافٍ في وجهات النظر، ومفارقة في الرأي يحترمه ويجلّه، ويعرف قدره، ويعلم منزلته، ويمدح أمامه، ويترحم عليه، ويترضى عنه، وإنما المتأخرون من الغلاة قد أضافوا وحرّفوا واتهموا حتى كانت الهوة بين الفريقين من أنصار علي وشيعته وباقي المسلمين، ولم يكن هذا من قبل، فكانوا يصلون معاً ويجاهدون معاً، وينطلقون إلى الفتوحات معاً، ثم غدوا الآن فريقين، لا تصلي الشيعة وراء إمام المسلمين، ولا تعترف بمصادر علمهم، ولا تقبل إلا ممن كان مقبولاً عندها ولولا كان من ميمون القداح وأمثاله.

ويحمل على معاوية استخلافه ابنه يزيد لا للاستخلاف فقد استخلف من هو أفضل منه، إذ استخلف أبو بكر، رضي الله عنه، عمر، رضي الله

---

(١) المصدر السابق. ج٣ ص٢١ ـ ٢٢. (٢) المصدر نفسه ج٣ ص٢٥.

عنه، من بعده، وإنما استخلافه لابنه تفضيلاً له ومحبة وفي المسلمين من هو خير منه، وبذا يكون قد نقل حكم الشورى إلى ملك عضوض.

وحمل على معاوية أنه قلّد الأكاسرة والقياصرة في الأبهة بالملك منذ توليه إمرة الشام، ولعل الأمر يستوجب ذلك، لما في عادة أهل البلد، ونظرتهم إلى هيبة السلطان، فذكر الطبري ذلك، إذ قال: «خرج عمر بن الخطاب إلى الشام، فرأى معاوية في موكب يتلقاه، وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية، تروح في موكب وتغدو في مثله، وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! وقال: يا أمير المؤمنين، إن العدو بها قريب منا، ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً، فقال له عمر: إن هذا لمكيدة رجل لبيب، أو خدعة رجل أريب، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين، مرني بما شئت أصر إليه؛ قال: ويحك! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك»[1]. ولو وجد عمر في ذلك شيئاً، وهو أكثر الناس زهداً وأبعدهم عن التكلف، وأشدهم على الولاة، لأخذ على يده، ولما أبقاه في الولاية يوماً واحداً. أما اتخاذ المقصورة والخاتم فقد اقتضت الظروف ذلك ولا شيء فيها.

واتهم يزيد بن معاوية، بل يعدّ هو وأبوه أكثر من وجهت إليه التهم، وأشيعت عنهم الشائعات، وكثرت الافتراءات، فأبوه بسبب نزاعه مع سيدنا علي، وهو بسبب حدوث فاجعة كربلاء في أيامه، وإن كانت الافتراءات عامة على بني أمية إلا أنها كانت أكثر ما تكون من الخلفاء على معاوية ويزيد.

- ٢ -

اتهم يزيد بأنه كان السبب الرئيسي في قتل سيدنا الحسين بن علي، رضي الله عنهما، والواقع أنه ما كان كذلك، حيث كان بينه وبين مكان

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٣١.

المعركة مسيرة شهر، فكيف يصدر الأوامر، ويمنع، ويربط، ويقطع وهو الخليفة الذي لم تكن له تلك القوة، ولم يستقر له الوضع بعد، وشخصية عبيد الله بن زياد هي الظاهرة في العراق؟

واتهم أنه سُرَّ بمقتل الحسين ولم يكن كذلك، ولكنه بكى، ولعن شمّراً وابن زياد وقال: والله لو كنت عوضاً عن ابن زياد لعفوت عنه، ثم أدخل النساء الذين وفدوا إلى دمشق من بقايا كربلاء إلى نسائه، واستمر البكاء والنحيب ثلاثة أيام، وما كان يأكل إلا ومعه علي بن الحسين، ثم سيّر الركب مع حامية إلى المدينة.

وكذا لم تكن له السيطرة التامة على الجيش الذي غزا المدينة المنورة واستباحها ثلاثة أيام، بعدما أعلن أهلها العصيان، وخلع البيعة، وإخراج بني أمية منها.

واتهم أنه كان مدمناً على الشراب، بل زادوا إلى أنه قد نشر ذلك في كل البقاع التي تخضع له، ومن الغريب أن يُقبل رأي كهذا، ولم ينتشر الفساد والخمر في يوم من الأيام وبشكل علني في الدولة الإسلامية، فكيف بذلك وأبناء الصحابة موجودون بل وبعض الصحابة لا يزالون على قيد الحياة؟ يقول المسعودي «وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

اسقني شَربةً تُروِّي مشاستي ... ثم على فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي

وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب»[1].

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ـ ج٣ ص٧٧.

وقالوا في مروان بن الحكم ما قالوا، فقد جاء في حياة الحيوان ما نصه: روى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، قال؛ كان لا يولد لأحدٍ مولود إلا أتي به لرسول الله ﷺ فيدعو له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: «هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون» ثم قال: صحيح الإسناد. ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني، وكانت له صحبة، أن الحكم بن أبي العاصي استأذن على النبي ﷺ فعرف صوته فقال: «أئذنوا له، عليه وعلى من يخرج من صلبه لعنة الله إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم يترفهون في الدنيا، ويضيعون الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق».

وفي كتاب الإشاعة في أشراط الساعة جميع ما ورد في ذم بني أمية مما هبّ ودبّ فمما قال: وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في النوم بني الحكم ينزوون عن منبري كما تنزوي القردة». قال: فما رؤي النبي ﷺ بعدها ضاحكاً مستجمعاً حتى توفي، رواه أبو يعلى، والحاكم، والبيهقي. وعن ابن المسيب قال: رأى النبي ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك فأوحى الله إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه، رواه البيهقي.

وعن الحسن بن علي، عليهما السلام، قال: إن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾، ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ يملكها بنو أمية، قال القاسم بن اليتيم بن الفضل: فحسبنا مدة ملك بني أمية فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. رواه الترمذي، والحاكم، والبيهقي. وعن الزهري وعطاء الخراساني أن النبي ﷺ قال للحكم: «كأني أنظر إلى بنيك يصعدون منبري وينزلون»، رواه الفاكهي. وعن جبير بن مطعم قال: كنا مع

النبي ﷺ فمر الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ: «ويل لأمتي مما في صلب هذا» وغير ذلك كثير.

وإن هذه الأحاديث والأخبار ليغنينا ظاهرها الدال على الكذب عن مناقشة سندها. فكم نهى النبي ﷺ عن اللعن، وكم أنزل أصحابه عن الإبل التي كانوا يلعنونها، وقد قال عليه السلام: «ما بعثت لعّاناً». فمن أين هذه الأحاديث التي كثر اللعن في رواياتها لبني أمية التي لم يرد مثلها في حق أبي جهل، وأبي لهب، وعقبة بن أبي معيط، وأبيّ بن خلف، والوليد بن المغيرة، وعبد الله بن سلول وغيرهم من رؤساء المشركين مع شدة كفرهم وعنادهم[1].

وقد كان مروان بن الحكم خليفة، ويختلف عليه الصحابة ويأمر وينهى بينهم، ويصلي إماماً بهم، وهذا لا شك فيه لأن الخلفاء هم الذين كانوا يتولون الإمامة الصغرى مع الكبرى، بل أمراؤهم أيضاً كانوا يصلون أئمة بالصحابة، حتى كان الحجاج يصلي بهم ومحال أن يسكتوا أو يقتدوا بمن لا يرونه أهلاً للإمامة.

وأما اختلافهم إليه وحكمه فيهم، فقد روى الشيخان واللفظ للبخاري قال: حدثنا آدم قال: حدثنا سلمان بن المغيرة قال: حدثنا حميد بن هلال العدوي قال: حدثنا صالح السمان قال: رأيت أبا سعيد الخدري في يوم الجمعة يصلي إلى شيء يستره الناس، فأراد شاب من بني أبي معيط أن يجتاز بين يديه، فدفع أبو سعيد في صدره، فنظر الشاب فلم يجد مساغاً إلا بين يديه فعاد ليجتاز، فدفعه أبو سعيد أشد من الأولى، فنال من أبي سعيد، ثم دخل على مروان فحكى إليه ما لقي من أبي سعيد، ودخل أبو سعيد خلفه على مروان. فقال: ما لك ولابن أخيك يا أبا سعيد؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا صلى أحد إلى شيء يستره من الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان».

(١) أغاليط المؤرخين ـ محمد أبو اليسر عابدين ص١٤٦ ـ ١٤٨.

وفي هذا الحديث ما يدل على فضل مروان بسهولة حجابه والدخول عليه وقضائه بما امتثل به أمر رسول الله ﷺ[١].

وكان مروان من رواة الحديث: فقد روى عن عمر بن الخطاب: مَن وهب هبة لصلة رحم فإنه لا يرجع فيها.

وروى أيضاً عن عثمان، وزيد بن ثابت، وبُسرة بنت صفوان، وروى مروان عن سهل بن سعد الساعدي. وكان مروان في ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله يستشيرهم ويعمل بما يجمعون له عليه[٢]. وعده ابن سعد من الطبقة الأولى من التابعين.

ـ ٤ ـ

ويقال: إن الشاعر النصراني الأخطل كان يدخل على الخليفة والصليب في رقبته، والخمر يقطر من لحيته لينشده:

ذهبت قريش بالمكارم والعلى	واللؤم تحت عمائم الأنصار[٣]
فذروا المكارم لستم من أهلها	وخذوا مساحيكم[٤] بني النجار[٥]
إن الفوارس يعرفون ظهوركم[٦]	أولاد كل مُفَسَّحٍ أكّار[٧]
وإذا نسبت ابن الفريعة[٨] خلته	كالجحش بين حمارة وحمار

---

(١) المصدر السابق ص١٥٢ ـ ١٥٣. (٢) طبقات ابن سعد. ج٥ ص٤٣.

(٣) يعرض بالأنصار إذ أن أكثرهم كان بجانب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) مساحي: جمع مسحاة: وهي أداة زراعية، تقشط بها الأرض ليجمع التراب على شكل حد.

(٥) بنو النجار: قوم من الأنصار، أخوال رسول الله ﷺ حيث أم جده عبد المطلب هي سلمى بنت عمرو من بني النجار، كما أن هذا البيت من الأنصار هم قوم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ.

(٦) يعرفون ظهوركم: كناية عن فرارهم وقت القتال.

(٧) الأكّار: المزارع، وكانت العرب تحتقر الزراعة والصناعة حيث إنهما مهنة العبيد وتفخر بالرعي والغزو.

(٨) ابن الفريعة. حسان بن ثابت لأن أمة كانت تعرف بـ «الفريعة».

أيعقل هذا من خليفة، صحابي، أو تابعي إذ تروى عن سيدنا معاوية كما تروى عن عبد الملك؟ ومن كان في تلك الآونة يشتم أنصار رسول الله، وشاعر رسول الله، وأخوال رسول الله؟

وأي خليفة مسلم، بل أي ملك في أي وقت يرضى أن يدخل عليه رجل وهو سكران؟..

- ٥ -

ويتهم سليمان بن عبد الملك بأنه كان كثير الطعام، وقد عزل قادة الفتح وقتلهم وهم: محمد بن القاسم الثقفي، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وموسى بن نصير، لأنهم وافقوا الخليفة الوليد بن عبد الملك على عزل أخيه سليمان، وتولية ابنه مكانه، إلا أن المنية قد عاجلت الوليد فلم يتم ذلك، فانتقم سليمان عندما أصبح خليفة من أولئك الرجال.

لقد كان هؤلاء الرجال على ثغورهم، وبينهم وبين الخليفة آلاف الكيلومترات، ويحتاج البريد إلى أشهر لأخذ الرأي. ثم متى كان الخليفة الأموي ليستشير قادة الجند؟ قد يستشير أهل البيت الحاكم، وإنما مشاورة القادة حدثت في العصر العباسي عندما أصبح أمراء الجند هم أهل الرأي والحل والعقد، والقوة هي التي تحكم، والخلفاء أصبحوا بيد القادة العسكريين، وهذا ما يوضح الوقت الذي ألصقت فيه هذه التهم، وهو وقت حكم خصوم بني أمية.

ثم إن موسى بن نصير عندما استدعاه الخليفة الجديد، قد عين مكانه ابنه عبد العزيز على الأندلس، وكان ابنه الآخر وهو عبد الله والياً على إفريقية، وقد استمر عبد العزيز بالفتح ومتابعة خطة أبيه، ولو كان استدعاؤه عزلاً لعيّن الخليفة والياً مكانه، أو أرسل قائداً والياً مكان السابق، بل لم يكن ليقبل بأن يتولى ابن الوالي الأمر. ثم إن سليمان قد صحب موسى معه إلى الحج في موسم ٩٧هـ، وتوفي موسى في المدينة، وكان مستشار الخليفة الحربي لمدة تقرب من السنة منذ وصوله من الأندلس حتى وفاته.

وأما محمد بن القاسم فقد قتل ملك السند «داهر» وأسر ابنته صيتا، فعندما وصلت إلى دمشق افترت على القائد ثأراً لمقتل أبيها، فكان على الخليفة أن يضعه في السجن حتى يحقق معه، وهذا ما كان وأثناء السجن قتل بدسائس من أتباع «داهر» فاتهم به الخليفة.

وأما قتيبة بن مسلم الباهلي، فقد قتل من قبل جنده إذ خالف الخليفة، ودعا لنفسه بعد أن خشي مغبة فعله فاستغل الجند هذه المخالفة وقتلوه، واتهم به الخليفة، ونسجت خيوط الفرية...

- ٦ -

واتهم الخلفاء الأمويون أنهم كانو يبقون الجزية عمن أسلم حرصاً على دخل بيت المال، فهل كان بيت المال فقيراً، والغنائم تأتي إليه من كل حدب وصوب؟ والفيء والخراج وغير ذلك؟... إن بيت المال آنذاك كان عامراً حتى لم يعرف الخليفة أين يذهب بهذه الأموال الكثيرة التي تدخله.

ثم إن وضع الجزية عمن أسلم أمر شرعي فهل يجرؤ الخليفة على التساهل فيه، وأين دور أهل العلم؟ لم يبق إلا ليقال: إن بني أمية قد رفضوا الإسلام وأحلوا بأهله البوار.

إن كل ما حدث أن الجراح بن عبد الله الحكمي عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان قد أخذ الجزية من جماعة ثم أسلموا فلم يُعد لهم ما أخذ منهم فأرسل له الخليفة قولته المشهورة «إن الله قد بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً» فأخذ بعضهم من هذا الكلام أن الأمويين يبقون الجزية على من يسلم من أهل البلاد المفتوحة.

- ٧ -

وكثر الافتراء على الوليد بن يزيد، وجاء في حياة الحيوان في ترجمته «وكان أكمل بني أمية أدباً وفصاحة وظرفاً، وأعرفهم بالنحو واللغة والحديث، وكان جواداً مفضالاً. ومع ذلك لم يكن في بني أمية أكثر إدماناً

للشراب والسماع ولا أشد مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بأمر الأمة من الوليد بن يزيد. يقال: إنه واقع جارية له وهو سكران وجاء المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فحلف ألا يصلي بالناس إلا هي فلبست ثيابه وتنكرت، وصلت بالمسلمين وهي جنب سكرى(1). ويقال: إنه اصطنع بركة من خمر وكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وشرب حتى يبين النقص في أطرافها. وحكى الماوردي في كتاب أدب الدين والدنيا عنه تفاءل بالمصحف فخرج قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾. فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتــوعــد كــل جــبــار عــنــيــد ... فــهــا أنــا ذاك جــبــار عــنــيــد

إذ مــا جــئــت ربــك يــوم حــشــرٍ ... فــقــل يــا رب مــزقــنــي الــولــيــد

فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده.

وقد جاء في الحديث: ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو أشر من فرعون، فأوله العلماء الوليد بن يزيد هذا، ولما دخلوا عليه في قصره نهى أصحابه عن القتال وقال: يوم كيوم عثمان. فقيل له: ولا سواء فقطع رأسه وطيف به في دمشق، ثم نصب على قصره ثم على أعلى سور في دمشق في جمادى الأولى سنة ستٍ وعشرين ومائة، وكانت خلافته سنة واحدة، وكان من أجمل الناس وأحسنهم وأقواهم وأجودهم شعراً.

وأعدل الأقوال فيه ما قاله سيد المؤرخين ابن خلدون: ولما ولي الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمجون حتى نسبت إليه في ذلك كثير من الشنائع مثل رميه المصحف بالسهام حين استفتح فوقع على قوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما، ولقد ساءت المقالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه، وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به. قال المدائني:

---

(1) هل يعقل هذا؟ ألم يعرف أحد من المسلمين صوت المرأة؟ وكان الخليفة يعترض له الناس يسألونه، ألم يسلم أحد على الخليفة.

دخل ابن الغمر بن يزيد على الرشيد فسأله: ممن أنت؟ فقال: من قريش. قال: من أيها: فوجم، فقال: قل وأنت آمن ولو أنك مروان. فقال: أنا ابن الغمر بن يزيد: فقال: رحم الله الوليد، ولعن يزيد الناقص فإنه قتل خليفة مجمعاً عليه، ارفع حوائجك فرفعها وقضاها.

وقال شبيب بن شبة: كنا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد فقال المهدي: كان زنديقاً. فقام ابن علانة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل أعدل من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقاً! لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه، ويراه في طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المصبية المصبغة، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ويؤتى بثياب بيض نقية فيلبسها ويشتغل بربه، أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي: بارك الله عليك يا ابن علانة، وإنما كان الرجل محسوداً في خلاله ومزاحماً بكبار عشيرة بيته وبني عمومته مع لهوٍ كان يصاحبه أوجد لهم به السبيل على نفسه، وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام البليغ، قال يوماً لهشام يغريه في مسلمة أخيه: إن عُقبى من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واختل الثغر فهوى، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى. فأعرض هشام، وسكت القوم[1].

وتضاف إلى الوليد افتراءات بني عمومته إضافةً إلى افتراءات خصومه، فقد كان بينه وبينهم خلافات كالتي تحدث بين الأقارب عامةً وبين الذين يتولون أمور الأمة ومن يخلفهم.

وتولى بعد الوليد بن يزيد ابن عمه وقاتله يزيد بن الوليد، وقد سمي بالناقص لأنه نقص من أرزاق الجند والناس، وأعادهم إلى ما كانوا عليه أيام عمه هشام بن عبد الملك بعدما زاد الوليد فيها، وكان عادلاً وتقياً،

---

(١) المصدر نفسه ص١٦٠ ـ ١٦٢.

ومن عدله جرى المثل المشهور: الأشج[1] والناقص أعدلا بني مروان[2].

وعلى كلٍ فقد لقي الوليد مصرعه على يد ابن عمه، وهو الخليفة الوحيد الذي قتل، وما قتل إلا لاستهتاره، وقد نقم عليه أهله وعشيرته لهذا التصرف، فهو إذن لا يمثل بني أمية إذ أن بني أمية قد غضبوا عليه وتبرؤوا منه ثم قتلوه وقضوا عليه.

- ٨ -

واتهموا معاوية، رضي الله عنه، وأهل الشام جميعاً في دينهم وعدم إدراكهم وتعصبهم فلا يفرقون بين الناقة والبعير، ولا يفرقون بين الأربعاء والجمعة، فيصلون الجمعة يوم الأربعاء وليس فيهم من يتكلم فليس منهم رجل رشيد، ولنسمع إلى المسعودي يقول: «وبلغ من إحكامه للسياسة وإتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه (يقصد معاوية) أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير إلى دمشق في حالة منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي، أخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية. وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنه ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه، وبرّه، وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص، أن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن

---

(١) الأشج هو عمر بن عبد العزيز.

(٢) وهكذا تختلف الروايات وتتناقض حتى لا ندري أيها أكثر صحةً الأمر الذي يدل على وضع الكثير منها ولم توثق.

جعلوا لعن علي سُنّة، ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير[١].

قال المسعودي: وذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن.

وحكى الجاحظ قال: سمعت رجلاً من العامة، وهو حاج، وقد ذكر له البيت يقول: إذ أتيته من يكلمني منه؟ وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد ﷺ: ما تقول في محمد هذا؟ أربنا هو[٢]؟

وذكر لي بعض إخواني أن رجلاً من العامة بمدينة السلام رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنه يتزندق، فسأله الوالي عن مذهب الرجل، فقال: إنه مرجئ قدري ناصبي رافضي، فلما قصه عن ذلك قال: إنه يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن العاص، فقال له الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك على علمك بالمقالات، أم على بصرك بالأنساب؟

وأخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم، قال: كنا نقعد نتناظر في أبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاوية، ونذكر ما يذكره أهل العلم، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا، فقال لي ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية: كم تطنبون في علي ومعاوية وفلان وفلان، فقلت له: فما تقول أنت في ذلك؟ قال: من تريد؟ قلت: علي، ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبو فاطمة؟ قلت: ومن كانت فاطمة، قال: امرأة النبي عليه السلام بنت عائشة أخت معاوية، قلت: فما كانت قصة علي؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي ﷺ.

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص٤١.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص٤٢.

وقد كان عبد الله بن علي[١] حين خرج في طلب مروان[٢] إلى الشام، وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر، ونزل عبد الله بن علي الشام، ووجّه إلى أبي العباس السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة من سائر أجناد الشام فحلفوا لأبي العباس أنهم ما علموا لرسول الله ﷺ من قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وليتم الخلافة[٣].

وما أرى أن هذه الروايات بحاجةٍ إلى ردٍ عليها لنقضها فهي ترد على نفسها وتنقض ذاتها.

واتُهم المجتمع كله، وعُدّ مجتمعاً فاسداً، ومن هذه التهم وهذه الافتراءات سرت الشائعات بأن الإسلام لم يطبق إلا في مدة محدودة لا تتجاوز عهد الرسول ﷺ وعهد صاحبيه أبي بكرٍ وعمر، رضي الله عنهما، إذ نسب إلى سيدنا عثمان الشيء الكثير بصفته أموياً حتى كادت تضيع المعالم لدى كثير من الناس.

لقد أشاعوا أن المجتمع كان فاسداً ودللوا على ذلك ببعض أقوال الشعراء، وقد اختاروا من عرف منهم بالغزل أو الفحش فنسبوا إليه قصائد أو نحلوا أبياتاً ضمّنوها قصائده ومن ذلك قصائد عمر بن أبي ربيعة، وصوّروا المجتمع من خلالها، والواقع أن عمر لم يقل كل ما في قصائده أو التي نسبت إليه، وإذا كان قد قالها، فإنما كان أكثرها تخيّلاً، إذ لا يمكن أن يلتقي بسيدات المجتمع اللواتي كنّ في مصر أو الشام أو العراق إلا في الموسم أثناء الحج فيتخيل هذه السيدات وقد جئن مع الموسم وشاهدهن، وتحدث معهن، وأعجب بهن كما أعجبن به، وبحديثه، فكان يرضي نزوته بهذا، وينظم القصائد فيرضي فنّه ويحتفظ بهذه القصائد لنفسه

(١) **عبد الله بن علي**: هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم أبي العباس السفاح، قائد العباسيين الذي أنهى حكم بني أمية.

(٢) مروان: هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية.

(٣) مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج٣ ص٤٢ ـ ٤٣.

أو يقرؤها لأقرانه وأترابه أثناء السمر، وبعده وجدت هذه القصائد فاستغلها المغرضون وصوروا المجتمع من خلالها، هذا إذا صح نسبها له، أما الوضع والنحل فأمران آخران الله أعلم بهما.

ويمكن أن نلحظ هذا واضحاً في قصائده، فيذكر مثلاً أنه كان في طريقه إلى المصلى بالمدينة المنورة وإذ يلتقي ببعض الفتيات يذهبن إلى المصلى، فألقى ما في جعبته إليهن فبادلنه الحديث، ثم ذهب إلى هدفه، وفي البيت قال:

مـــرّ بـــي ســـرب ظـــبـــاء رائـــحـــات مـــن قـــبـــاء
زمـــراً نـــحـــو الـــمـــصـــلـــى مـــســـرعـــات فـــي خـــلاء
فـــتـــعـــرضـــت وألـــقـــيـــت جـــلابـــيـــب الـــحـــيـــاء
وقـــديـــمـــاً كـــان عـــهـــدي وفـــتـــونـــي بـــالـــنـــســـاء

وتدل الأبيات على خيال، وكانت الفتيات في حشمة وحياء ذاهبات إلى المصلى، وهو كذلك، لكنه تذكر المنظر بعد مدة فنظم هذه الأبيات.

ويقال: إن ابن أبي عتيق قد وصف لعمر بن أبي ربيعة عقل ابنة عمه زينب بنت موسى الجمحية وأدبها وجمالها فشغف بها وفتن دون أن يراها، ونظم فيها القصائد الطوال، وهذا شأنه مع بقية النساء اللواتي اشتهرن به، واشتهر بهن، سيدات معروفات ذوات سمعة ومكانة لا يمكن أن يطالهن أو يتحدث إليهن، وبذكرهن يعرف ذلك، ومن أشهرهن: سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف، عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، لبابة بنت عبد الله بن عباس، فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، أم محمد بنت مروان بن الحكم، رملة بنت مروان بن الحكم، فاطمة بنت محمد بن الأشعث، سكينة بنت خالد بن مصعب، كلثم بنت سعد المخزومية، الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهي زوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان، نعم الجمحية، رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية، زينب بنت موسى الجمحية.

هذه النساء هن سيدات عصرهن أو في رأس الطبقة الأولى في المجتمع إذا صحّ أن نقسم المجتمع طبقات ولا يعرف الإسلام هذا النظام وهذه التقسيمات، فهل وصلت قلة الحياء عندهن وقلة الأدب عنده أن يكون موسم الحج مجال التهتك والاستهتار إلى هذا الحد وفي الأماكن المقدسة بالذات وأثناء تأدية المناسك ولا يزال بعض الصحابة على قيد الحياة؟ وهل وصلت الحالة بالمجتمع إلى هذا الوضع من قبول المفاسد وانتهاك الحرمات؟ وهذا بالواقع ما يريد أن يصل إليه خصوم العصر، وما يريدون أن يصفوا به عهد بني أمية، لذا فقد نشروا هذه القصائد وأشاعوها بعد أن بالغوا في أسبابها وأضافوا إليها، وصوروها على أنها حقيقة، وأن بعض هذه النساء كن يأتين من أمكنة نائية ليحضرن الموسم من أجل الالتقاء بعمر ليذكرهن فيشتهرن ويذيع صيتهن. يروون أن (نُعم) استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خلوق، فمسحت به ثوبه، ومضت وهي تضحك. ويروون أنه قد ذهب مرة إلى المسجد والتقى بزينب في طريقها أيضاً إلى المسجد، فتركا قصدهما وسارا إلى بعض الشعاب. ورأى مرة لبابة بنت عبد الله بن عباس تطوف بالبيت، فكاد عقله يذهب بها إذ رآها يومذاك أحسن خلق الله، فسأل عنها فأخبر بنسبها فذهب ينظم القصائد بها. فمتى كان البيت الحرام مقراً للعب وسوء الخلق؟ وهل كان الحجاج يقصدون البيت من أجل هذا؟ ومتى كان الحجيج يقف أمام ما يحدث من هذا النوع موقف المتفرج؟ كل هذه الأسئلة يرد عليها بأن هذه القصائد كانت من الخيال وبقيت حتى روّجها خصوم بني أمية، أو ضمّنوها أبيات من نظمهم، أو نظموا قصائد ونسبوها إلى عمر، وأوجدوا من عند أنفسهم سبباً لها.

ثم هل وصل الأمر بأهل هذه النساء ـ وهم سادة ذلك العصر ـ إلى هذا الحد من الرضا بالتشبب بنسائهم والسماح بهذا الكلام عن فتياتهم والسكوت عنه، بل والسماح لهن بالسفر وحدهن إلى الموسم للالتقاء بعمر، مع العلم أن المرأة لا يصح لها أن تحج دون محرم، بل لا تُعدّ

قادرة على الحج إن لم يكن لديها محرم فيروى أن رملة أخت عبد الملك بن مروان قد جاءت إلى الحج، وبعد أداء الفريضة تعرّض لها عمر بن أبي ربيعة، ورافقها إلى الشام، فرأى عبد الملك أن يزوّجه إياها. كما يروى أن عمر قد رأى عائشة بنت طلحة ترمي الجمار فشغف بها، وبدأ يذكرها بشعره حتى جاء أبناء أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، يلومونه ويعنفونه على ذكرها، وهي تيمية مثلهم، وابنة عمهم، وبنت أختهم فأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، فوعدهم ألا يذكرها بعد ذاك، ولكن حبه لم يسمح له بتركها فكان يكني بها بـ (سليمى) أحياناً، و(سكينة) و(أم بشر) أحياناً أخرى.

وعلى كلٍ فإن اتهامات بني أمية قد اتخذت أشكالاً مختلفة منها:

١ ـ سُلّطت الأضواء على الأحداث التاريخية التي تضع من مكانة بني أمية مثل تأخرهم في الإسلام وقيادتهم قريشاً والأحزاب للوقوف في وجه الدعوة، ومن جهة أخرى فقد عمدوا إلى إغفال دور الأمويين الذي قاموا به بعد الإسلام مثل دورهم في الفتوحات وقيادة الجيوش وكل ما يمت إلى رفع مكانتهم.

٢ ـ سُلّطت الأضواء على النكبات التي حدثت في عهد الأمويين مثل فاجعة كربلاء ومقتل الحسين، ووقعة الحرة واستباحة المدينة المنورة، وضرب مكة ومقتل عبد الله بن الزبير، وثورة زيد بن علي بن الحسين ومقتله... واتهم فيها بنو أمية فقط، وأغفلت جوانب الخطأ التي وقعت والخروج على الحاكم، وتفرقة المسلمين.

٣ ـ سُلّطت الأضواء على بعض النقاط التي تقع أثناء ضعف النفس البشرية من بعض الرجال. وتركت كل جوانب الخير، وأعمال المجد، والتضحية للرجال أنفسهم حتى من الصحابة أمثال عثمان بن عفان، وأبي سفيان، وابنه معاوية، رضي الله عنهم. وكذا صُوّر الرجال الذين وقفوا بجانب بني أمية أو دعموا حكمهم خدمة للإسلام بكل صور التعصب والكره لآل البيت والوقوف بجانب غير الحق فيه واضح، ولم ينج من

الرجال الذين وقفوا بجانب سيدنا علي، رضي الله عنه، ولكنهم اجتهدوا في بعض النقاط أمثال أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه. ومن الذين أصابهم أذى التعصب عمرو بن العاص، وزياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وكثير غيرهم.

٤ ـ أشيعت شائعات سامة ضد بعض الخلفاء الذين كانت مدة حكمهم قصيرة فلم تتهيأ لهم الفرص للقيام ببعض الأعمال الجليلة أو عرفوا فعلاً بالضعف أمثال يزيد بن معاوية، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد وإبراهيم ابني الوليد بن عبد الملك.

٥ ـ اتخذ من اللقاءات الخاصة لأعداء بني أمية مجالاً لنشر الشائعات، وتلفيق الأكاذيب، وإشاعة الافتراءات ووجدت في يوم من الأيام فعدت من الوثائق ومصادر الكتابة والدسّ.

٦ ـ اتخذوا من الشعراء مجالاً لبث السموم ونشر الآراء عن العهد كاملاً للبرهان على فساد الوضع وما آل إليه من سوء واستهتار بالقيم الإسلامية، واتجهوا إلى الشعراء الذين يمكن أن يصدر عنهم أمثال هذا الكلام وقد لاحظنا منهم عمر بن أبي ربيعة والشاعر النصراني الأخطل، ووضعت قصائد نسبت إلى شعراء معينين، أو على الأقل نحلوا أبيات وضمنوها قصائدهم.

٧ ـ نشروا ما كان مخفياً من الفواحش للطعن في بني أمية زاعمين أنهم كانوا يعملون على نشرها، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

إن هذه الافتراءات على بني أمية ليس لها سند صحيح، ومعظمها مجهول المصدر الأمر الذي يدل على كذبها وبذا لا يمكن الاعتماد عليها

---

(١) سورة النور الآية ١٩.

أبداً، وإذا أخذنا بمنهج الحديث في الجرح والتعديل وهو أفضل منهج للوصول إلى صحة الخبر فإننا سنطرح هذه الروايات كلها التي تقوّلت على بني أمية.

إنا لا نقول: إن عهد بني أمية عهد إسلامي سليم كما كان أيام رسول الله ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين، كما لا نقول عنه: إنه عهد جاهلي كالعهود التي نعرفها قبل الإسلام وبعد عصرهم، والتي تجعل منه الافتراءات عهداً قاتماً في بعض جوانبه أكثر من العصور الجاهلية، ولكننا نقول: إن الوضع الإسلامي قد تدهور قليلاً منذ انتهى العهد الراشدي وبدأت زاوية الانحراف تزداد في انفراجها تدريجياً مع الزمن.

لقد بدأ الانحراف بجعل الحكم ملكياً وراثياً وإن أطلق عليه (خلافة)، ثم زاد بتصرف الحكام والولاة في كثير من الأحيان ببيت المال حسب أهوائهم وآرائهم، وإن كانت لا تخرج عن الجادة إلا في حالات قليلة، أما بقية الجوانب فقد بقيت سليمة بشكل عام.

وإذا كنا ننظر إلى بيوت الخلفاء والأمراء ونرى ما دخل فيها من بعض الانحرافات حسب رواية كتب التاريخ غير الموثوق بصحتها إلا أن أصحاب هذه البيوت كانوا على درجة من الإيمان والخوف من الله بحيث إذا وعظهم واعظ أو ذكرهم منبه اتعظوا وفاضت أعينهم من الدمع وعدلوا من أوضاعهم وأحوالهم، وإن كانوا قريبي العودة إلى ما اعتادوا عليه.

أما المجتمع الإسلامي فقد استمر على ما كان عليه قبل الأمويين إذ بقي سليماً، وعاش حياة الشبه بحياة المجتمع الذي كان أيام الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وإن كانوا قد تأثروا بعض الشيء بسبب ما جاءهم من غنائم وما دخل إلى البيوت من إماء وسبايا وذلك أشبه ما كان عليه الأمر في أواخر عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وأوائل عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وعلى الرغم من كثرة الغنائم وزيادة الأموال بين أيديهم وأعداد السبايا التي كانت تصل إليهم وكل هذا يجعل الناس يخلدون فيه إلى الراحة، ويرتبطون بالأرض ومع هذا فقد كان عنصر

الإيمان يملأ نفوسهم فما أن يدعو داعي الجهاد حتى يتركوا الحياة المرفهة التي مارسوها والنعيم الذي اعتادوا عليه وينطلقون مباشرة إلى الجهاد في سبيل الله، وبهذه الروح استطاعوا أن يفتحوا مناطق واسعة من العالم المعمور آنذاك فوصلت فتوحاتهم من الصين شرقاً إلى وسط فرنسا غرباً، وبلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساع لها، ووصلت إلى حدود لم يسبق لها أن وصلت إليها، كما لم تتجاوز تلك الحدود بعد ذلك كدولةٍ واحدة، وإنما بدأت مرحلة من الانكماش والضمور بعد الأمويين، وإذا كان قد توسع انتشار الإسلام في البحر الأبيض المتوسط أيام الأغالبة، والفاطميين، وانتشر عن طريق التجارة في جنوب شرقي آسيا، واتسع في جنوب شرقي أوربا أيام العثمانيين إلا أنه لم تكن هناك دولة إسلامية واحدة في هذه العصور المختلفة تجمع شمل المسلمين جميعاً، كما كانت أيام الأمويين.

وإذا كنا نعلم أن انتشار الإسلام قد حدث خلال القرون الإسلامية كلها وحتى الآن وأن الفتوحات قد نمت في عدد من العهود إلا أننا عندما نقول الفتوحات الإسلامية فإنما نقصد ما حدث منها خلال العصر الإسلامي الأول أي ما حدث أيام الراشدين والأمويين فقط وتعدّ الثانية تتمة للأولى إذ ما حدث من توقف إنما يعود إلى العوامل الداخلية التي وقعت في الدولة الإسلامية، وعندما كانت تستقر الأوضاع تعود الفتوحات إلى انطلاقتها.

أما ما جرت العادة أن يتحدّث عنه المؤرخون المحدثون من انقسام الناس إلى فئات من شيعة وخوارج وغيرهم من زبيريين وأمويين وموالي فإن هذا لم يكن أبداً، وإنما إذا حدثت ثورة أو قامت حركة أيدها من يرى رأيها ودعمها من كان لها نصيراً، أما في الأحوال العادية فليس هناك من فكر متميز أبداً وإنما جماعة واحدة فإذا ما سارت الجيوش بالفاتحين انخرطوا فيها جميعاً، أما تأييد فلان دون فلان فهذا أمر يحدث ويحدث باستمرار مع عدم الاختلاف بالفكر أو وجود جماعة خاصة لها كيان خاص كما يصور ذلك المؤرخون، والإنسان الذي يعيش في منطقة يتبع أميرها ويغزو معه، وحتى الشعراء الذين يصورهم الأدباء يكون الشاعر منهم زبيرياً

مثلاً، ثم يصبح من أنصار آل البيت، ثم أموياً، وهذا أمر غير صحيح أيضاً إذ من المعروف أن الشاعر مدّاحة هجّاء فمن كان بالحجاز مثلاً وكانت تخضع لابن الزبير مدحه، فإذا انتقل إلى الشام مدح الخليفة ولربما عرّض بابن الزبير إذا كان أمره قد انتهى، وهذا ما كان عليه أكثر الشعراء باستثناء الذين عاشوا في الشام لم يغادروها فقد قصروا مدحهم على خلفاء بني أمية ولعل منهم الأخطل النصراني، وربما نستثني من هذا كله الخوارج الذين يبدو لهم بعض الآراء الخاصة بهم والتي لا تظهر بشكل واضح إلا عندما ينطلقون إلى منطقةٍ ما معلنين عن آرائهم وأفكارهم ومظهرين الخروج على السلطة، أما عندما يعيشون داخل المجتمع فلا تعرف آراؤهم، وإنما يظن عن بعضهم أنهم يرون رأي الخوارج، أما البقية فكلهم كتلة واحدة، واستمر هذا طيلة العهد الأموي عندما تنطلق الجيوش أو تتحرك الصوائف والشواتي فلا يمكن التمييز بين جماعة وثانية أبداً، وهو بالأصل غير موجود، أما إذا حدثت حركة داخل المجتمع فعندها تتوقف الفتوحات، وكل من كان في منطقة تابع أميره وقاتل معه، فإذا انتصرت قوة على أخرى أصبح من رعايا الأمير الجديد إذن لا توجد تلك التجمعات التي حلا لبعض المؤرخين المحدثين أن يسموها أحزاباً.

لذا فلن نتحدث عن هذه الفئات لأنها غير موجودة ولا نريد أن نوجد في المجتمع ما ليس فيه كما يريد بعضهم أن يفعل ليظهر أن الإسلام لم يثبت في الواقع إلا أعواماً محدودة وليصل إلى نتيجة يريدها هي: إننا لا يمكن أن نعمل به الآن إذ لا يمكن تطبيقه، وسنكتفي بذكر الحركات التي قامت في العهد الأموي وننسبها إلى زعمائها لأنه لا توجد فكرة عامة لها، وما وجد من فكرٍ شيعي فإنما وضع في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وما بعده فنسب لبعض الرجال أفكار لم تخطر على بالهم أبداً، بل لو سمعوا بها لتبرؤوا منها.

كما أننا لن نتحدث عن الروايات التي أشيعت عن العصر الأموي لأنه لا سند لها يدعمها ويجعلها في مستوى الروايات وإنما كلها محض افتراءات.

لذا فإن بحثنا سيكون خاصاً بما صح من الروايات، وما تعارف عليه الناس، وثبت في الكتب المعتمدة، مبتعدين عن آراء الخصوم التي شوهت التاريخ حتى كادت تعمّ.

وعلى كلٍ فإن التاريخ قد ظلم بني أمية ظلماً كثيراً إذ طمس كل ما لهم من فضائل وإيجابيات! ولم يتعرض لها أبداً ولم يذكرها، وبالمقابل فإنه توسع في ذكر السلبيات أو افترى عليهم الكذب، فنسب لهم ما لم يكن منهم، وأوجد حوادث لم تقع في أيامهم، ويعود ذلك إلى أن كتابة التاريخ إنما كانت في عهد خصومهم السياسيين من بني العباس هذا من جهةٍ ومن جهة ثانية فإن هذه الكتابة كانت بأيدٍ شيعية وجدت في تلك الحقبة وكانت حاقدة تنتقد الحكم، ومن ورائها أهداف وغايات، وتوجّه سهامها بالدرجة الأولى على بني أمية إذ تثير الحماسة ضدهم لما ناله آل البيت على أيديهم، وبهذه الحماسة تكسب الأنصار وتحصل على المؤيدين. ومن أهم ما وجهت إلى بني أمية من انتقادات اغتصابهم للخلافة، وجعلها وراثية، وقسوة الولاة، وشدة طاعة أهل الشام لهم، والمصائب التي حلّت بآل البيت، وانتشار اللهو والفساد في عصرهم، والاتهامات التي ألمحنا إليها.

ومع هذه الانتقادات التي صحّ بعضها، وغالى أعداؤهم في بعضها مغالاة كبيرة، وسبح خيالهم في تدوين جزءٍ منها ومع هذا فإن لهم فضائل كثيرة أغفل المؤرخون ذكرها، ويمكن الإشارة إلى بعضها بشكل سريع.

١ ـ كان معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، صحابياً جليلاً، والصحابة كلهم عدول، وإن اجتهد في بعض القضايا ولم يوفق في الاجتهاد، ولم يحالفه التوفيق في النتائج إلا أنه صحابياً عدلاً.

وكان مروان بن الحكم من الطبقة الأولى من التابعين، وقد روى الحديث عن عمر بن الخطاب، وعن عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وسهل بن سعد الساعدي، وبُسرة بنت صفوان، وكان مروان أثناء ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله ﷺ يستشيرهم ويعمل بما يجمعون له عليه.

وكان عبد الملك بن مروان من أهل العلم وقد سمع عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وأم سلمة، ومعاوية، وابن عمر، وأم الدرداء، وبريرة، وحدّث عنه عروة، وخالد بن معدان، ورجاء بن حيوة، وإسماعيل بن عبيد الله، والزهري، وربيعة بن يزيد، ويونس بن ميسرة، وآخرون. وقال جرير بن حازم، عن نافع قال: لقد رأيت أهل المدينة وما بها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك.

وقال أبو الزناد: فقهاء المدينة: سعيد بن المسيب، وعبد الملك، وعروة، وقبيصة بن ذؤيب.

وذكر إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أنه قال: ما جالست أحداً إلا وجدت لي عليه الفضل إلا عبد الملك[1]. وعدّ ابن سعد عبد الملك بن مروان في الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

وكان سليمان بن عبد الملك ديّناً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو. قال عنه ابن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة واختتمها باستخلافه عمر. وكان سليمان ينهى الناس عن الغناء.

وكان عمر بن عبد العزيز من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين، رحمة الله عليه، حدّث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وعامر بن سعد، ويوسف بن عبد الله بن سلام. وعدّه ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة وعندما تولى المدينة أيام الوليد بن عبد الملك كان يستشير أهل العلم وكبار القراء والفقهاء.

٢ ـ كان بنو أمية يقدمون أهل العلم والفضل غالباً فيعطونهم الولايات، ويسلمونهم قيادة الجيوش، وينصبونهم للقضاء، ويستشيرونهم في الأمور والملمات.

---

(١) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/ ٢٥٤، وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٣٤.

ويكفي أن نذكر من ولاتهم عمرو بن العاص[1] وابنه عبد الله[2] وبسر بن أرطأة[3]، والنعمان بن بشير[4]، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد[5]، ومعاوية بن حديج[6]، ومسلمة بن مخلّد[7]، وعبد العزيز بن مروان[8]، ونذكر

---

(١) **عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو عبد الله**: داهية قريش، ولد عام ٥٠ قبل الهجرة، أسلم وهاجر عام ٨ هـ مرافقاً لخالد بن الوليد، سرّ رسول الله بإسلامه، جهّزه لذات السلاسل، روى أحاديث كثيرة، شهد اليرموك وأبلى بلاء حسناً، قاد الجيوش وسار نحو فلسطين وفتح مصر وتولى أمرها، وعزله عثمان، كان بجانب معاوية ودخل مصر وتولى أمرها وبقي فيها حتى مات سنة ٤٣ هـ.

(٢) **عبد الله بن عمرو بن العاص**: ولد عام ٧ قبل الهجرة، صحابي، أسلم قبل أبيه وكان اسمه العاص فغيّره النبي ﷺ بعبد الله، يكنى بأبي محمد، روى عن رسول الله أحاديث كثيرة اتفق مسلم والبخاري على سبعة أحاديث منها، وانفرد البخاري بثمانية أحاديث، وانفرد مسلم بعشرين، هاجر سنة سبع، وشهد بعض المغازي، وكان على ميمنة معاوية يوم صفين، وذكر أنه كان يحمل الراية وما ضرب بسيف ولا رمى بسهم. تولى أمر الكوفة لمعاوية ثم عزل، ومات عام ٦٣ هـ.

(٣) **بسر بن أرطأة**: أبو عبد الرحمن، صحابي، له حديثان، ولد في العام الثاني للهجرة، شهد فتح مصر، وقاتل في بلاد الروم، وكان فارساً شجاعاً، ولي أمر الحجاز واليمن لمعاوية، توفي عام ٧٠ هـ.

(٤) **النعمان بن بشير بن سعد** بن ثعلبة الانصاري، أبو عبد الله: صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، ابن أخت عبد الله بن رواحة، روى ١١٤ حديثاً، ولد في العام الثاني للهجرة، وعد من الصحابة الصبيان باتفاق، تولى لمعاوية الكوفة، مدة كما تولى قضاء دمشق، ثم تولى أمر حمص، دعا إلى عبد الله بن الزبير في حمص: وقتل بعد معركة مرج راهط في إحدى قرى حمص عام ٦٤ هـ.

(٥) **عبد الرحمن بن خالد بن الوليد**: أقام في حمص من بلاد الشام، وكان كثير الغزو في بلاد الروم، واشتهر أمره كثيراً، وأحبه أهل الشام، مات في حمص وقيل أنه مات مسموماً في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

(٦) **معاوية بن حديج بن جفنة**: أبو نعيم، وأبو عبد الرحمن السكوني الكندي، له صحبة ورواية قليلة، روى عن عمر، وأبي ذر، ومعاوية، شهد اليرموك، وغزا المغرب، وتوفي سنة ٥٢ هـ.

(٧) **مسلمة بن مخلد بن الصامت**: الأنصاري الخزرجي، أبو معن: ولد عام الهجرة، قيل له صحبة، تولى مصر لمعاوية ويزيد، وكان مع معاوية في صفين، وتوفي في خلافة يزيد عام ٦٢ هـ.

(٨) **عبد العزيز بن مروان**: أبو الاصبغ: ولد في المدينة، ودخل مصر مع أبيه، وتولاها لأخيه عبد الملك مدة عشرين سنة وكان ولي عهده، وتوفي قبله بحلوان بمصر عام =

من قادتهم حبيب بن مسلمة الفهري[١]، وعبد الله بن قيس[٢]، وجنادة بن أبي أمية الدوسي[٣]، ونذكر من قضاتهم بن عبيد[٤]، وأبا بردة بن أبي موسى[٥]، وأبا إدريس الخولاني[٦]، ونذكر من مستشاريهم روح بن زنباع[٧]، ورجاء بن

= ٨٥هـ ونقل إلى الفسطاط. روى الحديث عن أبيه مروان، وعن أبي هريرة، وعقبة بن عامر، وابن الزبير. وثقه ابن سعد، والنسائي، وله في سنن أبي داود حديث.

(١) **حبيب بن مسلمة الفهري**: أبو عبد الرحمن، وقيل أبو مسلمة: ولد قبيل الهجرة بعام، فقيل له صحبة، ورواية يسيرة جاهد في خلافة أبي بكر، وشهد اليرموك أميراً، وكان على ميسرة معاوية يوم صفين، غزا بلاد الروم كثيراً، وولي أرمينيا لمعاوية، وتوفي عام ٤٢ هـ.

(٢) **عبد الله بن قيس**: حليف بني فزارة، أمير البحر في صدر الإسلام، غزا خمسين غزوة صيفاً وشتاءً، ولم يغرق من جيشه أحد، ولم ينكب، قتله الروم عام ٥٣ هـ وهو يطوف في أحد الموانئ متخفياً دلتهم عليه امرأة كانت تتسول فأعطاها فعرفته فراسة.

(٣) **جنادة بن أبي أمية الدوسي**: من كبار التابعين، حدّث عن معاذ بن جبل، وعمر، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وبسر بن أرطأة. شهد فتح مصر، وتولى غزو البحر لمعاوية، وتوفي سنة ثمانين للهجرة.

(٤) **فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أبو محمد**: صحابي، ممن بايع تحت الشجرة، شهد أحداً وما بعدها، وشهد فتح الشام ومصر، وسكن الشام، وولي الغزو والبحر بمصر، ثم ولاه معاوية قضاء دمشق وتوفي فيها عام ٥٣ هـ.

(٥) **أبو بردة بن أبي موسى**: عامر بن عبد الله بن قيس الأشعري: الإمام، الفقيه، الثبت، حدّث عن أبيه، وعلي، وعائشة، وأسماء بنت عميس، وعبد الله بن سلام، وحذيفة، ومحمد بن مسلمة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، والبراء، ومعاوية، وكان ثقة، كثير الحديث. كان قاضي الكوفة للحجاج ثم عزله بأخيه أبي بكر، مات سنة ١٠٣ هـ.

(٦) **أبو إدريس الخولاني**: عائذ الله بن عبد الله: ولد عام الفتح. حدث عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وحذيفة، وأبي موسى، وشداد بن أوس، وأبي هريرة، وعبادة بن الصامت، والمغيرة بن شعبة، وابن عباس، ومعاوية وغيرهم كان قاضي دمشق، وعالمها وواعظها، وهو ثقة، وتوفي سنة ثمانين.

(٧) **روح بن زنباع الجذامي**، أبو زرعة: أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها، وخطيبها، وشجاعها قيل: له صحبة، كان وزير عبد الملك ومستشاره، وقال فيه عبد الملك: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز. روى عن أبيه، وعن تميم الداري، وعبادة بن الصامت، وحديثه قليل، وهو صدوق. توفي عام ٨٤ هـ.

حيوة[1]، والزهري[2] وغيرهم كثير: أمثال موسى بن نصير[3]، والمهلب بن أبي صفرة[4]، والسمح بن مالك الخولاني[5].

ولم يتدخل بنو أمية في شؤون القضاء أبداً، وإنما كانوا يعينون القضاة من خيرة أهل العلم ويدعونهم وشأنهم، ويخشون أن تقع منهم حادثة يرجعون فيها إلى القضاء لأن معنى ذلك الحكم عليهم ولا بدّ من تنفيذ ما أمر به القاضي ولو كانوا هم الحكام.

ويكفي أن نقرّ بفضل بني أمية من حديث رسول الله ﷺ «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه: قرنين أو ثلاثة؟ ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»[6].

---

(١) **رجاء بن حيوة** بن جرول الكندي الأزدي: فقيه من جلة التابعين، روى عن معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، كان ثقة، عالماً، فاضلاً، كثير العلم: كان كبير المنزلة عند سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك.

(٢) **الزهري**: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر: الإمام، العلم، ولد سنة خمسين للهجرة، وروى عن ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وكان مستشار هشام بن عبد الملك، وتوفي عام ١٢٤ هـ.

(٣) **موسى بن نصير اللخمي**: أبو عبد الرحمن، والي المغرب وفاتح الأندلس، ولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرص، وبنى هناك حصوناً، وكان مع عبد العزيز بن مروان في مصر، ومع بشر بن مروان في العراق، وتوفي بالمدينة عام ٩٧ هـ وكان بالحج مع سليمان بن عبد الملك. روى الحديث عن تميم الداري.

(٤) **المهلب بن أبي صفرة الأزدي**: ولد عام الفتح، وروى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن عمر، والبراء بن عازب. غزا الهند عام ٤٤، وتولى أمر الجزيرة لابن الزبير، ثم خراسان، وحارب الخوارج، وأخذ ولاية خراسان، وتوفي غازياً في مرو الروذ عام ٨٢ هـ.

(٥) **السمح بن مالك الخولاني**: استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس، كان تقياً ورعاً استشهد عام ١٠٢ هـ غازياً في فرنسا، كانت قرطبة حاضرة حكمه، وقد بنى فيها قنطرتها المعروفة.

(٦) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن عمران بن حصين، رضي الله عنه.

وبنو أمية عاشوا في القرن الذي يلي قرن رسول الله ﷺ، وفي ذلك القرن خيار كثير من الناس ولا يمكن أن يكون هؤلاء الناس، ويقال ما ينسب لبني أمية، ويسكتون عنه، أو يقبلون فيه، ومع هذا فإن يوجد بعض الشرار الذين ما خلا منهم عصر، وإن تمكن بعضهم يوماً إلا أنه لا يلبث أن يزال، ويذكر فيه ما يستحق.

ونذكر من فضائل بني أمية الفتوحات الواسعة التي تمت على أيديهم والتي امتدت ديار الإسلام نتيجة ذلك بين الصين في الشرق وبلاد الأندلس وجنوبي فرنسا في الغرب ولم تكن الفتوحات هنا لتتم على أيدي قادة، والخلفاء وأبناؤهم يعيشون في القصور بل إن الخلفاء أنفسهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى الجهاد، ويشهدون القتال، فقد أرسل معاوية ابنه يزيد على رأس جيش لحصار القسطنطينية، وأرسل عبد الملك ابنه الوليد مرات للغزو في بلاد الروم، وكان ابنه الثاني مسلمة قائد جبهة الروم، وغزواته أكثر من أن تعد، وحصاره لمدينة الروم القسطنطينية معروف ومشهور. وكان أخوه محمد بن مروان أمير الجزيرة يتولى أمر الغزو في أغلب الأحيان. وأولاد الوليد بن عبد الملك وهم: العباس، وعبد العزيز، وعمر، ومروان يقودون الغزو في بلاد الروم، ويساعدون عمهم مسلمة بن عبد الملك في ذلك. كما أن سليمان بن عبد الملك كان ابنه داود على رأس قواته المجاهدة في بلاد الروم.

أما هشام بن عبد الملك فقد كان يفرض الغزو على بني مروان جميعاً، ومن يتأخر عن الغزو يمنع عنه العطاء، وكان أولاده في مقدمة الغزاة ومنهم: معاوية، وسليمان، ومسلمة، وسعيد، وغيرهم.

أما مروان بن محمد فكان نفسه يقود الجيوش ويصبر في القتال صبراً شديداً حتى لقب بالحمار.

وربما تداعى لأذهان الكثير أن أمراء بني أمية كانوا أمثال غيرهم من القادة الذين يتولون أمر القتال فيجلسون في المدينة، ويرسلون نواباً عنهم، إلا أني قد أوضحت ذلك سابقاً، وأعود لأقول إنهم كانوا يمارسون القتال بأنفسهم، ويتعرضون بأنفسهم للقتل، ويكونون أمام المجاهدين.

وربما خطر في بال بعض الناس أن بني أمية كانوا يسلمون القيادة لأمراء منهم خوفاً على أنفسهم من أن يتسلم القيادة غيرهم فيعمل ضدهم، فأقول إن هذا الخاطر إنما يجول في أذهان الذين يعيشون هذه الأيام، ويعرفون الانقلابات العسكرية، وكان يتصرف الجند حيال الحكم المدني، إن أمير الغزو يومذاك لم يكن ذا أثر على جنده إلا في الجهاد وقتال الأعداء أما بعد ذلك فليس له من أثر، وتأثيره أيضاً إنما يكون على ترتيب الجند، وإعطاء الرايات، وأوامر القتال وبعد انتهاء الجهاد يعود المجاهدون إلى ديارهم، فليس هناك من قوة دائمة لحماية العاصمة يقودها أمراء أو غيرهم من أنصار السلطان كما يحدث في هذه العصور، وتشكل خلفية عند أبناء هذه الأجيال.

ولعل من أهم ميزات بني أمية إحياؤهم للأرض، وفتح الأقنية، وشق الأنهار، فقد كان خلفاء بني أمية يخرجون إلى هامش المعمور، ويبنون قصورهم هناك الأمر الذي يؤدي إلى أن تعمر الأرض حيث يأتي الناس الآخرون فيبنون بجانب قصر الخليفة، ويجلبون المياه إليها ويزرعون فتحيا الأرض الموات. على حين كان بإمكانهم لو أرادوا فخامة القصور وجمال المناطق، وكثرة المياه لوجدوا في الأراضي المزروعة والمشجرة ضالتهم بل لكانت أكثر جمالاً وأغزر مياهاً. ونعلم أن يزيد بن معاوية قد توفي في حُوّارين[1] حيث كان يقضي جزءاً من أوقاته.

وأحيى سليمان بن عبد الملك منطقة الرملة، إذ عينه الوليد بن عبد الملك عليها فنزل باللد ثم انتقل إليها ومصّرها، وكان أول ما بنى فيها قصره، وداراً تعرف بدار الصبّاغين، واختلط المسجد وبناه، واحتفر القناة التي تدعى البردة لري أراضي من أقام معه وبالقرب منه.

---

(١) حُوّارين: هي بلدة القريتين المعروفة الآن في بلاد الشام، أو في ضاحية من ضواحيها، وقد مر عليها خالد بن الوليد أثناء انتقاله من العراق إلى الشام. وهي على مرحلتين من تدمر بينها وبين دمشق.

وكان عمر بن عبد العزيز ينزل إلى المرج ويحيي أرضه وقد توفي بدير سمعان[١] في ضواحي دمشق في بداية أرض المرج.

وعمّر هشام بن عبد الملك الرصافة، وكان ينزل بها صيفاً، وفيها توفي، وشق الأقنية إليها، فأحييت أرضها، وزرعت، وكانت جنة ورياضاً.

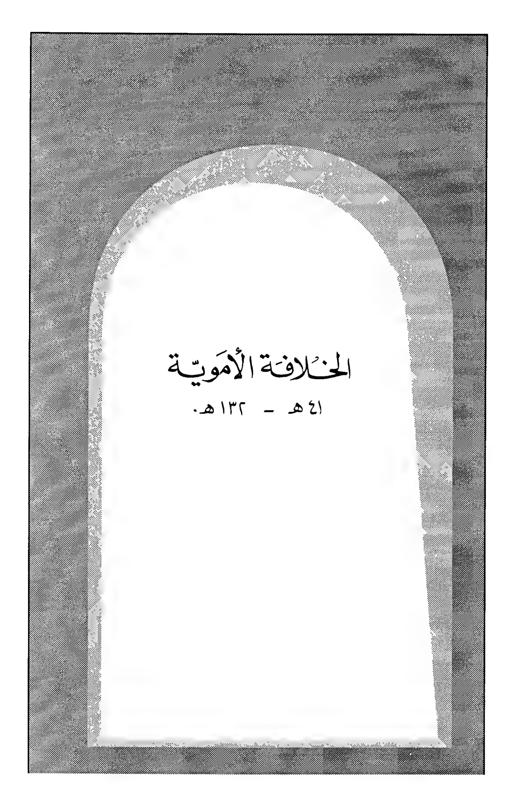
ولا ننسى حفر الأنهار والمجاري والأقنية في دمشق وغوطتها ولا تزال قائمة إلى الآن[٢] وتدل على اهتمام كبير بالأرض، وعناية عظيمة بشؤون السكان ومصالحهم الحيوية.

هذه بعض أعمال بني أمية وخدماتهم التي قدموها للمجتمع وللإسلام، وإذا كانت الصورة التي في أذهاننا عنهم والتي ورثناها مما قرأناه من الذين سجلوا ذلك عنهم من أعداء وخصوم ومن مستشرقين وغير منصفين قد جعلت الصورة عنهم باهتة إلا أننا نرجو أن تتغير بعد معرفة بعض الجوانب الخيرة.

---

(١) دير سمعان: هي دير سلمان، وهي بلدة معروفة الآن عامرة في أول المرج بينه وبين الغوطة.

(٢) أشهر الأنهار نهر يزيد الذي شقّ من نهر بردى من جهته اليسرى، ويمر من طرف دمشق الشمالي موازياً لجبل قاسيون، ويروي أرض القابون، وأرض حرستا الغربية وينتهي في شمالي حرستا عند أقدام سفوح الجبال.



الخلافة الأمويّة

٤١ هـ - ١٣٢ هـ



قامت الدولة الأموية بعد انتهاء الخلافة الراشدة بمقتل سيدنا علي بن أبي طالب يوم ١٧ رمضان عام ٤٠هـ، ويُعدّ بدء الدولة الأموية من تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنهما، لمعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، في (مسكن) يوم ٢٥ ربيع الأول عام ٤١هـ، واستمرت حتى معركة الزاب التي جرت بين جيوش العباسيين وبني أمية حيث هزم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وذلك في ١١ جمادى الأولى عام ١٣٢هـ. وبذا فقد دامت هذه الدولة ما ينوف على إحدى وتسعين سنة. وقد توالت عليها أسرتان، وكان خلفاؤهما اثني عشر خليفة.

١ ـ **الأسرة السفيانية**: وقد حكمت أربعة وعشرين عاماً ٤١ ـ ٦٤هـ، وتوالى عليها خليفتان هما:

١ ـ معاوية بن أبي سفيان	٤١ ـ ٦٠هـ
٢ ـ يزيد بن معاوية	٦٠ ـ ٦٤هـ

ولا نعد معاوية بن يزيد خليفة ما دامت الأمة لم تجمع عليه، وإنما كانت البيعة لعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما. كما أن معاوية الثاني بن يزيد لم يبق في الحكم سوى عدة أشهر تنازل بعدها عن الخلافة، وترك الأمر للمسلمين.

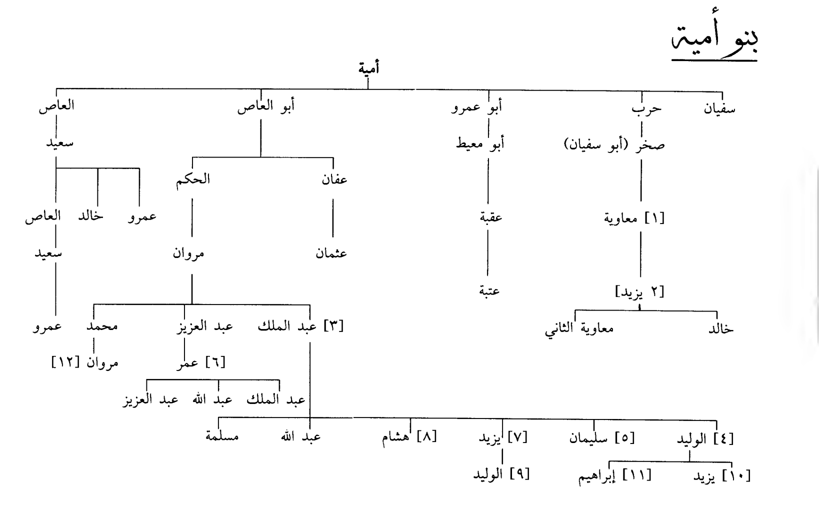
٢ ـ **الأسرة المروانية**: وقد حكمت تسعةً وخمسين عاماً ٧٣ ـ ١٣٢هـ وتوالى عليها عشرة خلفاء هم:

١ ـ عبد الملك بن مروان	٧٣ ـ ٨٦هـ
٢ ـ الوليد بن عبد الملك	٨٦ ـ ٩٦هـ
٣ ـ سليمان بن عبد الملك	٩٦ ـ ٩٩هـ

٤ ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان ٩٩ ـ ١٠١هـ
٥ ـ يزيد بن عبد الملك ١٠١ ـ ١٠٥هـ
٦ ـ هشام بن عبد الملك ١٠٥ ـ ١٢٥هـ
٧ ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥ ـ ١٢٦هـ
٨ ـ يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ ـ ١٢٦هـ
٩ ـ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ ـ ١٢٧هـ
١٠ ـ مروان بن محمد بن مروان ١٢٧ ـ ١٣٢هـ

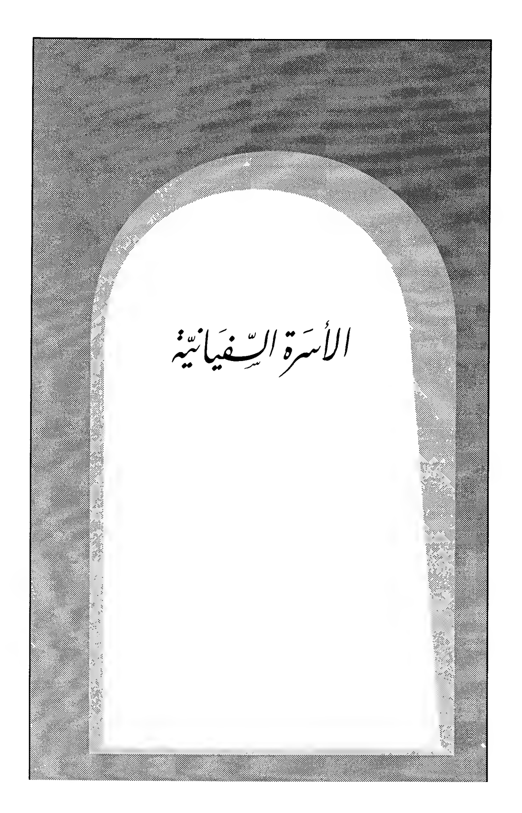
ويجب ألا ننسى أن عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، قد بقي تسع سنوات خليفة في الحجاز، واليمن، والعراق، وخراسان، ويعد هو الخليفة الشرعي من ٦٤ ـ ٧٣ أي من وفاة يزيد وحتى مقتله وفي هذه الأثناء لا يعد ملك معاوية الثاني ومروان بن الحكم وجزء من حكم عبد الملك خلافة وإنما استئثاراً واغتصاباً في جزء من أرض الإسلام.

بنو أمية



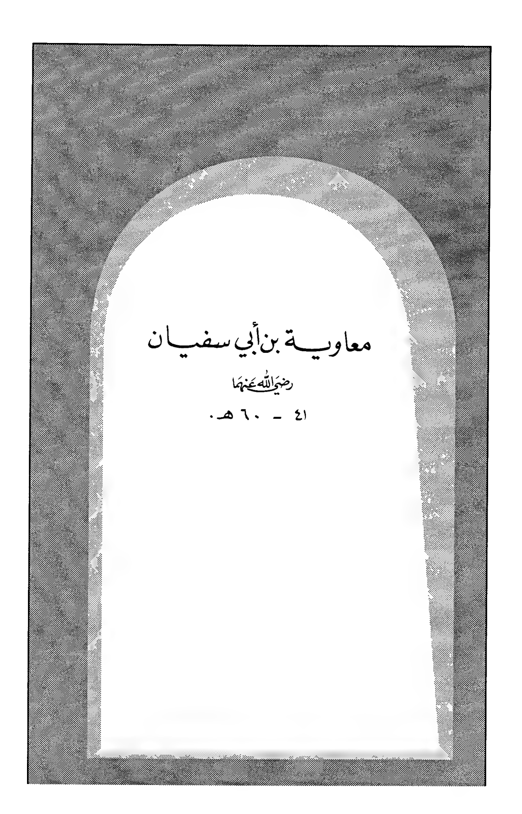
أمية
سفيان
حرب
صخر (أبو سفيان)
[١] معاوية
[٢ يزيد]
خالد
معاوية الثاني
أبو عمرو
أبو معيط
عقبة
عتبة
أبو العاص
عفان
عثمان
الحكم
مروان
[٣] عبد الملك
عبد العزيز
[٦] عمر
عبد الملك
عبد الله
عبد العزيز
محمد
مروان [١٢]
[٤] الوليد
[١٠] يزيد
[١١] إبراهيم
[٥] سليمان
[٧] يزيد
[٩] الوليد
[٨] هشام
عبد الله
مسلمة
العاص
سعيد
عمرو
خالد
العاص
سعيد
عمرو





الأسرة السِّفيانيّة





معاويـــة بن أبي سفيـان

رضي الله عنهما

٤١ ـ ٦٠ هـ.

نَسَبُهُ

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، كان أبوه «أبو سفيان» أحد سادات قريش عند بدء الدعوة الإسلامية في مكة، وسيدها بعد غزوة بدر الكبرى التي هلك فيها عدد من السادات. وقف أبو سفيان في وجه الإسلام وصدّ عن سبيل الله، وقاد قريشاً في أُحُد، وحزّب الأحزاب، وقاد الجيوش يوم الخندق. أسلم يوم فتح مكة، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً والطائف، وأعطي يوم تقسيم الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة، وكان يومها من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وأرسله رسول الله ﷺ عاملاً على نجران، كما جعله أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، على الصدقات في اليمن، وسار مع الفاتحين تحت راية ابنه يزيد، وخاض معركة اليرموك، وأبلى البلاء الحسن، وفقد عينه الثانية يومذاك، وكان قد فقد الأولى في الطائف، وعاش بعدها كفيفاً منصرفاً للعبادة حتى توفي عام ٣١هـ أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

أما أمه فهي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، فهي عبشمية كأبيه أي يلتقيان في النسب في عبد شمس. كانت قد تزوجت قبل أبي سفيان، ولما افترقت عن زوجها الأول قالت لأبيها: إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوّجني رجلاً حتى تعرضه عليّ. فقال لها: ذلك لك. وعرض عليها يوماً رجلين فاختارت أبا سفيان.

ووقفت مع زوجها وأهلها في وجه الدعوة، ويوم بدر قتل أبوها

عتبة وعمها شيبة، وأخوها الوليد، وابنها حنظلة مما زاد حقدها، وحرّضت يوم أحد على المسلمين، ومنّت وحشي غلام جبير بن مطعم بالأماني إن هو قتل الحمزة[1] عم رسول الله ﷺ، وقد فعل، وقد مثلت به، فبقرت بطنه، وأخذت كبده، فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها، فلفظتها، وكان معها عدد من النساء يمثّلن في القتلى، وقالت يومذاك مخاطبة المسلمين:

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سُعْر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي، وقضيتُ نذري	شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي على عمري	حتى ترم أعظمي في قبري

ولما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ونساء معها، وأتين رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه، فتكلمت هند فقالت: يا رسول الله الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتنفعني رحمك، يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله. ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بنت عتبة. فقال رسول الله: مرحباً بك. فقالت والله ما كان على الأرض أهل خباء أحبّ إليّ من أن يذلّوا من خبائك ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحبّ إلي من أن يعزّوا من خبائك فقال رسول الله: وزيادة. وقرأ عليهن القرآن، وبايعهن، فقالت هند من بينهن: يا رسول الله نماسحك؟ فقال: إني لا أصافح النساء، إن قولي لمائة امرأة مثل قولي لامرأة واحدة[2].

وروي أن نسوة أتين النبي ﷺ، فيهن هند بنت عتبة بن ربيعة وهي أم

---

(١) **الحمزة رضي الله عنه** ابن عبد المطلب، ولد قبل رسول الله ﷺ بأربع سنوات، أسلم في السنة الخامسة لبدء الدعوة، كان أحد أبطال المسلمين، واستشهد يوم أحد، وهو سيد الشهداء، ودفن مع ابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٨ ص٢٣٦.

معاوية يبايعنه، فلما أن قال رسول الله: لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن، قالت هند: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسّيك فهل عليّ حرج أن أصيب من طعامه من غير إذنه؟ قال فرخّص لها رسول الله في الرطب ولم يرخّص لها في اليابس. قال: ولا يزنين. قالت: وهل تزني الحرة؟ قال: ولا يقتلن أولادهن. قالت: وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر؟ قال: ولا يعصينك في معروف[1].

وروى أنه لما أسلمت هند جعلت تضرب صنماً في بيتها بالقدوم حتى فلّذته فلذةً فلذة، وهي تقول: كنا منك في غرور[2].

إذن حسن إسلام أمه، كما حسن إسلام أبيه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه.

إخوته

تزوج أبو سفيان صخر بن حرب عدة نساء أنجبن له، فكان لمعاوية عدة إخوة وهم:

١ ـ يزيد بن أبي سفيان: وأمه زينب بنت نوفل الكنانية، وقد أسلم يوم الفتح، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً، والطائف، وأخذ من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة، وكان أحد قادة الفتح، وكانت جهته دمشق، وتولى أمرها، وتوفي بطاعون عمواس سنة ١٨هـ.

٢ ـ حنظلة بن أبي سفيان: وأمه هند بنت عتبة، وقد قتل يوم بدر كافراً.

٣ ـ عمرو بن أبي سفيان: وأسر يوم بدر، وافتداه أبوه.

٤ ـ عتبة بن أبي سفيان: وأمه هند بنت عتبة، وكان سنداً لأخيه معاوية.

٥ ـ عنبسة بن أبي سفيان: وأمه ابنة أبي أزيهر الدوسي، وكان يحج في الناس في أول خلافة أخيه معاوية.

٦ ـ محمد بن أبي سفيان: وهو شقيق عنبسة، وابنه عثمان ولي أمر المدينة.

أما أخواته البنات فهن:

١ ـ رملة أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين، أسلمت مع زوجها عبيد الله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ وهاجرت معه إلى الحبشة، فلما تنصّر هناك فارقته، وخطبها النجاشي لرسول الله ﷺ، ودخلت في عداد أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، وقدمت إلى المدينة في السنة السابعة للهجرة بعد غزو خيبر. وأمها صفيا بنت أبي العاص بن أمية، وتوفيت في عهد أخيها معاوية.

٢ ـ أمينة بنت أبي سفيان: وأمها صفيا بنت أبي العاص بن أمية، تزوج أمينة حويطب بن عبد العزى العامري، ثم خلف عليها صفوان بن أمية.

٣ ـ جويرية بنت أبي سفيان: وأمها هند بنت عتبة، وتزوجها السائب بن أبي حبيش الأسدي، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن الحارث.

٤ ـ أم الحكم بنت أبي سفيان: وأمها هند بنت عتبة، وتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله.

٥ ـ هند بنت أبي سفيان: وأمها صفية بنت أبي عمرو بن أمية، وتزوجها الحارث بن نوفل بن الحارث.

٦ ـ صخرة بنت أبي سفيان: وأمها صفية بنت أبي عمرو بن أمية، وتزوجها سعيد بن الأخنس الثقفي.

٧ ـ ميمونة بنت أبي سفيان: وأمها لبابة بنت أبي العاص بن أمية، تزوجها عروة بن مسعود الثقفي، ثم خلف عليها المغيرة بن شعبة الثقفي.

٨ ـ عزة بنت أبي سفيان: وأمها صفيا بنت أبي العاص بن أمية، وهي التي عرضتها أختها أم المؤمنين على رسول الله ﷺ، فأجابها: «إن هذا لا يحلّ لي».

روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أم حبيبة، رضي الله عنها، قالت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان؟ قال: أو تحبين ذلك؟ فقلت: نعم، لست لك بمُخلِيَه، وأحب من شاركني في خير، أختي، فقال النبي ﷺ: إن هذا لا يحلّ لي، قلت: فإنا نحدّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة؟ قال: بنت أم سلمة؟ قلت: نعم، قال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلّت لي، لأنها ابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثوبية، فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن»[1].

تاسعاً ـ الفارعة بنت أبي سفيان: وتزوجها طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه.

---

(١) جامع الأصول: رقم الحديث ٩٠٣٦.

نسـاؤه وأولاده

تزوج معاوية بن أبي سفيان خمس نسوة هن:

أولاً ـ ميسون بنت بحدل الكلبية: وقد أنجبت له يزيداً، وأمةً ماتت صغيرة.

ثانياً ـ كتوة بنت قرظة: وكانت معه في غزوة قبرص، وقد ماتت هناك.

ثالثاً ـ فاختة بنت قرظة: وهي أخت كتوة، وقد أنجبت له عبد الرحمن، ومات صغيراً، وعبد الله وكان على شيء من الحمق.

رابعاً ـ نائلة بنت عمارة الكلبية: ولكن لم يلبث أن طلقها فتزوجها حبيب بن مسلمة الفهري، ثم خلف عليها النعمان بن بشير، وقتل وهي عنده.

خامساً ـ قريبة بنت أبي أمية المخزومي: وأمها عاتكة بنت عتبة بن ربيعة، فهي ابنة خالته، وكانت تحت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، تزوجها في الجاهلية، ثم طلقها معاوية فتزوجها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وهي أخت أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية.

ولم ينجب له بعد أن ضربه البرك بن عبد الله الخارجي في إليته عام ٤٠هـ إذ بعث بعدها معاوية إلى الساعدي ـ وكان طبيباً ـ فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد

وعبد الله ما تقرّ به عيني. فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد بعدها[1].

وكان معاوية رجلاً طويلاً، أبيض، جميلاً مهيباً، وكان عمر ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب، وعن علي قال: لا تكرهوا إمرة معاوية فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها، وكان يضرب بحلمه المثل[2].

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

حَيَاته

ولد معاوية في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة، ولم يعرف من أحداث مكة قبل الهجرة إلا القليل، ولم يشهد بدراً على الرغم من بلوغه العشرين إذ حضرها أخواه حنظلة، وعمرو، وقتل الأول منهما، وأسر الثاني. وحضر معاوية مع أبيه مقتل خبيب بن عدي بعد حادثة الرجيع، فلما رفع المشركون خبيباً على خشبة، وأوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلّغه الغداة ما يُصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً. فكان معاوية يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني على الأرض فرقاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعي عليه، فاضطجع لجنبه زالت عنه.

وحضر معاوية الخندق مع المشركين، وأصابه ما أصاب القوم من الهلع يوم كانت الريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقرّ لهم قدراً، ولا ناراً، ولا بناء. وكان رسول الله ﷺ قد دعا حذيفة بن اليمان فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون؟ ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا فذهب فدخل في القوم فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت قال: عمرو بن العاص.

أسلم معاوية عام الحديبية، وكان يكتم إسلامه من أبي سفيان، إلا أن أبا سفيان يبدو أنه قد لاحظ عليه ذلك، فكان يقول له: ابني خير منك - يقصد يزيد - فهو على ديني.

وجاء عام الفتح، ودخل رسول الله ﷺ مكة، وأسلمت قريش، وأظهر معاوية إسلامه، ولقي رسول الله ﷺ فرحب به.

شهد مع رسول الله ﷺ حنيناً، والطائف، وأعطاه رسول الله ﷺ، من الغنائم مائة بعير، وأربعين أوقية من الفضة وزنها له سيدنا بلال بن رباح، رضي الله عنه، وعُدّ يومذاك من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ.

روى عن رسول الله ﷺ مائة وثلاثة وستين حديثاً، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو الدرداء، وجرير بن عبد الله البجلي، والنعمان بن بشير، وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيب، وحميد بن عبد الرحمن.

وكان أبو سفيان قد انتقل وأهله إلى المدينة بعد إسلامهم، وآخى رسول الله ﷺ بين معاوية بن أبي سفيان والحُتات بن يزيد المجاشعي[١].

وقال رسول الله ﷺ لمعاوية «اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده»[٢].

وروى الترمذي عن أبي إدريس الخولاني، رحمه الله، قال: «لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص وولى معاوية، قال الناس: عزل عميراً، وولى معاوية، فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «واللهم اهد به»[٣].

وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) رواه الترمذي في باب المناقب رقم ٣٨٤١ باب مناقب معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، ورواه أيضاً أحمد في مسنده ٤/ ٢١٦.

(٣) رواه الترمذي في باب المناقب رقم ٣٨٤٢.

(٤) تاريخ الخلفاء ـ السيوطي.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ: «يا معاوية إذا ملكت فأحسن»[1].

وتوفي رسول الله ﷺ وهو عن معاوية راض.

وسيّر الخليفة أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، أربعة جيوش إلى الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وكان كل جيش منها يضم سبعة آلاف مقاتل تقريباً، واجتمع إلى أبي بكر بعدها أناس فوجههم إلى الشام، وأمّر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأمره باللحاق بيزيد، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد. وكانت هذه أول مهمة قيادية يتولاها معاوية في الفتوح، وشهد معاوية اليرموك، وفتح دمشق تحت راية أخيه يزيد.

وفي عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أرسل يزيد بن أبي سفيان حملة بإمرة أخيه معاوية إلى سواحل بلاد الشام فافتتحها.

وبقي من بلاد الشام بيت المقدس، وقيسارية، وجاء عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ففتحها صلحاً، وبعد الصلح انسحب عدد من أهلها إلى قيسارية التي كان يدعم الروم أهلها عن طريق البحر. فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان أن يسيّر أخاه معاوية إلى قيسارية، ووصل معاوية إلى البلدة، وعليها (ابنى) فهُزم الروم أمام معاوية، ودخلوا حصونهم، ولم يزل المسلمون يحاصرونها حتى فتحها الله لهم.

وفي عام ١٨هـ حدث طاعون عمواس، وذهب بكثير من رجالات المسلمين منهم: أبو عبيد بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وكان يزيد قد أقام أخاه معاوية مكانه في دمشق، فلما هلك يزيد أمّر عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، معاوية على دمشق ثم أضاف له الأردن، وفلسطين،

---

(١) المصدر نفسه.

وحمص، إذ توفي شرحبيل بن حسنة[1] بطاعون عمواس وهو على الأردن، وسار عمرو بن العاص لفتح مصر، وكان على فلسطين، ومات عمير بن سعد[2] الذي كان والياً على حمص بعد وفاة عياض بن غنم. وهكذا أصبحت بلاد الشام كلها تحت إمرة معاوية بن أبي سفيان.

وخرج عمر بن الخطاب إلى الشام، فرأى معاوية في موكب يتلقاه، وراح إليه في موكب، فقال له عمر: يا معاوية، تروح في موكب وتغدو في مثله؛ وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك! قال: يا أمير المؤمنين، إن العدو بها قريب منا، ولهم عيون وجواسيس، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزاً، فقال له عمر: إن هذا لكيد رجل لبيب، أو خدعة رجل أريب، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين، مرني بما شئت أصر إليه، قال: ويحك ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه إلا تركتني ما أدري آمرك أم أنهاك.

ولاحظ معاوية وهو ينازل الروم باستمرار أن قوتهم في البحر هي العامل الأساسي في بقائهم، وأن التهديدات البرية للروم لا قيمة لها إذ أن المدن الساحلية في الشام معرضة باستمرار للتهديد لذا فلا بدّ من إقامة قوة إسلامية بحرية توقف سلطان الروم البحري عند حده، وأحب قبل القيام بهذا المشروع استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب له: «يا أمير المؤمنين! إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم،

---

(١) شرحبيل بن حسنة: وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو من كندة حليف بني زهرة. ويكنى أبا عبد الله، أسلم قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ وكان أحد الأمراء القادة في عهد أبي بكر، وتوفي بطاعون عمواس سنة ١٨هـ، وحسنة هي أمه، وهي عدوية.

(٢) عمير بن سعد بن حِذْيَم بن سلامان: أسلم قبل خيبر، وهاجر إلى المدينة، وشهد خيبراً مع رسول الله ﷺ وما بعدها من المشاهد، ولي حمص بعد وفاة عياض بن غنم، وكانت تصيبه غشية فذكر ذلك لعمر بن الخطاب فسأله، فقال: كنت فيمن حضر خبيباً ـ رحمه الله ـ حين قتل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس إلا غشي عليّ، توفي سنة ٢٠هـ في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص فإن أذنت بركوب البحر». فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ليصف له البحر، فأجابه «إني رأيت خلقاً عظيماً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، إن مال غرق، وإن نجا برق» فلما قرأ عمر هذا الوصف كتب إلى معاوية: «لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً... وتالله لمسلم أحب إليّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي، وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء[١] مني ولم أتقدم إليه في مثل ذلك.

وتوفي عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وهو عن معاوية راض، وأتى عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وأقرّ معاوية على إمارته.

غزا معاوية أرض الروم، وكان على رأس صائفة، واستطاع أن يصل إلى عمورية إلى الجنوب من أنقرة قليلاً أنقرة اليوم، ومعه عدد من صحابة رسول الله ﷺ منهم عبادة بن الصامت[٢]، وأبو أيوب الأنصاري[٣]، وأبو ذر الغفاري[٤]، وشداد بن أوس[٥].

وأمر الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، واليه على الشام

---

(١) **العلاء الحضرمي**: وكان قد هاجم الفرس بحراً دون إذن الخليفة، وقد تعرضت قواته للهلاك لولا أن وصلتهم قوة كبيرة أنقذتهم من موقفهم الذي هم فيه.

(٢) **عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري**، ويكنى أبا الوليد، وأمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة بن مالك، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، خرج مجاهداً إلى الشام، وبقي حتى توفي فيها، في الرملة علم ٣٤هـ.

(٣) **أبو أيوب الأنصاري**: خالد بن زيد شهد العقبة، نزل رسول الله ﷺ في داره، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان بجانب علي، وتوفي أثناء غزو القسطنطينية عام ٥٢هـ، وعلى الجيش يزيد بن معاوية.

(٤) **أبو ذر الغفاري**، جندب بن جنادة الغفاري، أسلم قبل الهجرة، وأقام في قومه، ثم هاجر إلى المدينة بعد الخندق، غزا بالشام، وأقام بعدها هناك حتى أرسله معاوية إلى المدينة، مات بالربذة أيام عثمان.

(٥) **شداد بن أوس بن ثابت** النجاري الخزرجي الأنصاري، مات في فلسطين عام ٥٨هـ.

معاوية بن أبي سفيان أن يغزو حبيب بن مسلمة الفهري[1] أرمينيا، وسار حبيب نحو أرمينيا فوجد جيش أعدائه يزيد على ثمانين ألفاً فكتب بذلك إلى معاوية، وكتب معاوية إلى عثمان، وكتب عثمان إلى واليه على الكوفة آنذاك سعيد بن العاص[2] يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة، فأمده بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف، وقد تمكنت قوة المسلمين من تدمير جيش أعدائها.

أعاد معاوية طلب بناء قوة بحرية للمسلمين من الخليفة الجديد، ولم يزل به حتى عزم على ذلك بأخرة، ولكن قال له: لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه. ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي[3] حليف بني فزارة. وأصبحت السفن تبنى في عكا، وصور، وطرابلس على سواحل بلاد الشام.

غزا معاوية جزيرة قبرص، وصالح أهلها على سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين كل سنة وذلك في عام ٢٨ هـ، وساعد أهل مصر في تلك الغزوة بإمرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[4]، وكان معاوية على

---

(١) **حبيب بن مسلمة الفهري**: هاجر إلى المدينة صغيراً، وتوفي رسول الله ﷺ وعمره اثنتا عشرة سنة، نزل الشام، وكان مع معاوية، عرف بغزو الروم، ثم تولى أمر أرمينيا، ومات بها سنة اثنتين وأربعين.

(٢) **سعيد بن العاص بن سعيد العاص**: ولد في السنة الثانية للهجرة، وقتل أبوه يوم بدر كافراً. وقال عمر بن الخطاب لسعيد بن العاص ما لي أراك معرضاً كأنك ترى أني قتلت أباك؟ ما أنا قتلته ولكن قتله علي بن أبي طالب ولو قتلته ما اعتذرت من قتل مشرك ولكن قتلت خالي بيدي العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. فقال سعيد بن العاص: يا أمير المؤمنين لو قتلته كنت على حق وكان على باطل. فسرّ ذلك عمر منه. تولى لعثمان أمر الكوفة، وأخرجه أهلها، ورجع عن طلحة والزبير من الطريق يوم أراد البصرة، تولى أمر المدينة مرتين لمعاوية، وصلى على الحسن بن علي رضي الله عنهما عام ٥٩هـ.

(٣) **عبد الله بن قيس الحارثي**: أمير البحر، وبقي على البحر، غزا خمسين غزاة، صيفاً شتاءً، لم يغرق من جيشه أحد، ولم ينكب، قتله الروم عام ٥٣هـ وهو يطوف في أحد المرافئ متخفياً، دلتهم عليه امرأة كانت تتسول فأعطاها فعرفته فراسة.

(٤) **عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري**: من أبطال الصحابة، فارس بني عامر بن لؤي، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، وكان من كتاب الوحي، ارتد عن الإسلام، وعند=

الناس جميعاً، وكان بين الغزاة من صحابة رسول الله ﷺ المقداد بن عمرو[1]، وشداد بن أوس، وأبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، وكانت معه زوجه أم حرام.

وفي أيام إمارته على الشام وقعت معركة ذات الصواري البحرية عام ٣١ هـ، وكان قائد المشاة بسر بن أرطأة، وانتصر المسلمون انتصاراً كبيراً.

ونقض أهل قبرص عهدهم فأرسل إليهم حملة كبيرة دخلت الجزيرة عنوةً، ثم جهز معاوية حامية مؤلفة من اثني عشر ألفاً ونقلها إلى الجزيرة بمهمة حمايتها، فأقامت المساجد هناك، وبقيت الحامية هناك حتى أيام يزيد بن معاوية.

وغزا معاوية بلاد الروم على رأس صائفة فوصل إلى (حصن المرأة) قرب ثغر ملاطية. وبعدها شغل المسلمون بمشكلاتهم الداخلية، فتوقفت الفتوحات، وطمع فيهم أعداؤهم، وقتل سيدنا عثمان، رضي الله عنه، مظلوماً.

بويع سيدنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالخلافة، فعزل

= فتح مكة شفع له سيدنا عثمان بن عفان فأمنه رسول الله ﷺ بعد أن أهدر دمه، وحسن إسلامه، وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر، وتولى أمرها بعد عمرو بن العاص سنة ٢٥هـ، وبقي عليها مدة اثني عشرة سنة، زحف خلالها على إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعقبة بن نافع، ولحق بهم عبد الله بن الزبير غزا الروم بحراً وظفر بهم في معركة ذات الصواري عام ٣٤هـ.
خرج إلى الشام عندما تولى أمر مصر قيس بن سعد بن عبادة من قبل علي بن أبي طالب، واعتزل الحرب يوم صفين، ومات بعسقلان، وهو قائم يصلي. وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع.

(١) المقداد بن عمرو الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، وقيل أبو عمرو: صحابي، من الأبطال، من المسلمين الأوائل، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. كان في الجاهلية من سكان حضرموت. واسم أبيه عمرو بن ثعلبة، هرب المقداد إلى مكة بسبب خصام مع غيره وقع له في حضرموت فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له: المقداد بن الأسود حتى نزلت الآية ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾، شهد بدراً وغيرها، وسكن المدينة وتوفي على مقربة منها عام ٣٣هـ.

الولاة جميعاً، وتمّ له ذلك إلا أن معاوية رأى أن بلاد الشام لا يمكن تركها أبداً إذ أن الروم لذلك بالمرصاد، فماطل في بيعته وتأخر حتى عُدّ خارجاً على الخليفة على الرغم من اجتهاده في التأخر متعللاً بعدم بيعة الصحابة كافة، وسيطرة البغاة على المدينة، وعدم إقامة الحدود عليهم. وجرت الحروب بين الخليفة ووالي الشام، وكان ينادى أثناءها لعلي بن أبي طالب بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين، ويدعى معاوية الأمير، وانتهت الحروب بمقتل سيدنا علي على يد أحد الخوارج على حين نجا من ذلك القتل كل من أمير الشام معاوية بن أبي سفيان، وأمير مصر عمرو بن العاص.

بايع المسلمون الحسن بن علي بعد مقتل أبيه، وبقي معاوية خارجاً على الحكم حتى تنازل الحسن له وأصبح بعدها خليفة بصورة شرعية، وسمّي بذلك عام (٤١ هـ) عام الجماعة حيث عاد المسلمون إلى وحدتهم بعد خلاف استمر خمس سنوات.

خلافة معاوية

تُعدّ خلافة معاوية بدءاً من عام ٤١ هـ حيث تنازل له الحسن بن علي، رضي الله عنهما، حقناً لدماء المسلمين، وتوحيداً لكلمتهم، وتستمر حتى وفاته في رجب عام ٦٠ هـ وهي بذلك تزيد على تسعة عشر عاماً بحدود ثلاثة أشهر. أما ما قبل الخلافة فكان يعرف بالأمير.

وقد كانت هذه الخلافة خيراً للمسلمين، إذ انتهت مدة الفوضى والقتال، وطمع الأعداء باستعادة المراكز التي تخلّوا عنها، إذ وجّه المسلمون قوتهم إلى الخارج حيث عاد الجهاد وحدثت الفتوحات، وقطع الروم بخاصة أملهم في الرجوع إلى الأماكن التي فقدوها.

وسار معاوية بالناس سيرةً حسنةً فقرّب من كان بعيداً، واستمع ممن كان نائياً، وحرص على جمع الكلمة، إذ أعطى الحسن بن علي، رضي الله عنهما، ما أراد، وأمّن عبد الله بن عباس ووصله، وكذلك فعل بالنسبة إلى قيس بن سعد[1]، رضي الله عنهما، إذ كان على رأس جيش قوامه أربعون ألفاً أرسله سيدنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لقتال أهل أذربيجان، فلما قتل علي، وتنازل الحسن، أمّر هذا الجيش قيس بن سعد، وتعاهدوا

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة: صحابي، من أهل المكيدة في الحرب، ومن أهل الرأي، كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ، ويلي أموره، وفي البخاري أنه كان بين يدي النبي ﷺ بمنزلة الشرطي من الأمير. صحب علياً، رضي الله عنه، في خلافته، فاستعمله على مصر ٣٦ ـ ٣٧، وعزل بمحمد بن أبي بكر، وعاد إلى علي في العراق، وكان على مقدمته يوم صفين، ثم كان مع الحسن حتى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة وتوفي فيها عام ٥٨، وقيل إنه سكن تفليس وتوفي فيها. وكان من أطول الناس ومن أجملهم.

على قتال معاوية حتى يشترط لهم، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله، ويقول: على طاعة من تقاتل، وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟ فأبى قيس أن يلين له، حتى أرسل له معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، فقال: اكتب في هذا السجل ما شئت، فهو لك. فقال عمرو لمعاوية: لا تعطه هذا، وقاتله، فقال معاوية: على رسلك! فإنا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك! وإني والله لا أجد من قتاله بُدّاً. فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط فيه قيس له ولمن معه الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته. وقرّب إليه زياد بن أبيه، وقد كان من أنصار علي ووالي خرسان له، فلما قتل علي، وتنازل الحسن اعتصم زياد بخراسان فما زال معاوية به حتى أرضاه واستقدمه، ثم ولاّه.

وهكذا لم يبق في أيام معاوية معارض له، بل كل دخل في طاعته، وانخرط في صفوف المقاتلين، فعادت الفتوحات إلى أيامها الأولى، وكان الصحابة، رضوان الله عنهم، في طليعة المجاهدين أمثال عبادة بن الصامت، وأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وشداد بن أوس وغيرهم، كما تسلم بعض الصحابة الأعمال لمعاوية. وإذا كان قد بقي بعض أصحاب الآراء الخاصة إلا أن عددهم قليل، وهم ليسوا على ذلك المستوى إضافة إلى أنه لا يكاد يخلو منهم مجتمع، فقد بقي عدد من الخوارج يخفون آراءهم في الأحوال العادية ويظهرونها إن سنحت لهم الفرصة فأظهروا الشغب وأعلنوا الخروج على الدولة، ولم يكن أثرهم كبيراً أيام معاوية. وبقي عدد من المشاغبين وأهل الفوضى والأهواء، ومركزهم الرئيسي كان في الكوفة ثم في البصرة وهؤلاء يظهر شغبهم وقت اللين، ويختفون وقت الشدة، لذا فقد اشتهر ولاة هاتين المنطقتين بالشدة التي اضطروا إلى اللجوء إليها اضطراراً حتى غدوا نموذجاً في القسوة، وهذا السلوك هو الذي جعل

الكثيرين يحملون عليهم، وكان أهل العراق قد تقاعسوا عن سيدنا علي حتى قتل، وتقاعسوا عن الحسن حتى تنازل، ثم سلموا مسلم بن عقيل، وقاتلوا الحسين بعد أن طلبوا منه الحضور، وثاروا مع زيد بن علي بن الحسين ثم تخلّوا عنه وهكذا، ولهذا السلوك نفسه قتل حجر بن عدي، رضي الله عنه، وجُهل قاتله فاتهموا به الخليفة.

وقد كثر الحديث في بعض الموضوعات أيام معاوية، رضي الله عنه، ومنها مقتل حجر بن عدي، رضي الله عنه، وادعاء زياد بن أبيه، وتصرف الخليفة أحياناً ببعض بيت المال، أو تقديم أعطيات في سبيل المصلحة العامة رآها بعضهم تصرفاً ببيت المال، ثم صار الحديث في النهاية عن أخذ البيعة لولده يزيد، وقد عُدّت الأمور الأولى خاصة بمعاوية بينه وبين ربه يحاسب عليها وعلى اجتهاده فيها، أما البيعة فقد وقف ضدها عدد من الصحابة وأبناء الصحابة لأنها إمامة المسلمين جميعاً. وما عدا ذلك فقد كانت مدة خلافة سيدنا معاوية أنموذجاً لوحدة كلمة المسلمين وانتشار الفتوحات وسيادة الشرع، وسعادة الناس.

الولايـات

كانت الدولة الإسلامية عدة ولايات رئيسية، وربما يضم بعضها عدداً من الإمارات التي دون الولايات، وكان لبعض الولايات أهمية خاصة، وقد تزداد هذه الأهمية في مرحلةٍ من المراحل فيضاف لها عدد من الإمارات وقد تضعف باقتطاع أجزاء منها، وقد تكون الأهمية قد جاءت لما فيها من ثغور أو بما تتولاه من أمر الجهاد والقتال، ومن أشهر الولايات ذات الشأن أيام خلافة معاوية هي:

١ ـ **الشام**: وقد تولى أمرها يزيد بن أبي سفيان منذ فتحها، فلما هلك بطاعون عمواس عام ١٨ هـ أوكل سيدنا عمر بن الخطاب أمرها إلى معاوية بن أبي سفيان حسبما عهد يزيد أخوه إليه، واستمر أميراً لها حتى آلت الخلافة إليه، وهي مركز ثقله، وأهلها شيعته، قاتل بهم، وأطاعوه في كل أموره. وتشمل الأرض الممتدة من شمال جزيرة العرب حتى ذرا جبال طوروس، وتمتد من البحر الأبيض المتوسط في الغرب حتى أطراف الفرات، كما تضم أجزاء من الجزيرة.

وتعود أهميتها إلى أنها مركز الأمويين جميعاً، وفيها ثغور المسلمين على بلاد الروم، وتتركز فيها الصوائف والشواتي، وعلى موانئها تبنى السفن، وتتحرك الأساطيل لغزو البحر وقتال الروم أيضاً. وفيها عدد من الإمارات منها حمص التي كان من أشهر أمرائها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومنها قنسرين، وانطاكية، وطرابلس، والجزيرة.

ولم يحدث في هذه الولاية ما يُنغّص على الخليفة أي أمر بل كانت سنده في كل موضوع.

٢ ـ الكوفة: وتعود أهميتها إلى أنها تتولّى القتال في شمال العراق، والأكراد، وأذربيجان، وبلاد اللان، ومنطقة الجبال. وفي الوقت نفسه هي مركز ثقل بالنسبة للذين يرفضون الحكم الأموي، كما يقيم فيها عدد من الخوارج الذين يعادون أيضاً العهد الأموي واعتاد أهلها الخروج على الحكم ونقده كلما لان لهم الولاة فإذا اشتدوا عليهم خنعوا، ومن هذا التصرف فقد كان ولاة هذا المصر أعنف الولاة وأقساهم، وكان السكان يقبعون إلى بيوتهم ويتركون من تعهدوا نصرته إذا لاحت لهم شدة، وقد قتل حجر بن عدي، رضي الله عنه، أحد الذين سكنوا الكوفة، وكان لمقتله أثر كبير على الحكم.

خرج الحسن والحسين ابنا علي، رضي الله عنهم، من الكوفة، ومعهما عبد الله بن جعفر ابن عمهما باتجاه المدينة، ودخل معاوية الكوفة في جمادى الأولى عام ٤١ هـ، وولى عبد الله بن عمرو بن العاص، ولكنه عاد فعزله قبل أن يصل إليها، وأعطى أمرها للمغيرة بن شعبة الذي بقي أميراً عليها حتى توفي عام ٥٠ هـ، وقد سار في الناس سيرة لين ودهاء.

وغدت الكوفة بعد وفاة المغيرة تتبع زياد بن أبيه الذي كان يقيم فيها ستة أشهر وفي البصرة مثلها، كما ضمت إليه اليمامة وفي أيامه قتل حجر بن عدي. وعندما توفي زياد عام ٥٣ هـ. تولى أمر الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد مدة سنتين، ثم خلفه الضحاك بن قيس الفهري، واستمر عليها حتى عام ٥٨ هـ حيث عزل، وتولى أمرها عبد الرحمن بن أم الحكم ابن أخت معاوية، ثم تلاه النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، وبقي عليها حتى وفاة معاوية.

٣ ـ البصرة: وهي من العراق، وعلى مقربة من الكوفة، ولكن فتوحات المشرق تتبعها وهي: فارس، وخراسان، وسجستان ومن هنا تأتي أهميتها إذ تعدّ من أوسع الولايات، وواليها هو الذي يرسل الأمراء منها إلى الإمارات التي تتبعها، وإن كان الخليفة أحياناً يعينهم، أو يأمر بإرسال أشخاص بأعينهم، وأحياناً قليلة يكونون منفصلين عن البصرة.

بعد تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنهما، غلب على البصرة حُمران بن أبان، فوجه إليه معاوية بسر بن أرطأة فأخذ المنطقة، وفي نهاية العام عزل بسر بن أرطأة، وولي أمرها عبد الله بن عامر[1] الذي بقي فيها حتى عام ٤٤ هـ حيث عزل عنها، وتولى زياد بن أبيه أمرها، وبعد وفاة المغيرة بن شعبة ضمت إليه الكوفة وكذلك البحرين، واليمامة، وعُمان، وانتقل إلى الكوفة، وولي على البصرة سمرة بن جندب الفزاري، أما هو فكان يقيم بالكوفة ستة أشهر، وأخرى مثلها بالبصرة.

وبعد موت زياد عام ٥٣ هـ أصبح سمرة بن جندب هو الوالي على البصرة، ثم خلفه بعد ستة أشهر عبد الله بن عمرو بن غيلان، ثم عزله على ٥٥ هـ، وولى عبيد الله بن زياد البصرة وكان قبلها والياً على خراسان، وبقي فيها حتى توفي معاوية.

٤ ـ **خراسان**: وكانت تتبع البصرة أغلب الأحيان، ويُعيّن أمراؤها من قبل ولاة البصرة. وكانت مقراً للجهاد، لما تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنهما، لمعاوية عن الخلافة كان زياد بن أبيه في خراسان فاعتصم فيها في القلعة المعروفة باسم (قلعة زياد)، فلما استرضاه معاوية وقدم زياد إلى الشام كان عبد الله بن عامر والي البصرة فأرسل إلى خراسان قيس بن الهيثم، ثم عبد الله بن خازم، ولما أصبح زياد أمير البصرة أرسل إلى خراسان عام ٤٤ هـ طفيل بن عمرو اليشكري، ثم أرسل الحكم بن عمرو الغفاري، وبقي فيها حتى مات عام ٥٠ هـ فأرسل زياد إلى خراسان الربيّع بن زياد الحارثي، وكان الحكم قد ولّى مكانه أنس بن أبي ناس، وكتب إلى زياد بذلك، فخلع زياد أنساً، وعين مكانه خليد بن عبد الله الحنفي فبقي فيها شهراً، ثم جاء الربيّع بن زياد الحارثي إليها كما توجه إلى خراسان بأمر زياد غالب بن فضالة الليثي ليساعد الحكم بن عمرو الغفاري.

---

(١) **عبد الله بن عامر**: كان والياً على البصرة من قبل أيام عثمان بن عفان، وقد عزله علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، عندما تولى الخلافة، وأرسل مكانه عثمان بن حنيف.

وتوفي الربيّع عام ٥٣ هـ وخلفه ابنه عبد الله بن الربيّع، ولم يلبث شهراً حتى توفي أيضاً فخلفه خليد بن عبد الله الحنفي.

وفي عام ٥٤ هـ تولى أمر خراسان عبيد الله بن زياد، ولما أخذ ولاية البصرة في العام التالي بعث إلى خراسان أسلم بن زرعة، وفي عام ٥٧ هـ كان سعيد بن عثمان بن عفان والي خراسان، ثم عزل وتولى مكانه عبد الرحمن بن زياد.

ومن الإمارات التي كانت تتبع البصرة: إمارة سجستان، ومن أشهر أمرائها عبّاد بن زياد، وإمارة كرمان، ومن أشهر أمرائها شريك بن الأعور، وكان من قبل عبيد الله بن زياد.

٥ ـ **المدينة المنورة:** وهي أهم الولايات ومركز الثقل بالنسبة إلى الخلافة إذ فيها الصحابة وأبناؤهم من المهاجرين والأنصار ولا تكاد تنعقد البيعة إن لم يبايع أهل المدينة إذ فيها عدد من أهل الحل والعقد، ومن يطيعه الناس، ويسيرون برأيهم.

تولى أمر المدينة أيام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قثم بن العباس، ولكنه سيّره إلى مكة، وولى أمرها إلى سهل بن حنيف الذي كان قد أرسله إلى الشام إلا أن خيل معاوية قد أرجعته ولما تنازل الحسن لمعاوية، وعاد إلى المدينة بايعت المدينة، وولى معاوية أمرها مروان بن الحكم، واستمر عليها حتى عزل عام ٤٩هـ، حيث تولى عليها سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص[١]، ثم أعيد إليها مروان بن الحكم مرة ثانية عام ٥٤هـ، ولكنه عزل عام ٥٨هـ، وتسلم ولايتها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وبقي فيها حتى توفي معاوية.

أما بقية ولايات الجزيرة فكانت ذات أهمية قليلة لأنها ليست على ثغور، إضافة إلى بعدها، فكانت ولايات شرقي الجزيرة مثل البحرين،

---

(١) كان سعيد بن العاص قد تولى أمر الكوفة لعثمان بن عفان، رضي الله عنه، ثم عزله بناء على رغبة أهل الشغب.

وعُمان أو وسطها مثل اليمامة فكانت تتبع أحياناً البصرة، وتكون أحياناً ولايات خاصة يتسلمها ولاة لم يشتهر أمرهم كثيراً لعدم شهرة ولاياتهم، وكذا الأمر بالنسبة إلى اليمن.

وكانت هناك مكة المكرمة فقد تولى أمرها خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة المخزومي، وهو الذي كان قد أرسله إليها سيدنا علي بن أبي طالب، ثم أعيد، وأخيراً أرسل إليها علي قثم بن العباس، فلما تم الأمر لمعاوية أعاد خالد بن العاص بن هشام على مكة. وهناك الطائف وقد يجمع وال واحد الطائف ومكة، وقد تكونان تبعاً للمدينة.

٦ ـ **مصر**: كان عمرو بن العاص أميراً على مصر منذ أن فتحها أيام سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وبقي أميراً عليها حتى عزله سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما تولى الخلافة سيدنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أرسل إليها قيس بن سعد بن عبادة فدخلها وخرج منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وسار قيس بن سعد بن عبادة في مصر سيرة حسنة ورضي أهلها به وإن اعتزل بعضهم منهم: مسلمة بن مخلد، وبسر بن أرطأة، ومعاوية بن حُديج، فتركهم وشأنهم إلا أن بعض أنصاره كانوا يطالبونه بقتالهم ويكتبون إلى الخليفة بذلك، وجاءه الأمر، ولكنه استحسن رأيه فعزل، وولي مكانه محمد بن أبي بكر، وأراد قتال المعتزلين ولكنه هزم، فأرسل الخليفة علي والياً مكانه هو الأشتر النخعي إلا أنه مات في الطريق الأمر الذي اضطر معه أمير المؤمنين على الإبقاء على محمد بن أبي بكر والياً على مصر، وعندما حارب المعتزلين لم يوافقه كثير من أهل مصر فهزم أمام عمرو بن العاص وقتل، ودخل عمرو بن العاص مصر والياً عليها من قبل معاوية، وهكذا خرجت مصر من قبضة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

بقي عمرو والياً على مصر حتى توفي عام ٤٣هـ، فولى أمرها بعده ابنه عبد الله بن عمرو مدةً قصيرةً ثم تولّى عتبة بن أبي سفيان حتى عام

٤٤هـ، ثم تولى أمرها عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني[1] حتى عام ٤٧هـ، وخلفه في أمرها معاوية بن حُديج الذي ولّى أمر المغرب عقبة بن نافع الفهري الذي كان أمير برقة وبناءً على أوامر الخليفة، وفي عام ٥٠هـ عُزل معاوية بن حُديج عن مصر وإفريقية، ووُلّى أمرهما مسلمة بن مخلّد، فعزل عقبة بن نافع عن إفريقية، وأعطى أمرها إلى مولى له يقال له أبو المهاجر، ولم يزل مسلمة بن مخلّد عاملاً على مصر وإفريقية وأبو المهاجر في إفريقية حتى هلك معاوية.

---

(١) **عقبة بن عامر الجهني**: كان قارئاً، عالماً بالفرائض والفقه صحيح اللسان، شاعراً كاتباً، وهو آخر من جمع القرآن. شهد صفين مع معاوية، ومات عام ٥٨هـ.

الولايات في عهد معاوية بن أبي سفيان

سنة	الشام	الكوفة	البصرة			المدينة	مصر	إفريقية	برقة
				خراسان	سجستان				
٤١		المغيرة بن شعبة	حمران بن أبان بسر بن أرطاة	زياد بن أبيه		سهيل بن حنيف مروان بن الحكم	عمرو بن العاص		عقبة بن نافع
٤٢		المغيرة بن شعبة	عبد الله بن عامر	زياد بن أبيه قيس بن الهيثم	عبد الرحمن ابن سمرة	مروان بن الحكم	عمرو بن العاص		عقبة بن نافع
٤٣		المغيرة بن شعبة	عبد الله بن عامر	عبد الله بن خازم	عبد الرحمن ابن سمرة	مروان بن الحكم	عمرو بن العاص		عقبة بن نافع
٤٤		المغيرة بن شعبة	عبد الله بن عامر زياد بن أبيه	عبد الله بن خازم طفيل بن عمرو اليشكري	عبد الرحمن ابن سمرة	مروان بن الحكم	عتبة بن أبي سفيان		عقبة بن نافع
٤٥		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري		مروان بن الحكم	عقبة بن عامر		عقبة بن نافع
٤٦		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري		مروان بن الحكم	عقبة بن عامر		عقبة بن نافع
٤٧		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري		مروان بن الحكم	معاوية بن حُديج	عقبة بن نافع	

تابع الولايات في عهد معاوية بن أبي سفيان

سنة	الشام	الكوفة	البصرة			المدينة	مصر	إفريقية	برقة
				خراسان	سجستان				
٤٨		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري		مروان بن الحكم	معاوية بن حُديج	عقبة بن نافع	
٤٩		المغيرة بن شعبة	زياد بن أبيه	الحكم بن عمرو الغفاري		سعيد بن العاص	معاوية بن حُديج	عقبة بن نافع	
٥٠		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	الربيّع بن زياد الحارثي		سعيد بن العاص	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥١		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	الربيّع بن زياد الحارثي		سعيد بن العاص	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥٢		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	الربيّع بن زياد الحارثي		سعيد بن العاص	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥٣		زياد بن أبيه	زياد بن أبيه	عبد الله بن الربيع		سعيد بن العاص	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥٤		عبد الله بن خالد ابن أسيد	سمرة بن جندب الفزاري عبد الله ابن عمرو بن غيلان	عبيد الله بن زياد		مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	

تابع الولايات في عهد معاوية بن أبي سفيان

سنة	الشام	الكوفة	البصرة	البصرة: خراسان	البصرة: سجستان	المدينة	مصر	إفريقية	برقة
٥٥		عبد الله بن خالد ابن أسيد	عبد الله بن عمرو ابن غيلان عبيد الله بن زياد	أسلم بن زرعة		مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥٦		الضحاك بن قيس	عبيد الله بن زياد	أسلم بن زرعة		مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥٧		الضحاك بن قيس	عبيد الله بن زياد	سعيد بن عثمان ابن عفان		مروان بن الحكم	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥٨		الضحاك بن قيس	عبيد الله بن زياد	عبد الرحمن ابن زياد	عباد بن زياد	الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٥٩		عبد الرحمن بن أم الحكم	عبيد الله بن زياد	عبد الرحمن ابن زياد	عباد بن زياد	الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	
٦٠		النعمان بن بشير	عبيد الله بن زياد	عبد الرحمن ابن زياد	عباد بن زياد	الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان	مسلمة بن مخلّد	أبو المهاجر	

الفتوحات

كان الغزو أيام معاوية، رضي الله عنه، يشمل مناطق واسعة تمتد من المحيط الأطلسي في غربي إفريقية إلى البحر الأبيض المتوسط كله وتساير ذرا جبال طوروس، وبلاد القفقاس، وبلاد ما وراء النهر، وطخارستان، والأفغان، لتصل إلى بلاد السند فسواحل المحيط الهندي على بلاد الهند، وهي مع هذا الامتداد العظيم تشمل جبهتين رئيسيتين:

١ ـ **الجبهة الغربية**: التي تضم مناطق الروم.

٢ ـ **الجبهة الشرقية**: التي تضم مجموعات وثنية تعيش في شمال وشرقي الدولة الإسلامية.

الجبهة الغربية: وتشمل بلاد الروم والمناطق التي يسيطرون عليها سواء أكانت في البر مثل إفريقية ومنطقة الأناضول أم في البحر الذي كان آنذاك البحر الأبيض المتوسط والذي يسيطر عليه الروم، ويعرف وقتذاك ببحر الروم، ثم جاء المسلمون ينازلونهم فيه.

وقد لاحظنا أن الدولتين الكُبريين اللتين كانتا في صراع دائم عند ظهور الإسلام قد وقفتا في وجه الدعوة الجديدة إلا أن دولة الفرس قد انتهت وزالت من الأرض أمام جهاد المسلمين وضرباتهم المتتالية، على حين بقيت دولة الروم لمناعة أرضها، واتساع الأجزاء التي تحتلها، وقوتها البحرية الكبيرة على حين لم يكن للمسلمين في بداية الأمر قوة بحرية، لذا فقد وجه معاوية قوة كبيرة في البر ومثلها في البحر، بعضها إلى قلب بلاد الروم وعاصمتهم ليركز الروم جيوشهم هناك، كي يستطيع المسلمون في الوقت نفسه فتح البلاد الأخرى التي تخضع للروم إذ تضعف قوة الأعداء

وبالتالي مع الزمن يمكن أن يضعف الروم أساساً بزوال أملاكهم فيمكن فتح بلادهم. ومن هنا كانت الجبهة الغربية ثلاث جهات:

أ ـ بلاد الروم: وهي التي تعرف اليوم باسم بلاد الأناضول أو تركيا، وقد وصل المسلمون إلى تلك الجهات وتوقفوا عند أقدام جبال طوروس الممتدة من البحر الأبيض المتوسط عند (مرسين) نحو الشمال الشرقي حتى تصل إلى مناطق قريبة من البحر الأسود في هضبة أرمينيا، وقد أقيمت هناك ثغور وقلاع لكلا الجانبين ومن أشهرها مرسين، المصيصة، ومرعش، وملاطية، والحدث، وزبطرة، وخرشنة، وعين زربة وكانت الغارات على الروم لا تنقطع أبداً، وقد يحدث تقدم في بلاد الروم من قبل المسلمين إثر كثير من الغزوات لكن لا يلبث المجاهدون أن يعودوا إلى ثغورهم وقلاعهم وقد رتّب سيدنا معاوية في هذه الجهات الصوائف التي كانت تقوم بالغزو في فصل الصيف، والشواتي التي تقوم بالقتال في فصل الشتاء حتى تكون حروب دائمة تستنزف قوة العدو وتجعله في النهاية يخضع لحكم المسلمين وفي أثناء قتال مجموعة تكون المجموعة الثانية قد عادت إلى أماكن مرابطتها تجد الراحة وتتمتع بالنشاط مع أهليها حتى يحين موعد جهادها. وقد اشتهر من بين القادة في هذه المنطقة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبسر بن أرطأة الذي تقدم على رأس شاتية عام ٤٣ هـ حتى اقترب من القسطنطينية، ومالك بن هبيرة، وأبو عبد الرحمن القيني، وعبد الله بن قيس الفزاري، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وسفيان بن عوف الأزدي الذي توفي في أرض الروم، وعبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، ومحمد بن عبد الله الثقفي، وجنادة بن أبي أمية الأزدي، ومعن بن يزيد السلمي، ومحمد بن مالك، ومالك بن عبد الله الخثعمي، وعبد الله بن كرز البجلي، وعمرو بن مرة الجهني.

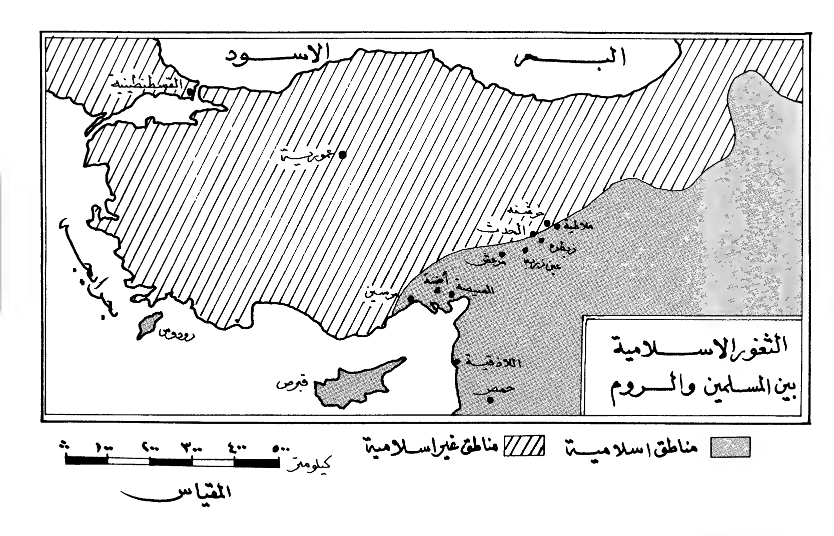
وكان هدف الغزوات جميعها القسطنطينية وبعضهم كان يقترب منها، وبعضهم يصل إلى عمورية في جنوب موقع أنقرة اليوم.

وفي عام ٥٠ هـ جهز معاوية حملة كبيرة من البر والبحر لتغزو

القسطنطينية، وأعطى قيادة جيش البر لسفيان بن عوف الأزدي، وجعل ابنه يزيد في قيادة الحملة إلا أن يزيد لم يخرج مع الحملة، أما الأسطول فقد قاده بسر بن أرطأة، وحوصرت عاصمة الروم، وجرت اشتباكات بين الطرفين خسر فيها المسلمون خسائر كبيرة، فعمل معاوية على إرسال نجدة كبيرة كانت بقيادة ابنه يزيد ومعه أبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وبوصول النجدة ارتفعت معنويات المجاهدين فاشتد الحصار وأصاب المسلمون من الروم وإن لم يستطيعوا فتح القسطنطينية، وقد استشهد في هذا القتال أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد، رضي الله عنه، وعبد العزيز بن زرارة الكلابي، وقد كانا على رأس الذين يثيرون حماسة المقاتلين.

وفي عام ٥٣ هـ أعيد حصار القسطنطينية مرة ثانية، وكان القائد في هذه المرة فضالة بن عبيد الأنصاري، وعلى الأسطول عبد الله بن قيس الحارثي، وجنادة بن أبي أمية، أما أسطول الشام فكان بإمرة يزيد بن شجرة الرهاوي، واستمر الحصار حتى عام ٥٧ هـ، ولم ينقذ القسطنطينية من الفتح إلا هبوب عاصفة هوجاء فرّقت الأسطول الإسلامي، وفي الوقت نفسه وصلت إمدادات إلى الروم من أوربا وخاصة من البلغار.

ب ـ **البحر**: منذ أن تسلم معاوية إمرة بلاد الشام وهو يطمح بمنازلة الروم بحرياً، وما أن سمح له الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، بذلك حتى انطلق في ذلك ليحمي المدن الساحلية، ويصدّ عنها غارات الروم وأساطيلهم، ولاحظنا كيف إنه فتح قبرص عام ٢٨ هـ، وأعاده عام ٣٣ هـ، وانتصر على الروم في معركة ذات الصواري، وغزا صقلية غزوة استطلاعية، كما غزا رودوس، وقد نظم التعاون بين الجيوش البرية والأساطيل تنظيماً دقيقاً، واشتهر من قادة البحر بسر بن أرطأة، ومالك بن هبيرة السكوني، والمنذر بن زهير، وخالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وفضالة بن عبيد الأنصاري، ويزيد بن شجرة الرهاوي، وعقبة بن



الثغور الاسلامية
بين المسلمين والروم
البحر الأسود
القسطنطينية
عمورية
خرشنة
ملاطية
الحدث
زبطرة
عين زربة
مرعش
أذنة
المصيصة
طرسوس
اللاذقية
حمص
قبرص
رودوس
مناطق اسلامية
مناطق غير اسلامية
كيلومتر
٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠
المقياس

نافع، وجنادة بن أبي أمية الأزدي، وغيرهم، ومن الملاحظ أن بعضهم كان يتسلم إمرة الجيوش البرية تارة أخرى قيادة الأساطيل فلم يكن هناك من اختصاص وإنما الروح المعنوية العالية تدفع المؤمن لأن يجاهد بأية منطقة كانت... كما يجب أن نعرف أن غزو البحر لم يكن محصوراً بأهل الشام من أبناء السواحل ولا بأهل مصر فقط بل أصبح جميع المسلمين مجاهدين في البر والبحر على حدٍ سواء، سواء أكانوا من أهل البادية الذين لم يروا البحر طيلة حياتهم أم من أبناء السواحل الذين اعتادوا على العمل فيه، وكلهم يجيد القتال، ويحسن التصرف، ويضحي بكل شيء ففي عام ٤٨ هـ قاد مالك بن هبيرة السكوني أهل مصر في البحر، وقاد أهل المدينة في البحر المنذر بن زهير وكان على الجميع خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، كما أنه من المعروف أن أكثر هؤلاء القادة كان من جزيرة العرب في الأصل، ومن أهل الداخل والبوادي

أسس معاوية داراً للصناعة البحرية في عكا، وجمع فيها مهرة الصناع الذين استقدمهم من اليمن ومن سواحل الخليج العربي، وأفاد من خشب جبال بلاد الشام، ورمّم ميناء صور، وطرابلس، وكانت تصنع فيهما السفن، كما تصنع في عكا. وأقام معاوية داراً لصناعة السفن البحرية في جزيرة الروضة في مصر عام ٥٤ هـ، وتمتاز السفن الحربية الإسلامية بكبر حجمها، وتنوعها، وإمكانات استيعابها وحملها كميات كبيرة من المواد والعتاد وأعداداً من الجند.

واتخذ معاوية خطة في نقل أعداد من العرب المسلمين إلى الجزر في البحر الأبيض المتوسط لحمايتها ونشر الإسلام على ربوعها.

تمّ نزول المسلمين بصقلية عام ٤٨ هـ، واستطاع فضالة بن عبيد الأنصاري فتح جزيرة (جربا) عام ٤٩ هـ وقد سار إليها على رأس شاتية في ذلك العام.

وفي عام ٥٠ هـ تم حصار القسطنطينية، وقد روى البخاري عن أم حرام بنت ملحان أن رسول الله ﷺ قال: «أول جيش من أمتي يركبون

البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم[1]». كما أعيد حصارها لمدة ٤ سنوات من عام ٥٣ ـ ٥٧ هـ.

وفي عام ٥٣ هـ فتح جنادة بن أبي أمية الأزدي جزيرة رودوس، ونقل معاوية جماعة إليها لحمايتها.

وفي عام ٥٥ هـ تمّ فتح جزيرة كريت، وبعد عامين فتحت جزر بحرايجة القريبة من القسطنطينية مقدمة لحصارها من جديد.

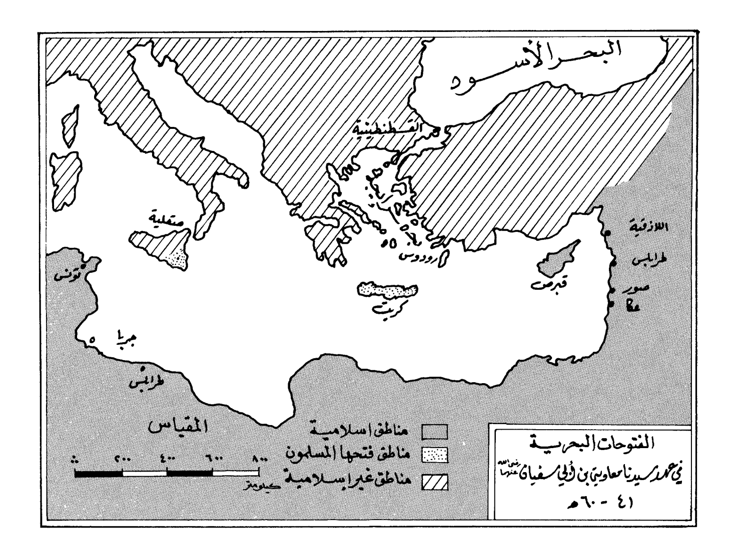
حـ ـ إفريقية: بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ أيام الخليفة عمر بن الخطاب تقدم نحو الغرب حتى وصل إلى طرابلس إلا أن الخليفة لم يأذن له بالتقدم نحو إفريقية، وكان قد وجّه عبد الله بن الزبير ففتح (مصراته)، وسيّر عقبة بن نافع ففتح (زويلة)، وأرسل بسر بن أرطأة ففتح ودّان، وعيّن عقبة بن نافع أميراً على حامية مرابطةٍ في برقة، وعين عبد الله بن سعد بن أبي سرح أمر الخليفة أميراً على الصعيد.

وعندما تولى عثمان بن عفان، رضي الله عنه، الخلافة أذن بفتح إفريقية، فأمر بإرسال قوة بإمرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح نحوها وأمده بجيش من المدينة فيه الحسن، والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، فالتقوا بأمير برقة عقبة بن نافع، ودخلوا طرابلس، وانتصروا على الروم قرب موقع القيروان، وفتحوا (قفصة).

نقضت إفريقية العهد فعاد عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها، وجدد فتحها. وبقي عقبة بن نافع أميراً على برقة، وكثيراً ما كان يحدث نقض العهد من قبل البربر فيقوم المسلمون بإعادة تسيير الجيوش، ويجددون الفتح.

---

(١) فيض القدير: رقم الحديث ٢٨١١.

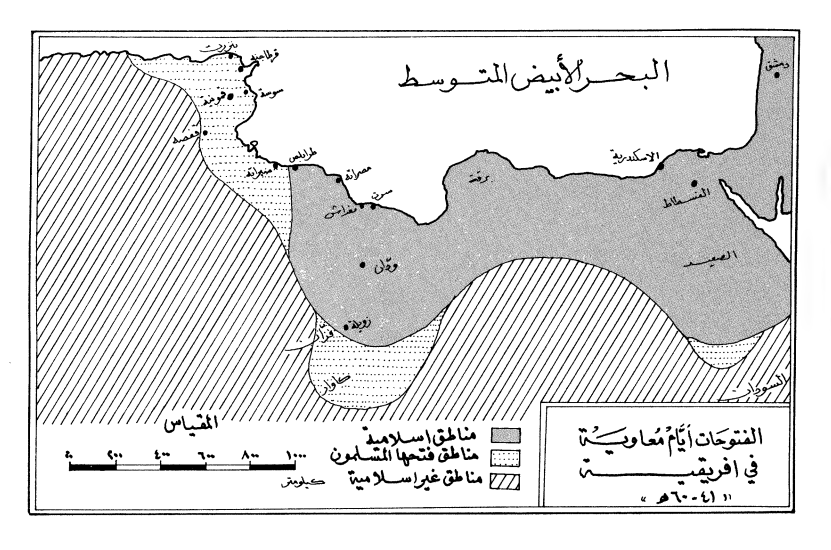

البحر الأسود
القسطنطينية
بحر إيجة
رودوس
صقلية
تونس
جربا
طرابلس
كريت
قبرص
اللاذقية
طرابلس
صور
عكا
المقياس
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠
كيلومتر
مناطق اسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير اسلامية
الفتوحات البحرية
في عهد سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما
٤١ - ٦٠ هـ

وعندما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان عاد عمرو بن العاص والياً على مصر، وكان قد دخلها منذ عام ٣٨ هـ، وتولى أمر المغرب معاوية بن حُديج ففتح بنزرت عام ٤١ هـ، كما دخل (قمونية) موضع القيروان عام ٤٥ هـ، وأرسل عبد الله بن الزبير ففتح سوسة في العام نفسه، ورجع معاوية بن حُديج إلى مصر فتولى أمر المغرب رويفع بن ثابت الأنصاري، وبقي عقبة بن نافع على برقة ففتح (سرت) و(مغداس)، وأعاد فتح (ودّان)، ودخل (فزان) ووصل إلى جنوبها إلى (كاوار)، ودخل (غدامس) و(قفصة) وابتنى القيروان كما فتح كوراً من بلاد السودان.

وفي عام ٥٠ هـ تولى أمر مصر مسلمة بن مخلّد فعزل عقبة بن نافع عن أمر المغرب وولى دينار أبو المهاجر فوصل إلى المغرب الأوسط هذا ما كان أيام معاوية في إفريقية، وهكذا جدد المسلمون فتح مناطق عدة مرات.

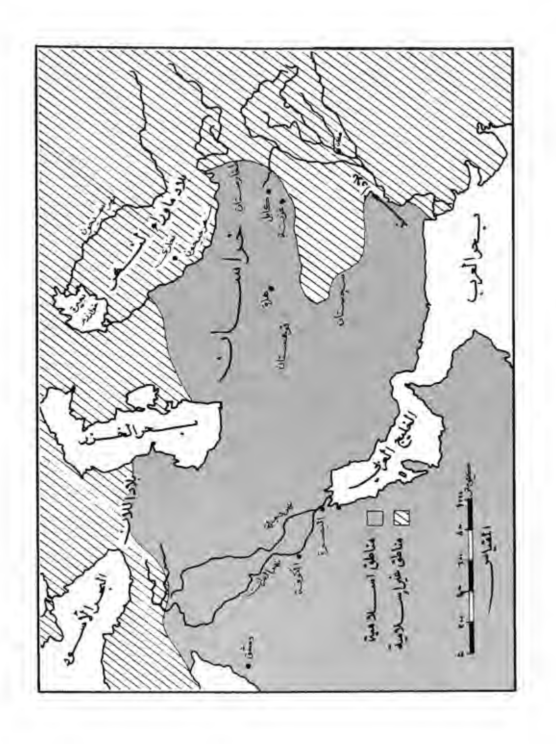
٢ ـ **الجبهة الشرقية**: ولم تكن ساحةً واحدةً، شأنها في ذلك شأن الجبهة الغربية، فكانت عدة ميادين، لأنها تقع على بلاد عدة أمم، ومعظمها وثنية بعكس الغربية التي يدين غالبية سكانها بالنصرانية، فنرى في الشمال شعوب القفقاس المختلفة التي أشهرها اللان، وفي الشمال الشرقي نجد الاتراك في بلاد ما وراء النهر، وكانوا على الوثنية أيضاً، وفي الشرق نجد طخارستان، وسجستان، وسكانهما من الوثنيين، وفي الجنوب الشرقي بلاد السند.

غزا المسلمون بلاد اللان عام ٤١ هـ، وفتحوا الرُّخّج وغيرها من بلاد سجستان عام ٤٣ هـ، ودخل الحكم بن عمرو الغفاري منطقة القيقان في طخارستان، وغنم غنائم كثيرة عام ٤٥ هـ، كما فتح المسلمون قوهستان، وفي عام ٥٥ هـ قطع عبيد الله بن زياد نهر جيحون ووصل إلى تلال بخارى.


الفتوحات أيام معاوية
في افريقية
" ٤١-٦٠هـ "
البحر الأبيض المتوسط
مناطق اسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير اسلامية
المقياس
٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠
كيلومتر
دمشق
الاسكندرية
الفسطاط
الصعيد
برقة
سرت
مصراتة
طرابلس
ودان
زويلة
فزان
كاوار
السودان
صبراتة
قفصة
سوسة
قمونية
قرطاجنة
بنزرت

وغزا المسلمون عام ٤٤ هـ بلاد السند بإمرة المهلب بن أبي صفرة، كما غزوا جبال الغور عام ٤٧ هـ، وكان المهلب مع الحكم بن عمرو الغفاري.

وكان سكان المناطق الشرقية ينكثون بالعهد مرة بعد أخرى ويعود المسلمون لقتالهم ودخول أراضيهم لذلك نلاحظ أن مناطق تلك الجهات قد فتحت عدة مرات، واستمرت مدة من الزمن على هذه الحال حتى دانت نهائياً أيام الوليد بن عبد الملك.



بحر العرب
الخليج العربي
بحر الخزر
خراسان
بلاد ما وراء النهر
بلاد اللان
البحر الأسود
هراة
سجستان
قوهستان
غزنة
كابل
طخارستان
بخارى
سمرقند
البصرة
الكوفة
دمشق
مناطق اسلامية
مناطق غير اسلامية
المقياس

الخــوارج

وهم الذين أجبروا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على وقف القتال في صفين، ثم رفضوا التحكيم، حتى دبّ الخلاف في جيش علي، رضي الله عنه، ولما عاد الجيش إلى الكوفة انحاز عنه اثنا عشر ألفاً، ولحقوا بقرية من قرى الكوفة تعرف باسم (حروراء) ومن هنا جاءت تسميتهم الحرورية، وجعلوا عليهم شبيب بن ربعي التميمي، وعلى صلاتهم عبد الله بن الكواء اليشكري من بكر بن وائل، فناظرهم سيدنا علي، وعادوا فدخلوا جميعاً الكوفة، ولكنهم كانوا يرددون (لا حكم إلا الله) وهي الكلمة التي قالها عروة بن أدية أحد هؤلاء الخوارج للأشعث الكندي عندما كان يقرأ صحيفة التحكيم إثر صفين.

ولما حدث التحكيم ورفضه علي وأصحابه، طالب الخوارج علياً بقبوله، وقالوا: دعوت له فلما حكم عليك رفضته، فاجتمع أربعة آلاف منهم واتجهوا نحو المدائن، وقد أمّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وقتلوا عامل علي عليها، وهو عبد الله بن خباب، فاضطر علي إلى السير إليهم، وترك الحركة نحو الشام التي أزمع الاتجاه نحوها وقتال أهلها. وحاول علي أن يثنيهم عن مقالتهم ويردّهم إلى صفه فكانوا يقتلون رسله، ويتهمونه بالكفر الأمر الذي اضطره إلى قتالهم في (النهروان) فقتل عبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير السعدي وغيرهما من القادة، ولم ينج من الخوارج يومذاك سوى عشرة وأبيد الباقون. ثم كان مقتل علي على يد أحدهم، وهو عبد الرحمن بن ملجم، وأصيب معاوية بجرح، ونجا عمرو بن العاص إذ لم يحضر صلاة فجر ذلك اليوم لمرض

ألم به، وأناب قاضيه خارجة بن حذافة فكان مصرعه وذلك أن الخوارج قد تعاهد ثلاثة منهم على قتل علي، ومعاوية، وعمرو حيث عدّوهم سبب ما نزل بالأمة.

واعتزل خمسمائة من الخوارج في (شهر زور) أيام علي، فلما قتل علي، وتنازل الحسن لمعاوية خرجوا «قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النُّخيلة، فقالت الحرورية الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهر زور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفّوا بوائقكم، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم! ما تبغون منا! أليس معاوية عدونا وعدوكم! دعونا حتى نقاتله، وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أُصبنا كنتم قد كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهروان، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة. وأخذت (أشجع) صاحبهم فروة بن نوفل ـ وكان سيد القوم ـ واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحر ـ رجلاً من طيء ـ فقاتلوهم فقتلوا»[1].

وفي عام ٤٢ هـ خرج حيان بن ظبيان السلمي، وكان أحد قادة الخوارج الذين نجوا في النهروان، وبرئت جراحهم، فخرج بعد شهر من معركة النهروان واتجه إلى الري[2] مع من يرى رأيه، وكان علي، رضي الله عنه، قد عفا عنهم وعددهم أربعمائة رجل، ولم يزالوا هناك حتى بلغهم مقتل علي، رضي الله عنه، فلما كان ذلك دعا حيان بن

(١) تاريخ الطبري ٥ ص١٦٥ ـ ١٦٦.
(٢) الري: موقع طهران اليوم أو على مقربة منها.

ظبيان أصحابه أولئك ـ وكانوا بضعة عشر رجلاً ـ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الإخوان من المسلمين، إنه قد بلغني أن أخاكم ابن ملجم أخا مراد قد قعد لقتل علي بن أبي طالب عند أغباش الصبح مقابل السدة التي في المسجد، مسجد الجماعة، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجه حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة، صلاة الصبح، فشدّ عليه، فضرب رأسه بالسيف، فلم يبق إلا ليلتين حتى مات فقال سالم بن ربيعة العبسي: لا يقطع الله يميناً علت قذاله بالسيف، فأخذ القوم يحمدون الله على قتله، رضي الله عنه، ولا رضي عنهم ولا رحمهم! ثم قال حيان لأصحابه: إنه والله ما يبقى على الدهر باق، وما تلبث الليالي والأيام والسنون والشهور على ابن آدم حتى تذيقه الموت، فيفارق الإخوان الصالحين، ويدع الدنيا التي لا يبكي عليها إلا العجزة، ولم تزل ضارّة لمن كانت له هماً وشجناً، فانصرفوا بنا ـ رحمكم الله ـ إلى مصرنا، فلنأت إخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى جهاد الأحزاب، فإنه لا عذر لنا في القعود، وولاتنا ظلمة، وسنة الهدى متروكة، وثأرنا من الذين قتلوا إخواننا في المجالس آمنون، فإن يظفرنا الله بهم نعمد بعد إلى التي هي أهدى وأرضى وأقوم، ويشفي الله بذلك صدور قوم مؤمنين، وإن نقتل فإن في مفارقة الظالمين راحة لنا، ولنا بأسلافنا أسوة. فقالوا: كلنا قائل ما ذكرت، وحامد رأيك الذي رأيت، فرِد بنا المصر فإنا معك راضون بهداك وأمرك، فخرج وخرجوا معه مقبلين إلى الكوفة.

وأقبلوا حتى نزلوا الكوفة، فلم يزالوا بها حتى قدم معاوية، وبعث المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة، فأحب العافية، وأحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى فيقال له: إن فلاناً يرى رأي الشيعة، وإن فلاناً يرى رأي الخوارج. وكان يقول: قضى الله ألا تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. فأمنه

الناس، وكانت الخوارج يلقى بعضهم بعضاً، ويتذاكرون مكان إخوانهم بالنهروان، ويرون أن في الإقامة الغبن والوكف، وأن في جهاد أهل القبلة الفضل والأجر.

وفزع الخوارج إلى ثلاثة نفر منهم: المستورد بن عُلّفة التيمي من تيم الرباب، وإلى حيان بن ظبيان السلمي، وإلى معاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسي - وهو ابن عم زيد بن حصين، وكان زيد ممن قتله علي، رضي الله عنه، يوم النهروان، وكان معاذ بن جوين هذا في الأربعمائة الذين ارتُثّوا من قتل الخوارج، فعفا عنهم علي، رضي الله عنه، فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان السلمي، فتشاوروا فيمن يولون عليهم. فقال لهم المستورد: يا أيها المسلمون والمؤمنون، أراكم الله ما تحبون، وعزل عنكم ما تكرهون، ولّوا عليكم من أحببتم، فوالذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ما أبالي من كان الوالي عليّ منكم! وما شرف الدنيا يزيد، وما إلى البقاء فيها من سبيل، وما نريد إلا الخلود في دار الخلود. فقال حيان بن ظبيان: أما أنا فلا حاجة لي فيها، وأنابك وبكل امرئ من إخواني راضٍ، فانظروا من شئتم منكم فسمّوه، فأنا أول من يبايعه. فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين: إذا قلتما أنتما هذا، وأنما سيدا المسلمين، وذوا أنسابهم في صلاحكما ودينكما وقدركما، فمن يرئس المسلمين، وليس كلكم يصلح لهذا الأمر! وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين إذا كانوا سواء في الفضل أبصرهم بالحرب، وأفقههم في الدين، وأشدهم اضطلاعاً بما حُمّل، وأنتما بحمد الله ممن يرضى بهذا الأمر، فليتوله أحدكما. قالا: فتوله أنت، فقد رضيناك، فأنت والحمد لله الكامل في دينك ورأيك، فقال لهما: أنتما أسن مني، فليتوله أحدكما، فقال حينئذٍ جماعة من حضرهما من الخوارج: قد رضينا بكم أيها الثلاثة، فولوا أيكم أحببتم، فليس في الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه: تولّها أنت، فإني بك راضٍ، وإني فيها غير ذي رغبة. فلما كثر ذلك بينهم قال

حيان بن ظبيان: فإن معاذ بن جوين قال: إني لا ألي عليكما، وأنتما أسن مني، وأنا أقول لك مثل ما قال لي ولك، لا ألي عليك، وأنت أسن مني، ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعه، ثم بايعه معاذ بن جوين، ثم بايعه القوم جميعاً، وذلك في جمادى الآخرة. فاتعد القوم أن يتجهزوا، ويتيسروا، ويستعدّوا، ثم يخرجوا في غرة الهلال هلال شعبان سنة ثلاث وأربعين، فكانوا في جهازهم وعدتهم.

وصل أمر الخوارج إلى المغيرة بن شعبة، وأنهم قد اجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان استعداداً للخروج، فأرسل إليهم شرطته، فأتوا بهم إليه، فقال لهم المغيرة: ما حملكم على ما أردتم من شق عصا المسلمين؟ فقالوا: ما أردنا من ذلك شيئاً، قال: بلى، قد بلغني ذلك عنكم، ثم قد صدق ذلك عند جماعتكم، قالوا له: أما اجتماعنا في هذا المنزل فإن حيان بن ظبيان أقرؤنا القرآن. فنحن نجتمع عنده في منزله فنقرأ القرآن عليه. فقال: اذهبوا بهم إلى السجن، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة، وسمع إخوانهم بأخذهم فحذروا. وخرج صاحبهم المستورد بن عُلّفة فنزل داراً بالحيرة، وكان أصحابه يتخلفون عليه ويتهجرون، فلما كثر اختلاف أصحابه عليه قال لهم صاحبهم المستورد بن عُلّفة التيمي: تحوّلوا بنا عن هذا المكان، فإني لا آمن أن يُطّلع عليكم.

ووصل الخبر إلى المغيرة بن شعبة فتكلم فيهم، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحب لجماعتكم العافية، وأكفّ عنكم الأذى، وأني والله لقد خشيت أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم، فأما الحلماء الأتقياء فلا، وأيم الله لقد خشيت ألا أجد بُدّاً من أن يُعصَب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل، فكفوا أيها الناس سفهاءكم قبل أن يشمل البلاء عوامكم. وقد ذكر لي أن رجالاً منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف، وأيم الله لا يخرجون في حي من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم وجعلتهم نكالاً لمن

بعدهم. فنظر قوم لأنفسهم قبل الندم، فقد قمت هذا المقام إرادة الحجة والإعذار.

ثم بعث المغيرة بن شعبة إلى رؤساء الناس فدعاهم ثم قال لهم: إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم، وقد قلت ما قد سمعتم، فليكفني كل امرئٍ من الرؤساء قومه، وإلا فالذي لا إله غيره لأتحوّلن عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يلم لائم إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر. فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم فناشدوهم الله والإسلام إلا دلّوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة، أو يفارق جماعة.

ووصل الخبر إلى رأس الخوارج المستورد بن عُلّفة، وكان قد نزل في منزل أحد رجال بني عبد قيس فارتحل عنه، وعلم المغيرة بما تمّ فأرسل إليهم معقل بن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف رجل، ولكنهم انطلقوا ليجدوا تعباً في اقتفاء أثرهم وعندها يقاتلهم الخوارج، وعرف معقل بن قيس خطة الخوارج هذه فأرسل طليعة له مؤلفة من ثلاثمائة فارس فلحقت بهم فاقتتلوا، فلم تثبت هذه الطليعة أمام الخوارج مع العلم أن كلا الفئتين يبلغ عددها ثلاثمائة فارس، وذلك في أرض المذار إلى الشمال من البصرة وفي منطقتها، وهذا ما دعا واليها عبد الله بن عامر أن يرسل في أثرهم ثلاثة آلافِ آخرين. فلما رأى الخوارج كثرة الطلب عليهم ولّوا وجههم شطر الكوفة ليقاتلوا معقل بن قيس ومن معه وحدهم بعيدين عن جند البصرة، فلحقهم أهل الكوفة حتى أدركوهم، وقاتلوهم فلم ينج منهم إلا خمسة أو ستة، وقُتل زعيمهم المستورد بن عُلّفة، كما قُتل معقل بن قيس الرياحي، قتل كل صاحبه في المبارزة، وخفّ بعد ذلك أثر الخوارج.

ولما ولي زياد بن أبيه أمر البصرة خافه الخوارج فخرج أحدهم وهو سهم بن غالب الهجيمي، وثار في الأهواز فأحدث فتنةً، ثم رجع واختفى، وطلب الأمان فلم يؤمنه زياد، وإنما قتله وصلبه وذلك عام ٤٦ هـ، وفي

الوقت نفسه خرج أيضاً الخطيم، وهو يزيد بن مالك الباهلي، فسيره زياد إلى البحرين، ثم أذن له فقدم، وقال له: الزم مصرك، وقال لمسلم بن عمرو: اضمنه، فأبى وقال: إن بات بعيداً عن بيته أعلمتك. ثم أتاه مسلم فقال: لم يبت الخطيم الليلة في بيته، فأمر به فقتل، وألقي في باهلة.

وفي سنة ٥٠ خرج اثنان أيضاً من الخوارج في البصرة وهما: زحّافِ الطائي، وقريب الأيادي، ومعهما سبعون رجلاً، ولكنهما قتلا وأصحابهما، وكان زياد شديداً على الخوارج، وكان يولي البصرة سمرة بن جندب، ويأمره بالشدة عليهم أيضاً، حتى قتل منهم عدداً كبيراً.

واشتد عبيد الله بن زياد والي البصرة على الخوارج، فسجن منهم الكثير، وقتل أكثر، وكان ممن قتلهم عروة بن أدية، ومرداس بن أدية أخو عروة، فالأول كان قد زجره وحاول وعظه، أما الثاني وهو مرداس، أبو بلال فقد خرج في الأهواز بعد أن كان سجيناً في سجن ابن زياد بالبصرة، ونجا هو على حين هلك أصحابه، واجتمع بالأهواز حول مرداس هذا أربعون رجلاً، فأرسل لهم ابن زياد جيشاً قوامه ألفا رجل، عليهم ابن حصن التميمي، فانتصر الخوارج عليهم في معركة دارت بآسك فقال قائلهم:

أألفا مؤمن منكم زعمتم	ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك ما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونا
هي الفئة القليلة كما علمتم	على الفئة الكثيرة ينصرونا

كان الخوارج بدواً أجلافاً يُظهرون شدّةً في الإيمان، لا يقتنعون إلا بما في رؤوسهم، ولا يمكن تغيير ذلك بسهولة، ويرون أن المسلمين قد أحدثوا الكثير، فيرمون عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب بالأخطاء بل بالكفر، ويرون أن الناس قسمان: مؤمن، وكافر وليس هناك غير ذلك، لذا عدّوا كل من لا يرى رأيهم من المسلمين كافراً عليه التوبة والتبرؤ مما

أحدثه عثمان، وعلي، رضي الله عنهما. وقد لقي المسلمون منهم الويلات الكثيرة إذ كانوا يستبيحون دم المسلمين، ويقاتلون بضراوة وتضحية، ويعتقدون في ذلك استشهاداً لذلك فقد أبلوا في معاركهم البلاء الكثير. وكانت عبادتهم نموذجاً في الخشوع والإطالة، وتروى الروايات الكثيرة في ذلك، وشعرهم يطفح بالشجاعة والإقدام.

بيعة يزيد

شعر معاوية بالضعف، وأحس بالتعب بعدما عانى في الإمارة والخلافة الشيء الكثير، ورأى الموت يقترب منه، وهو غاية كل حي، ونظر إلى الدولة وقد توحدت أركانها، واتفق ساكنوها، بعد الذي بذله، وخشي أن تعود أشتاتاً بسبب الحكم والعمل على تسلم السلطة.

ورأى أن العهد بالخلافة أفضل من ترك الأمر على غاربه يختار المسلمون الذي يرونه ولربما يكون هذا هو الأفضل عندما يكون الناس كلهم كالصحابة ولكن أنى لهم في هذا الوقت الذي اختلف فيه أكثرهم، وتصادموا وتقاتلوا، ونظر فرأى أن أبا بكر قد عهد لعمر فسارت المياه في مجاريها بشكل طبيعي، ولكن عندما لم يُعهد حدثت فتن أو كادت أيام بيعة عثمان، وعلي، لذا قرر أن يعهد بالخلافة.

ونظر إلى مقر الخلافة فوجد أن الشام أكثر الأماكن صلاحاً فيجب أن يبقى مركز الحكم فيها، إذ أن أهلها كلهم على رأي واحد، وهي أقرب البقاع إلى منطقة الثغور، وفيها بطانته، ومنها قوته فيستطيع أن ينفذ الخليفة الجديد أوامره بكل يسرٍ وسهولة، أما العراق فهي مركز الفوضى، ويُحكم أهلها بالقوة والسلطان، وأما مصر فيمكن أن يسيطر عليها سيطرة تامة أي إنسان يحمل لقب الحاكم أو الأمير، على حين أن أهل الشام لا يحكمهم إلا الدهاء وإظهار الكياسة والتقرب إليهم، أما المدينة فهي مركز الثقل، وفيها بقية الصحابة وأبناؤهم، ومنها تؤخذ البيعة، ومنها يكتسب الخليفة السلطة الشرعية فمن أيدته لقي الدعم، ومن رفضته وجد العناء والتعب والمقاومة إلا أن اختلاف الصحابة وأبنائهم يؤثر على وحدة الأمة واجتماع

كلمتها لذا فالأولى أن تؤخذ البيعة من المدينة، ولا يترك لأهلها الأمر فلربما وقع الخلاف وحدث ما قد سبق أن حدث وهو أمر صعب بين الصحابة أو بين أبنائهم، والأمر أخفّ على المجتمع فيما لو وقع بين غيرهم، لذا قرر أن يكون الخليفة من الشام، وبها.

ونظر إلى أهل الشام فغلبت عليه عاطفة الأبوة وبخاصة أن يزيد وحيد إذ أن أخاه عبد الرحمن قد مات صغيراً، وأن أخاه عبد الله كان أحمق، ولربما زيّن له بعض الناس ذلك من قبل فسار هواه في هذا الاتجاه تحت تأثير عاطفة الأبوة، وهذا ما تشير إليه كتب التاريخ من تزيين المغيرة بن شعبة له بذلك على حين توفي المغيرة في سنة ٤٩ هـ، وعلى كل فقد وافق على ذلك، ويزيد شاب مدلل نشأ في بيت الإمارة والخلافة وحيداً، تنقصه الخبرة الاجتماعية، وإن كانت رغبة والده في أن يزيده منها فسيّره كما رأينا على رأس الجيش الذي سار لغزو القسطنطينية، ولكن لم يكتسب في ذلك الخبرة الكافية على الرغم من وجود بعض الصحابة في ذلك الجيش، وأبناء الصحابة، ولكن هذا التصميم من قبل الخليفة لا بدَّ للحصول على البيعة من موافقة أهل المدينة وما عداهم فالأمر ميسور يكتفي بموافقة ولاة العراق ومصر، والشام أمرها مضمون.

وفي سنة ستٍّ وخمسين دعا معاوية لبيعة ابنه، فبايعه أهل الشام، وكتب إلى مروان بن الحكم واليه على المدينة ليأخذ البيعة من أهل المدينة فوجد معارضة، فسار معاوية معتمراً، فلما اجتاز المدينة بعد عودته من مكة، ودعا بكتابٍ فقرأه على الناس باستخلاف يزيد إن حدث به حدث الموت فيزيد ولي عهده، فاستوسق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر هم: الحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، فكلمهم معاوية جميعاً فكل يقول له: إن اجتمعت الأمة على أحد بعدك بايعت إن لم يبق غيري.

وفي عام ٦٠ هـ وفد عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ومعه وفد فأخذ معاوية البيعة ليزيد منهم، ولما مرض معاوية دعا ابنه يزيد فقال له: يا

بني، إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي أستتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس.

ولما حضرت معاوية الوفاة في منتصف رجب من سنة ستين ـ وكان يزيد غائباً، دعا بالضحاك بن قيس الفهري ـ وكان صاحب شرطته ـ ومسلم بن عقبة المري فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيد وصيتي، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إليّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإذا أصبته فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم، وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

وتوفي معاوية، وصلى عليه الضحاك بن قيس، وكان يزيد بحوارين، فأقبل وقد دفن أبوه، فأتى قبره فصلى عليه، ودعا له، وقد دفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير.

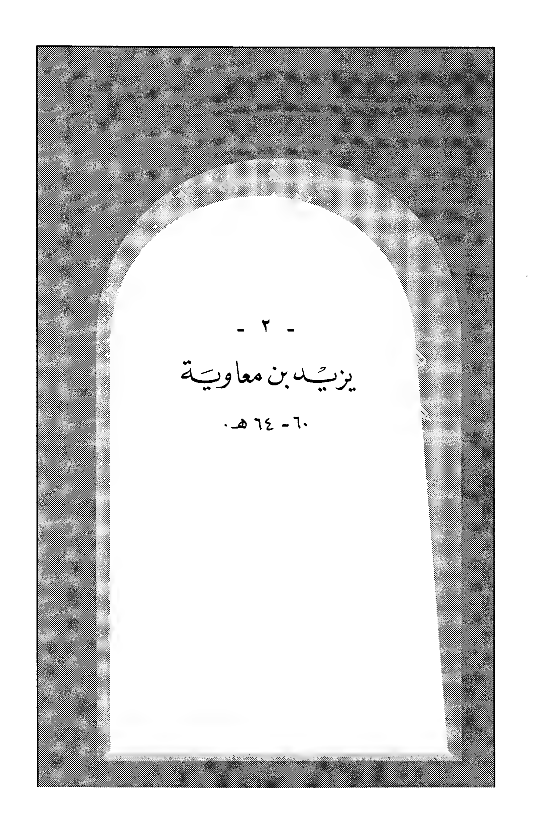
توفي معاوية، رضي الله عنه، وكان صحابياً جليلاً يكفي ما ذكرناه من أحاديث في فضله، وإن كنا نرى أنه قد أخطأ في اجتهاده في خروجه على الخليفة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وفي بيعته لابنه يزيد، ومع ذلك يؤجر على اجتهاديه هذين.

ومعاوية أول من خطب الناس قاعداً، وأول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد، وأول من أحدث الأذان في العيد، وأول من نقص التكبير، وأول من قيل له السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمك الله، وأول من وضع البريد في الإسلام، وأول من

اتخذ ديوان الخاتم، وأول من اتخذ المقصورة بالجامع، وأول من أذن في تجريد الكعبة، وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئاً فوق شيء، وأول من استحلف في البيعة.

ولما مات معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر، وأكفان معاوية على يديه تلوح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن معاوية كان عود العرب، وحد العرب، قطع الله عز وجل به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح به البلاد، إلا أنه قد مات، فهذه أكفانه، فنحن مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلّون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى.





- ٢ -

يزيد بن معاوية

٦٠ - ٦٤ هـ.

حَيَاته

ولد يزيد سنة ست وعشرين للهجرة في خلافة سيدنا عثمان بن عفان، وكان أبوه أميراً على الشام فنشأ في بيت الإمارة على شيء من الدلال وخاصة أنه كان ـ كما ذكرنا ـ الوحيد بين إخوته إذ توفي أخوه عبد الرحمن صغيراً، أما أخوه الثاني وهو عبد الله فكان على شيء من الحمق. وعندما شب يزيد انصرف إلى اللهو والصيد، واستمر على ذلك، أما ما ينعت به من غير ذلك فهو بعيد الوقوع. ولم يكن على صلة بالحياة الاجتماعية التي تجعله بين القادة والأمراء ورجال الحكم وإنما كان منصرفاً إلى ما هو عليه، ولما صار له من العمر أربع وعشرون سنة أحب أبوه أن يثنيه عما هو عليه فاختاره أميراً للجيش الذي يتجه إلى غزو القسطنطينية فسار مكرها، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى سيرته الأولى حتى كان عام ثلاث وخمسين إذ أراد معاوية أن يبايع له فكتب إلى زياد بن أبيه يستشيره في ذلك، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النمري يأخذ رأيه في الموضوع، وقال له: إن أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد، وهو يتخوف نفرة الناس، ويرجو مطابقتهم، ويستشيرني، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رَسْلة وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد، فالق أمير المؤمنين مؤدياً عني، فأخبره عن فعلات يزيد، فقال له: رويدك بالأمر، فأقمن لك ما تريد، ولا تعجل فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت. وقال عبيد له: أفلا غير هذا! قال: ما هو؟ قال: لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تمقّت إليه ابنه، وألقى أنا يزيد سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في بيعته، وإنك تخوّف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه، وأنك ترى له ما تريد، فتكون نصحت

يزيد، وأرضيت أمير المؤمنين، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحجره، اشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مستغش وأبعد بك إن شاء الله من الخطأ، قال: تقول بما ترى، ويقضي الله بغيب ما يعلم. فقدم على يزيد فذاكره ذلك، وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة، وألا يعجل، فقبل ذلك معاوية، وكفّ يزيد عن كثير مما كان يصنع[١].

وكان مكانه المفضل بلدة حوارين من قرى حمص، إلى الشمال الشرقي من دمشق، وهي موقع بلدة القريتين اليوم.

---

(١) الطبري الجزء الخامس.

أُسْرَتُهُ

تزوج يزيد أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فأنجبت له:

١ ـ معاوية بن يزيد: ويكنى أبا عبد الرحمن، كما يعرف باسم أبي ليلى، وقد بويع بعد أبيه.

٢ ـ خالد بن يزيد: ويكنى أبا هاشم وقد انصرف إلى عمل الكيمياء.

٣ ـ أبو سفيان بن يزيد:

وبعد وفاة يزيد تزوج أم هاشم مروان بن الحكم.

وتزوج أيضاً يزيد أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فأنجبت له عبد الله بن يزيد ويعرف بلقب «الأسوار».

وكان له عدد من الأولاد من أمهات أولاد كثيرة ومن أبنائه هؤلاء: عبد الله الأصغر، وأبو بكر، وعمر، وعتبة، وعبد الرحمن، وحرب، والربيع، ومحمد، ويبدو أن لمحمد هذا الأخير عقب لا يزال موجوداً حتى الآن في شبه جزيرة العرب في المنطقة المعروفة باسم عسير، إذ فرّ أحد أحفاده إلى هذه البقعة عند قيام الدولة العباسية وملاحقة الأمويين، واستطاع بعد مدة تأسيس إمارة بسطت نفوذها على المنطقة، واستمرت في أمرها حتى العصر الحديث، وكان منها آل عائض بن مرعي الذين كان لهم حكم المنطقة قبل سيطرة عبد العزيز آل سعود على أكثر الجزيرة.

خلافته

رشح سيدنا معاوية ابنه يزيد للخلافة، وعهد إليه، وأخذ موافقة الأمصار على ذلك عدا رجالات بالمدينة، ينظر إليهم لذاك المنصب، ويحسب لهم حساباً كبيراً في الدولة الإسلامية كلها، فقد رفضوا هذا الترشيح، وأظهروا أن هذا لم يكن من الإسلام. وولاية العهد هي ترشيح لمنصب، ولا يمكن أن تكون بيعة لاثنين في وقت واحد الخليفة وولي عهده، فإذا مات الخليفة أخذت البيعة من جديد لمن رشحه الخليفة السابق أو رفضت تلك البيعة ورفض الترشيح معها، وعهد لآخر، وأخذت له البيعة، فلا بدّ إذن من بيعة جديدة لأنه الترشيح الأول يكون قد حصل عليه بالإكراه والضغط بصفة المنصب الذي يحتله من أعطى الترشيح وجعله ولياً للعهد، وهذا تقريباً ما تمّ أيام سيدنا معاوية. فلما مات الخليفة بايعت الأمصار من جديد يزيد، عدا النفر الأربعة الذين ذكرنا من أبناء الصحابة، رضوان الله عنهم، وهم: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وتعدّ البيعة ليزيد قد انعقدت ما دامت الأمصار قد وافقت على ذلك وولاتها، وإن بقي عدد من الرجال لم يبايع، فبيعة علي بن أبي طالب صحيحة على الرغم من عدم مبايعته من قبل سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وأسامة بن زيد وعدد آخر. وعلى هذا فقد أصبح يزيد بن معاوية خليفة للمسلمين.

وكان همّ يزيد، وشغله الشاغل الحصول على البيعة من المدينة وخاصة من هؤلاء لما لهم من مكانة بين المسلمين، ولو تركهم لكان خيراً، فالبيعة صحيحة، وتسير الأمور بشكل طبيعي، ولكن سوّلت له نفسه

متابعتهم وأخذها منهم بأية صورة من الصور، ولربما كان ذلك ليقوّي مركزه بين المسلمين، كما يتصور ذلك، أو خوفاً من منازعة أحدهم له، فكتب إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بعد موت معاوية، وقبل وصول الخبر:

بسم الله الرحمن الرحيم. من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوّله ومكّن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات براً تقياً والسلام.

وكتب إليه في صحيفة صغيرة ثانية:

أما بعد، فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام.

دعا الوليد الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فحضر الحسين وعندما جلس أقرأه الوليد كتاب يزيد، ونعى له معاوية، ودعاه إلى البيعة، فقال الحسين! إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله معاوية، وعظّم لك الأجر! أما ما سألتني عن البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؛ قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً، فقال له الوليد: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

أما عبد الله بن الزبير فقال: آتيكم، ثم تأخر فكثرت عليه الرسل، فغادر المدينة إلى مكة، وبعد يوم تبعه الحسين، ولم ينصرم شهر رجب بعد، وكان خروج الحسين مع أكثر أهل بيته: بنيه، وإخوته، عدا محمد بن الحنفية فقد بقي، ونصح أخاه. وإخوته وأبناءهم.

وبايع عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس بعد أن بايعت الأمصار.

ثم عزل يزيد أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وجعل مكانه

والي مكة عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، فأرسل جيشاً بإمرة عمرو بن الزبير إلى مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير، ولكن الجيش هزم، وقتل منه أنيس بن عمرو الأسلمي، وأخذ عمرو بن الزبير أسيراً فسجن في سجن أخيه، وهكذا فقد تمت خلافة يزيد ولم يخرج عنها سوى الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، وكانت إقامتهما في مكة بصفتها حرماً آمناً.

الولايَـات

كانت ولايات الحجاز والعراق مسرح الأحداث التي وقعت في أيام يزيد بن معاوية، أما باقي الولايات فكانت عادية لم يحدث فيها ما يعكر الصفو، وحدثت فتوحات في إفريقية فقط، أما باقي الجبهات فقد هدأت حركة الجهاد فيها بسبب الأحداث الداخلية التي تمت.

المدينة: كان أهل المدينة غير راضين على بني أمية عامةً وعلى بيعة يزيد خاصةً، وما أعطوها إلا كرهاً وتجنبا للفتن، وينتظرون الساعة التي ينقضّون فيها على الأمويين وقد تولى أمرها منذ أيام معاوية الأخيرة ابن أخيه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولما لم يستطع أخذ البيعة ليزيد من الحسين وابن الزبير فقد عُزل، وأعطيت لوالي مكة عمرو بن سعيد بن العاص الذي جمع المنطقتين إليه. ثم عاد الوليد بن عتبة عام ٦١ هـ فتولى أمر مكة والمدينة، ثم أخذت منه المدينة، وأعطيت لابن عمه عثمان بن محمد بن أبي سفيان عام ٦٢ هـ، وهو الذي ثار عليه أهل المدينة، وولّوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل حتى جاء مسلم بن عقبة المري، وعندما خرج إلى مكة ولّى عليها روح بن زنباع، وتوفي يزيد وجيش الشام في مكة.

مكة: كان أهل مكة مثل أهل المدينة لا يرغبون في يزيد، وينظرون إلى أحد أبناء الصحابة ليكون على أمر المسلمين، وخاصة الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، ولكنهم قد سكتوا بعد بيعة ابن عمر، وابن عباس، ولكون مدينتهم بلداً حرماً آمناً لا يريدون أن يحدثوا فيه فتنة، ولأنه لم يدعهم إلى البيعة أحد هؤلاء

الأقطاب الذين لهم مكانتهم في أمصار الدولة كافة، وكان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص، ثم أعقبه الوليد بن عتبة مدة عهد يزيد بن معاوية. ولما رفض ابن الزبير البيعة ليزيد جاء جند من المدينة بإمرة أخيه عمرو بن الزبير إلا أنهم هزموا، وسجن عمرو بن الزبير في سجن أخيه. ثم جاء جيش الشام بإمرة الحصين بن نمير بعد موت مسلم بن عقبة المري، وحاصر مكة إلا أن وفاة يزيد جعلته يفك الحصار عنها، ويعود إلى الشام.

الكوفة: وكان أهل الكوفة غير راضيين أيضاً على بني أمية، وهواهم مع أبناء علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ولكنهم يخضعون بالشدة ويخنعون، ويحبون الفتنة ويسعون لها فإذا جاءتهم تفرقوا، وخذلوا من كانوا يدعون له ويدعونه، وبذا تختلف عن المدينتين السابقتين، كما تختلف عنهما في أنها تضم أشتاتاً من البشر، ومعظمهم من الجند الذين انطلقوا إليها للفتوحات ثم استقروا، وبذا فهي تضم معظم القبائل العربية وخاصة اليمنية، والطائية، والتميمية، وعبد قيس وغيرها.

وكان عليها النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، عندما توفي معاوية، واستمر فيها أيام يزيد، فلما نزلها مسلم بن عقيل من قبل الحسين بن علي، وبدأ الناس يبايعونه، ووصل الخبر إلى يزيد عزل النعمان بن بشير عن الكوفة لسكوته عن ذلك، وأسند أمرها إلى عبيد الله بن زياد لقسوته وبطشه، وقد احتاج إليه، وقبل ذلك كان يريد أن يعزله عن البصرة، أما وقد احتاج إلى شدته فقد أضاف إليه الكوفة مع البصرة. وبقي عليهما حتى وفاة يزيد.

البصرة: وتشبه الكوفة إلى حدٍ ما، وإن كانت أقل رغبة في الفتنة، وفي مناطقها للخوارج دور، أما خراسان التي كانت تتبعها في الجهاد فقد كان عليها مسلم بن زياد. وتولى أمر البصرة عبيد الله بن زياد منذ عام ٥٥ هـ أيام معاوية بن أبي سفيان وحتى وفاة يزيد بن معاوية.

مصر: وهي هادئة تخضع لكل أمير، وكان عليها منذ عام ٥٥ هـ

مسلمة بن مخلّد، وقد أعطى أمر إفريقية إلى أبي المهاجر، وعزل عقبة بن نافع[1]، واستمر ذلك حتى توفي مسلمة بن مخلّد عام ٦٢ هـ، فقدم عقبة بن نافع بعشرة آلاف جندي من الشام والياً على إفريقية. أما مصر فقد أعطي أمرها إلى سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدي.

إفريقية: سار عقبة بن نافع نحو الغرب ففتح بلاد المغرب كلها، ووصل إلى ساحل المحيط الأطلسي، ففتح بلاد السوس الأدنى والمعروفة اليوم باسم سهول نهر سبو، ثم انطلق على سواحل المحيط الأطلسي جنوباً حتى وصل إلى بلاد السوس الأقصى، وقرر العودة عن طريق الأطلس الصحراوي إلى القيروان حيث الطريق أقصر وقد أمن العدو بعد انتصاراته الواسعة، وأثناء عودته وجد كميناً عند (تهوده) كان البربر قد نصبوا له كميناً هناك فاستشهد ومن معه، وقد أراد أن يبني هناك قاعدة تكون مثل القيروان، ويعرف اليوم ذلك المكان باسم سيدي عقبة بالقرب من بسكرة جنوب مدينة قسنطينة.

(١) **عقبة بن نافع بن عبد القيس:** الفهري القرشي: ولد في العام الأول للهجرة، شهد فتح مصر مع ابن خالته عمرو بن العاص، وقد أرسله عمرو إلى برقة قائداً مستقلاً، فغزا غزوتين في البحر، وفتح مدينة زويلة من أعمال فزان، وكذلك عمل في بلاد النوبة. ثم أصبح والياً على إفريقية عام ٦٢هـ، واستشهد عام ٦٤هـ.

الأحـداث

بدأت الأحداث مع بدء خلافة يزيد الذي حرص على أخذ بيعة الحسين وابن الزبير، ولم يمهلهما، فاضطر ابن الزبير إلى السير إلى مكة ثم تبعه الحسين، وبدأت كتب أهل الكوفة تصل إلى الحسين، ورسلهم تتابع، وكلها تقول: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا، وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة. فبعث الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ابن عمه، إلى الكوفة وقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم، فخرج مسلم ماراً على المدينة وقد اصطحب معه دليلين، فمرّا به في البرية، فأصابهم عطش، فمات أحد الدليلين، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين: أن امض إلى الكوفة. فقدمها ونزل على أحد أهلها، وبايعه أكثر من اثني عشر ألفاً، وشاع الخبر، وعُزل النعمان بن بشير عن الكوفة، وأُسند أمرها إلى والي البصرة عبيد الله بن زياد، وتحول مسلم من مكانه إلى دار هانئ بن عروة المرادي، وكتب إلى الحسين يدعوه إلى السير إلى الكوفة.

علم عبيد الله بن زياد بمكان مسلم فأرسل إلى هانئ بن عروة يستقدمه فجاء، فسأله عن مسلم فأنكر، ثم اعترف بعد أن حضر من رآهما معاً في منزله، وقال: أصلح الله الأمير! والله ما دعوته إلى منزلي، ولكنه جاء وطرح نفسه عليّ، قال: ائتني به؛ قال: والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه، فضربه عبيد الله وشجه، وسجنه في جانب القصر، وظنت مذحج أنه قتل هانئ فجاءت، فأخبروا أنه سجين فعادت. ووصل الخبر إلى مسلم فخرج، ونادى بشعاره، فتجمع عليه أربعة آلاف من أهل الكوفة

فعبأهم وقصد عبيد الله، وجمع عبيد الله إليه وجوه أهل الكوفة فكلموا عشائرهم المجتمعة حول مسلم، والمحيطة بالقصر، فبدأ أصحاب مسلم يتفرقون عنه حتى بقي في خمسمائة فلما أرخى الليل سدله ذهب الباقون وبقي وحده، فبدأ يتردد في الطريق حتى دخل منزلاً، ولكن لم يلبث أن اكتشف أمره، فأرسل إليه عبيد الله صاحب شرطته مع سبعين رجلاً، ولما رأى مسلم أنه قد أحيط به خرج إلى طلبه، وقاتلهم بسيفه فأعطي الأمان وساروا به إلى القصر، فأمر به فأصعد إلى القصر فضربت عنقه، وألقيت جثته إلى الناس، كما قتل هانئ بن عروة المرادي، وأرسل رأساهما إلى يزيد.

وكان خروج مسلم في الكوفة يوم ٦ ذي الحجة سنة ستين للهجرة، بعد أن خرج الحسين من مكة إلى الكوفة بيوم واحد.

خرج الحسين من مكة باتجاه الكوفة، وقد نصحه كثير ممن يحبه في عدم الخروج مما يدل على أن ذاك الخروج كان فيه سرعة، ولكن الحسين مجتهد، وأمر الله لا بدّ آت. وهذه السرعة تبدو من عدة جوانب سواءً من حيث أصل الخروج أم من ناحية أخذ الاستعداد اللازم، ثم من ناحية الاطمئنان إلى أهل الكوفة وقد عرفهم مع أخيه ومع أبيه من قبل، ثم من ناحية الخروج على الحاكم، وكل هذا يبدو في كلام الناصحين له، ولنستمع إلى بعض هذه النصائح وقد كانت كثيرة فقد قال له أخوه محمد بن الحنفية يوم خرج من المدينة إلى مكة: «يا أخي أنت أحب الناس إليّ، وأعزهم عليّ، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فإن خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً

أضيعها دماً وأذلها أهلاً، فقال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون عليك الأمور أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي، قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً[1].

وعندما همّ الحسين، رضي الله عنه، بالرحيل إلى العراق جاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فقال له بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أما بعد، فإني أتيتك يا ابن عم لحاجة، ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحني وإلا كففت عما أريد أن أقول؛ فقال: قل، فوالله ما أظنك بسيء الرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل؛ قال: قلت له: إنه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلداً فيه عماله وامراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه؛ فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد علمت والله أنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير، وأنصح ناصح»[2].

وجاءه عبد الله بن عباس فقال له: «يا ابن عم، إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبيّن لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله! أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن

---

(١) تاريخ الطبري. (٢) المصدر نفسه.

كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك للحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغزوك ويكذبوك، ويخالفوك. ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك؛ فقال له الحسين: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون»[1].

فلما كان من العشي أو من الغد، أتى الحسين عبد الله بن العباس فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال؛ إن أهل العراق قوم غُدر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز؛ فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة وطويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبث دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية؛ فقال له الحسين: يا ابن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير؛ فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه[2].

وهؤلاء الناصحون هم من أصحاب الرأي والمعرفة، وقد كانوا صادقين في نصحهم وعلى صواب في رأيهم، قد اجتهد الحسين واجتهدوا، ويبدو فيما بعد أن اجتهادهم قد أصابوا فيه، وقد أخطأ رضي الله عنه في اجتهاده.

وأثناء خروجه من مكة لقي رجلاً من العراق، فقال له: أخبرني عن الناس خلفك؟ قال: القلوب معك، والسيوف مع بني أمية، والقضاء بيد الله.

وكتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين مع ابنيه عون

---

(١) المصدر نفسه. (٢) المصدر السابق.

ومحمد (ابني عبد الله) أما بعد: فإني أسألك بالله لمّا انصرفت حتى تنظر في كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجّه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجّل بالسير فإني في أثر الكتاب والسلام.

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه. وقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع. فقال عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به عمرو بن سعيد فقال له: اختمه: وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه، ويعلم أنه الجد منك، ففعل؛ وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكة؛ قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: اقرأناه الكتاب، وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: رأيت رؤيا فيها رسول الله ﷺ، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أو ليّ، فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي.

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك توجهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر، ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإن لك عندي الأمان، والصلة، والبر، وحسن الجوار لك، الله بذلك عليّ شهيد وكفيل، ومراع ووكيل؛ والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين: أما بعد: فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمّن الله يوم القيامة

من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة؛ والسلام.

أما عبد الله بن الزبير فقد أتاه، وتحدث معه ثم قال: ما أدري ما تركُنا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاة هذا الأمر دونهم! خبّرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، وقد كتب إليّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله، فقال له ابن الزبير: أما لو كان بي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، قال: ثم إنه خشي أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إن شاء الله»[1].

هذه أقوال رجال زمانه، ومن يُنظر إليهم، ومن هم ثقة عند الأمة جميعها قد نصحوا له، وبيّنوا مغبة مسيره إلى العراق، ولكنه كان سائراً إلى أمر الله الذي لا بدّ له، فذهابه غلط، لما كان عليه العراق، ولما يحدث من فتنة ولم يتضح الأمر بعد، ولخروجه مع نسائه وأهل بيته وهو يعلم أنه قادم على قتال، ولخروجه على الحاكم. إلا أن حبنا له حيث كان آنذاك أفضل من على الأرض وحبنا لآل البيت جميعاً، ولبشاعة النكبة التي حلّت به وبمن معه جعلنا كل ذلك ننظر إلى النتائج دون النظر إلى الأسباب، هذا بالإضافة إلى ما كتبه قتلته الذين يدعون أنهم شيعة له، وصوروا المأساة وغالوا، فأدموا القلوب، ولم يبق من كتاباتٍ وصورٍ غيرها، وشاعت بين الناس، وأكثر الكتاب من ذكرها، مع أنه قد قتل أبوه وهو مبشر بالجنة وأفضل منه، ولم يذكر عن مقتله مثل هذا، ومن قبل قتل عثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما.

سار الحسين، رضي الله عنه، نحو الكوفة حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد؟ قال:

---

(١) المصدر نفسه.

أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهمّ أن يرجع، كما نصحه عبد الله بن مطيع عندما التقى به في الطريق على ماء من مياه العرب، فلما رأى عبد الله الحسين قام إليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! ما أقدمك! واحتمله فأنزله، فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم، فقال له؛ عبد الله بن مطيع: اذكّرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك! أنشدك الله في حرمة رسول الله ﷺ! أنشدك الله في حرمة العرب! فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً. والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل، ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض لبني أمية، قال: فأبى إلا أن يمضي، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بأثرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم! فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله بن زياد، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل، وكان على رأس جند عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص، ولم يمكن التفاهم بين الطرفين إذ أن أصحاب المصالح في جيش ابن زياد والغوغائيين قد نشبوا القتال فقاتل الحسين ومن معه قتالاً مستميتاً وقتال الأبطال الذين يندر أن يكونوا مثله، ولكن الكثرة غلبت الشجاعة، فقتل الحسين وأصحابه كلهم، وفيهم بضعة عشر رجلاً من أهل بيته، وكان الذي تولى قتل الحسين، رضي الله عنه، شمر بن ذي الجوشن، وحُمل رأس الحسين إلى ابن زياد، وكذلك حرمه ونساؤه. فلما وضع الرأس بين يدي ابن زياد، جعل ينكت بقضيبه، ويقول: إن أبا عبد الله قد كان شمط، وأمر لنساء الحسين بمنزل في مكان منعزل، وأجرى عليهن رزقاً، وأمر لهن بنفقة وكسوة. قال: فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر ـ أو ابن ابن جعفر ـ فأتيا رجلاً من طيء فلجآ إليه، فضرب أعناقهما، وجاء برؤوسهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد، قال: فهمّ بضرب عنقه، وأمر بداره فهدمت[1].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٣٩٣.

وكان مقتل الحسين، رضي الله عنه، في عاشوراء (العاشر من محرم) سنة ٦١ هـ. وحمل رأس الحسين، وسرحت نساؤه إلى يزيد بالشام، فلما وضع بين يديه بكى، وقال: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا[١]. وقد أكرم أهل الحسين ثم سرحهم إلى المدينة مع رفقة لهم حتى بلغوها.

ولما وصل خبر مقتل الحسين بن علي إلى الحجاز أعلن عبد الله بن الزبير خلع يزيد، وبدأ يأخذ البيعة لنفسه من الناس، وكان ذلك سبباً في عزل عمرو بن سعيد بن العاص عن الحجاز، وتولية الوليد بن عتبة بن أبي سفيان مكانه، ثم لم يلبث أن عزله، وأمّر عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وكثر الحديث في المدينة عن يزيد، فأرسل إليهم النعمان بن بشير يحذرهم الفتنة، ويذكرهم الطاعة، فأبوا عليه، ثم أعلنوا خلع يزيد، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل، ووثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان، والي يزيد، ثم حاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم، وكان عددهم حوالي الألف شخص.

أُخبر يزيد بالخبر فأرسل إليهم جيشاً عليه مسلم بن عقبة المري، وإن حدث عليه حدث فالأمير حصين بن نمير السكوني، وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش، والتقى ببني أمية بوادي القرى وقد أخرجهم أهل المدينة.

وصل مسلم بن عقبة المري إلى المدينة فأمهل أهلها ثلاثة أيام فأبوا إلا القتال، وكان عليهم: عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبد الله بن مطيع، ومعقل بن سنان، وعبد الرحمن بن زهير بن عوف الزهري ابن أخ عبد الرحمن بن عوف. وكان مجيء مسلم عن طريق الحرة الشرقية، ووقعت الوقعة وكانت في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وستين للهجرة، وقتل أكثر سادة أهل المدينة في هذه الوقعة.

ولما انتهى مسلم بن عقبة المري من المدينة اتجه بجنده نحو مكة يريد عبد الله بن الزبير، وخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي، ولم

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٣٩٣.

يقطع مسلم مسافة حتى نزل به الموت، فتولى أمر الجند بعده الحصين بن نمير السكوني حسب وصية يزيد بن معاوية فسار إلى مكة وقد بايع أهلها والحجاز كله عبد الله بن الزبير، فقاومه ابن الزبير وقُتل من أصحابه المسور ابن محزمة، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وأخوه المنذر بن الزبير، واستمر القتال بقية المحرم وصفر من سنة أربع وستين، وفي أوائل ربيع الأول قُذف البيت بالمنجنيق، وأحرق بالنار. ثم جاءهم نعي يزيد في مطلع ربيع الثاني، وقد توفي في ١٤ ربيع الأول.

توفي يزيد وأهل الشام يحاصرون أهل مكة وابن الزبير، ووصل الخبر إلى ابن الزبير قبل أن يصل إلى أهل الشام، فناداهم أهل مكة لماذا تقاتلون؟ لقد هلك يزيد، فلم يصدقوا منهم، واستمروا في قتالهم، فلما تأكدوا من النبأ توقفوا عن القتال.

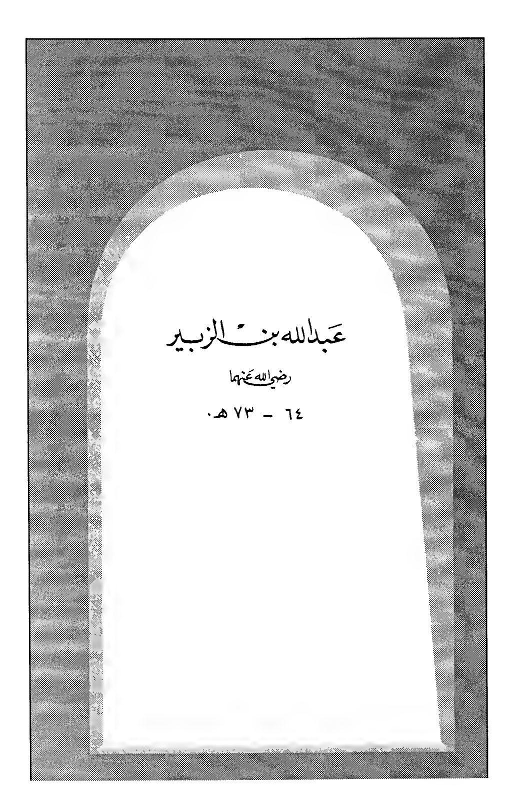
بعث الحصين بن نمير إلى عبد الله بن الزبير، والتقى معه، وقال له: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس، وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة. ولكن ابن الزبير خشي من الذهاب إلى الشام، ولم يرغب في مغادرة مكة التي احتمى بها، وكان رأي الحصين أن هناك بالشام من يطالب بالخلافة فماذا يكون موقفه؟ أما إذا ذهب عبد الله بن الزبير فإنه لن يطالب فيها أحد لمكانة ابن الزبير أولاً ولعدم وجود أبناء كبار ليزيد أو أحد من أسرته يفكر في هذا الأمر.

ولما لم يتفق ابن الزبير والحصين بن نمير سار جيش الشام إلى بلدهم تاركين الحجاز مبايعاً لابن الزبير.

الخوارج

بعد أن هزم الخوارج جيش عبيد الله بن زياد بآسك أرسل لهم عباد بن الأخضر التميمي على رأس ثلاثة ألاف مقاتل فاستطاع أن يبيد الخوارج الذين كانوا بإمرة أبي بلال مرداس بن أدية، وذلك عام ٦١ هـ.

وبعد مقتل الحسين ثار أبو طالوت نجدة بن عامر الحنفي، وكان قد سار إلى البصرة مع نافع بن الأزرق، ثم خالفه، ورجع إلى نجد فاستولى عليها، واستقل بها. وأصبح وسط جزيرة العرب وشرقيها مسرح نشاط الخوارج.



عبدالله بن الزبير

رضي الله عنهما

٦٤ - ٧٣ هـ.

حَيَاته

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب. كان أبوه الزبير أحد السابقين في الإسلام، أسلم ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ، صفية بنت عبد المطلب، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، ثبت يوم أحد، وبايعه على الموت، وكانت مع الزبير إحدى رايات المهاجرين الثلاث في غزوة الفتح واشترك في الفتوحات، واخترق جيوش الروم يوم اليرموك ثلاث مرات، وذهب على رأس مدد لعمرو بن العاص أثناء فتح مصر، وخرج يوم الجمل مع عائشة، رضي الله عنها، ولحق به ابن جرموز إثر المعركة، وقتله غدراً بوادي السباع.

أما أمه فهي أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، أسلمت قديماً بمكة وبايعت رسول الله ﷺ، وهي ذات النطاقين، أخذت نطاقها فشقته اثنين فجعلت واحداً لسفرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لقربته ليلة خرج رسول الله وأبو بكر إلى الغار، فسميت ذات النطاقين، وماتت عام ثلاثة وسبعين بعد مقتل ابنها عبد الله بمدة وجيزة، وهي آخر من مات من المهاجرات.

ولد عبد الله بن الزبير في قباء أول مقدمهم المدينة مهاجرين، وقد هاجرت أمه أسماء وهي حامل به فنزلت بقباء فولدته، ثم أتت به إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنّكه ودعا له وتبرك

عليه، وسماه عبد الله، وكناه بأبي بكر، فكان أول مولود ولد في الإسلام. وفرح المسلمون بولادته لأن يهود زعمت أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة، فلما ولد ابن الزبير كبّر المسلمون، وأذّن الصديق في أذنه حين ولد، رضي الله عنهما، وطاف به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت يهود. وعندما ترعرع كلم رسول الله ﷺ في غلمة منهم عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وعمر بن أبي مسلمة، فقيل يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك، ويكون لهم ذكر، فأتي بهم إليه فكأنهم تكعكعوا واقتحم عبد الله بن الزبير فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إنه ابن أبيه» وبايعه. وهو صحابي جليل، روى عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثين حديثاً، وروى عن أبيه، وعمر، وعثمان.

شهد اليرموك مع أبيه وهو صغير، وحضر خطبة عمر بالجابية. دافع عن سيدنا عثمان يوم الدار، وجرح يومئذٍ بضع عشرة جراحة، وكان على الراجلة يوم الجمل، ومشى إلى الأشتر النخعي يومئذٍ فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وخرّا إلى الأرض يعتركان، فقال: اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي، وجرح يومذاك تسع عشرة جراحة، ووجد بين القتلى وبه رمق، وقد أعطت عائشة، رضي الله عنها، لمن بشّرها بأنه لم يقتل عشرة آلاف درهم، وسجدت لله شكراً، فكانت تحبه حباً شديداً فهو ابن أختها، وكان عزيزاً عليها.

وقاتل البربر مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقتل القائد البيزنطي (جرجير) في موقعة (سبيطلة) عام ٢٧ هـ. وقدم إلى دمشق لغزو القسطنطينية أيام معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما.

كان عارضا عبد الله بن الزبير خفيفين، وما اكتملت لحيته حتى بلغ الستين، وكان نحيفاً ذا أنفة. كثير السجود ولا ينازع في ثلاث: في العبادة، والشجاعة، والفصاحة. قال حماد بن زيد عن ثابت البناني قال: كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا

يتحرك. وقال الأعمش عن يحيى بن وثاب: كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه إلا جذم حائط. وقال غيره: كان ابن الزبير يقوم ليلة حتى يصبح، ويركع ليلة حتى يصبح، ويسجد ليلة حتى يصبح. وسئل ابن عباس عن ابن الزبير فقال: كان قارئاً لكتاب الله، متبعاً لسنة رسول الله، قانتاً لله، صائماً في الهواجر من مخافة الله، ابن حواري رسول الله، وأمه بنت الصديق، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله، زوجة رسول الله فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله[1]. وكان صيتاً إذا خطب تجاوبه الجبلان: أبو قبيس، وزروراء، وكان آدم نحيفاً ليس بالطويل، وكان بين عينيه أثر السجود، كثير العبادة، مجتهداً، شهماً، فصيحاً، صوّاماً، قوّاماً، شديد البأس ذا أنفة، له نفس شريفة وهمة عالية، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً.

بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالبشارة بانتصار المسلمين على البربر، وقتل ملكهم، وأخذ غنائم كثيرة مع ابن الزبير إلى الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فقص على عثمان الخبر وكيف جرى، فقال له عثمان: إن استطعت أن تؤدي هذا للناس فوق المنبر، قال: نعم! فصعد ابن الزبير فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى، قال عبد الله: فالتفت فإذا أبي الزبير في جملة من حضر، فلما تبيّنت وجهه كاد أن يَرتج عليّ في الكلام من هيبته في قلبي، فرمزني بعينه وأشار إليّ ليحصني، فمضيت في الخطبة كما كنت فلما نزلت قال: والله لكأني أسمع خطبة أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني.

وكان رضي الله عنه فارس الخلفاء لا يوازيه أحد، وقد روى الطبراني عن إسحاق بن أبي إسحاق قال: أنا حاضر مقتل عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد، وكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم، فبينما هو على تلك الحال

---

(١) البداية والنهاية ـ الجزء الثامن.

إذ جاءت شرفة من شرفات المسجد، فوقعت على رأسه فصرعته، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

أسـمـاء أسـمـاء لا تـبـكـيـنـي   لـم يـبـق إلا حـسـبـي وديـنـي

وصـارم لانـت بـه يـمـيـنـي

وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يميناً وشمالاً، ولا يثبت له أحد.

وكانت أبواب الحرم قد قلّ من يحرسها من أصحاب ابن الزبير، وكان لأهل حمص حصار الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد، وكان الحجاج، وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح، وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرّقهم وبدّد شملهم..

وبويع بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين، وبقي حتى قتل سنة ثلاث وسبعين، وحج بالناس كل هذه المدة، وبنى الكعبة أيام خلافته، وكساها الحرير، وكانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع والمسوح.

واتهم بالبخل وعدم معرفته بتدبير الأمور والنظر بعيداً، فرغم أن معظم الأمصار الإسلامية قد بايعته بالخلافة، ولم يبق مع مروان بن الحكم سوى جزء صغير من بلاد الشام، ومع هذا فقد بدأ يتوسع ملك مروان وتنكمش خلافة ابن الزبير حتى قضي عليه لأنه لم يدر كيف يسوس الأمور[1].

---

(١) جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الرابعة ـ ص١٢٢.

أولاده

كان لعبد الله بن الزبير ثلاثة عشر ولداً، بعضهم كان له عقب، وبعضهم لم يعقب، وله ابنة واحدة معروفة هي: أم الحسن، وأمها نفيسة بنت الحسن بن علي أمير المؤمنين، رضي الله عنهما، أما الأولاد فهم:

١ ـ خبيب: وبه يكنى، وهو أسن من عمه عروة، وليس له عقب.

٢ ـ حمزة: وله عقب.

٣ ـ عبّاد: وله عقب.

٤ ـ ثابت: وله عقب.

٥ ـ عامر: وله عقب.

٦ ـ موسى: وله عقب.

٧ ـ بكر: وأمه عائشة بنت أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وليس له عقب. ويكنى به أيضاً، وبهذه الكنية كناه رسول الله ﷺ.

٨ ـ هاشم: ولا عقب له.

٩ ـ قيس: ولا عقب له.

١٠ ـ عروة: ولا عقب له.

١١ ـ الزبير: ولا عقب له.

١٢ ـ أبو بكر: ولا عقب له.

١٣ ـ عبيد الله: ولا عقب له.

إخوته

يقول الزبير، رضي الله عنه: «بلغني أن طلحة بن عبيد الله التيمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أن لا نبي بعد محمد، وإني أسمّي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا».

تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، فولدت له:

١ ـ عبد الله: وقد سماه باسم ابن خالته عبد الله بن جحش الذي استشهد يوم أحد، وإن كانت ولادته قبل استشهاد ابن جحش بثلاثة أعوام، وأن رسول الله ﷺ هو الذي سماه عبد الله، ويكون الزبير قد عدّ هذا بعد استشهاد ابن جحش.

٢ ـ عروة: وقد سماه باسم عروة بن مسعود، الذي استشهد بالطائف، وكان يدعو قومه فقتلوه.

٣ ـ المنذر: وقد سماه باسم المنذر بن عمرو، الذي استشهد يوم بئر معونة، ويكنى المنذر أبا عثمان، وقد استشهد مع أخيه عبد الله.

٤ ـ عاصم: وقد سماه باسم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، الذي استشهد يوم الرجيع.

٥ ـ المهاجر: وقد سماه باسم المهاجر بن زياد، الذي استشهد يوم تستر. كما أنجبت أسماء رضي الله عنها من البنات.

١ ـ خديجة الكبرى.

٢ ـ أم الحسن.

٣ ـ عائشة.

وتزوج الزبير بن العوام، رضي الله عنه، أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، فأنجبت له:

١ ـ خالد: وقد سماه باسم خالد بن سعيد، الذي استشهد يوم مرج الصُفّر، وقد تولى خالد اليمن لأخيه عبد الله.

٢ ـ عمرو: وقد سماه باسم عمرو بن سعيد بن العاص الذي استشهد يوم أجنادين، وقتله أخوه عبد الله قوداً حيث كان مع بني أمية ضد أخيه كما أنجبت أمه من الإناث:

١ ـ حبيبة.

٢ ـ سودة.

٣ ـ هند.

وتزوج الزبير، رضي الله عنه، الرباب بنت أنيف فأنجبت له:

١ ـ مصعب: وقد سماه باسم مصعب بن عمير الذي استشهد يوم أحد. ويكنى مصعب أبا عيسى، وتولى لأخيه العراقين.

٢ ـ حمزة: وقد سماه باسم خاله حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، الذي استشهد يوم أحد.

كما أنجبت له الرباب من البنات ابنة واحدة هي:

١ ـ رملة.

وتزوج الزبير، رضي الله عنه، زينب، وهي أم جعفر بنت مرثد بن عمرو، وأنجبت له:

١ ـ عبيدة: وقد سماه باسم عبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر.

٢ ـ جعفر: وقد سماه باسم جعفر بن أبي طالب الذي استشهد يوم مؤتة وتولى لأخيه أمر المدينة.

وتزوج الزبير، رضي الله عنه، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف من قبل فولدت للزبير زينب، وتزوج الحلال بنت قيس بن نوفل فولدت له خديجة الصغرى.

وبذا يكون للزبير أحد عشر ولداً هم: عبد الله، عروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر، وخالد، وعمرو، ومصعب، وحمزة، وعبيدة، وجعفر، وله تسع بنات هن: خديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة، وحبيبة، وسودة، وهند، ورملة، وزينب، وخديجة الصغرى.

كما تزوج الزبير، رضي الله عنه، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر، ثم تحت عمر بن الخطاب.

بيعته

بعد مقتل الحسين بن علي، رضي الله عنهما، أعلن عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، في مكة خلع بيعة يزيد، وبدأ بعض الناس يبايعون ابن الزبير سراً، ونحّى ابن الزبير عن الصلاة في مكة الحارث بن خالد[1] الوالي من قبل يزيد وقدّم مصعب بن عبد الرحمن[2]، وكان مصعب، والمسور بن مخرمة[3]، وجبير بن شيبة[4]، وعبد الله بن صفوان بن أمية[5] رجال شورى عبد الله بن الزبير. وفي المدينة ثار الناس على والي يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وطردوه، وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل[6]، وحاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم، ثم طردوهم من

---

(١) **الحارث بن خالد بن هشام بن المغيرة**: أسلم خالد بن هشام يوم الفتح، وولي أمر مكة، وكذا كان ابنه الحارث الذي كان شاعراً.

(٢) **مصعب بن عبد الرحمن بن عوف**: أبو زرارة، تولّى قضاء المدينة والشرطة لمروان بن الحكم عندما كان والياً على المدينة للمرة الثانية. لحق بابن الزبير بمكة. وتوجه على رأس قوة ضد عمرو بن الزبير عندما أرسله بنو أمية من المدينة ضد أخيه عبد الله، وأسَره، وكان من مستشاري ابن الزبير، وتوفي أثناء حصار مكة من قبل الحصين بن نمير عام ٦٤هـ.

(٣) **المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري**: أبو عبد الرحمن: صحابي، ولد في السنة الثانية للهجرة، خاله عبد الرحمن بن عوف، شهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو الذي حرّض سيدنا عثمان بن عفان أمير المؤمنين على غزوها كان مع ابن الزبير، أصابه حجر أثناء حصار الحصين بن نمير فمات يومذاك سنة ٦٤هـ.

(٤) **جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة**، أسلم أبوه شيبة يوم هوازن.

(٥) **عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف**: ولد في حياة رسول الله ﷺ، وكان من أنصار ابن الزبير، قتل معه أثناء حصار الحجاج عام ٧٣هـ، وحمل رأسه مع رأس عبد الله بن الزبير إلى الشام إلى عبد الملك بن مروان.

(٦) **عبد الله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الراهب**: ولد في السنة الرابعة للهجرة، حملت =

المدينة، ولما وصل الخبر إلى يزيد أرسل إليهم جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المري[1] فالتقى مع بني أمية بوادي القرى، ووصل الجيش إلى المدينة وحدثت وقعة الحرة ـ كما ذكرنا ـ وبعد إخضاع المدينة سار الجيش إلى مكة، وتوفي قائده مسلم بن عقبة المري في الطريق فتولى أمره بناءً على أوامر يزيد الحصين بن نمير السكوني الكندي[2]، وأثناء حصار مكة توفي يزيد، فلما علم الحصين بن نمير بالخبر، دعا ابن الزبير والتقى معه بالأبطح، ودعا الحصين ابن الزبير إلى أن يبايعه، وقال له: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلم فلنبايعك، ثم اخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة[3]. إلا أن ابن الزبير رفض ذلك لأنه لم يكن ليركن إلى الحصين أو إلى أهل الشام، ولم يكن يرغب في مغادرة مكة المكرمة. وسار الحصين بن نمير مع جيشه نحو الشام، وأجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز عليهم، فكان جند الحصين لا يسيرون إلا مجتمعين، ثم ساروا وقد أخذوا معهم بني أمية.

ويبدو أن ابن الزبير ندم على ما كان منه مع الحصين فأرسل إليه: أما

= به أمه جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول يوم أحد، وقد خرج حنظلة للجهاد جنباً فاستشهد فغسلته الملائكة فيقال له الغسيل وقد رأى عبد الله بن حنظلة رسول الله وأبا بكر وعمر، وروى عن عمر، وكان عابداً صادقاً، قاد الناس يوم الحرة واستشهد يومذاك عام ٦٤هـ.

(١) **مسلم بن عقبة المري،** أبو عقبة: قائد من الدهاة القساة في العهد الأموي، أدرك رسول الله ﷺ، وشهد صفين مع معاوية وكان فيها على الرجالة، وقلعت بها عينه، أسرف في القتل لأخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة. مات في طريق إلى مكة يوم ٦٣هـ بمكان يسمى «المشلل». ثم نبش قبره، وصلب في مكان دفنه.

(٢) **الحصين بن نمير بن نائل،** أبو عبد الرحمن: أقام بحمص، وحاصر مكة أيام ابن الزبير، وضربها بالمنجنيق، كان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، وقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل.

(٣) تاريخ الطبري.

أن أسير إلى الشام فلست فاعلاً، وأكره الخروج من مكة، ولكن بايعوا لي هنالك فإني مؤمنكم وعادل فيكم فقال له الحصين: أرأيت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس، فما أنا صانع[1].

دعا ابن الزبير بعد موت يزيد لنفسه فبايعه أهل الحجاز، فأرسل إلى المدينة أخاه عبيدة والياً عليها من قبله، وطلب منه إجلاء بني أمية، فأجلاهم فرحلوا إلى الشام، ومنهم مروان بن الحكم، وابنه عبد الملك.

وأرسل إلى أهل مصر فبايعوه، واستناب عليها عبد الرحمن بن جحدر.

وأطاعت له الجزيرة.

وأما أهل البصرة فقد بايعوا عبيد الله بن زياد، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، ثم أرسل عبيد الله رسولاً إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة، فأبوا عليه، وحصبوا الوالي الذي كان عليهم، وهو عمرو بن حريث[2] وولوا عليهم عامر بن مسعود بن خلف، فمكث ثلاثة أشهر، ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الخطمي من قبل ابن الزبير، وكان على الحرب والثغر الأنصاري، وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج، ثم خالف أهل البصرة عبيد الله أيضاً، فهاجت بالبصرة فتنة، فرّ إثرها عبيد الله بن زياد إلى الشام. واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم أميراً منهم يصلي بهم حتى يجتمع الناس على إمام، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً، ثم جعلوا عبد الله بن الحارث بن نوفل فصلى بهم

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) **عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان** بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو سعيد: ولد عام الهجرة النبوية أو قبلها بعام، نزل الكوفة، وابتنى بها داراً قرب المسجد، وهي كبيرة مشهورة، وكان زياد بن أبيه إذا انتقل إلى البصرة استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، توفي عمرو عام ٨٥هـ في خلافة عبد الملك بن مروان.

شهرين، ثم قدم عليهم عمرو بن عبيد الله بن معمر من قبل ابن الزبير، فمكث شهراً، ثم أرسل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة. وهكذا اجتمع أهل البصرة وأهل الكوفة على ابن الزبير.

وأرسل إلى أهل اليمن فبايعوه.

وبعث إلى خراسان فأعلنوا بيعته.

وأما الشام فقد بايعه فيها الضحاك بن قيس الفهري[1]، وهو على دمشق، والنعمان بن بشير[2] وهو على حمص، وزفر بن عبد الله الكلابي[3] وهو على قنسرين[4]، ودخل ناتل بن قيس[5] فلسطين، وأخرج منها عاملها روح بن زنباع الجذامي[6]. ولم يبق من الشام إلا بعض جهات الأردن

---

(١) **الضحاك بن قيس بن خالد الفهري**: قبض رسول الله ﷺ ولم يبلغ الضحاك بن قيس الحلم، ويقال أنه أدرك النبي ﷺ، وسمع منه، بايع ابن الزبير، والتقى مع مروان بن الحكم بمرج راهط، وقتل يومذاك عام ٦٤هـ.

(٢) **النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة** الخزرجي، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، صحابي، من الأنصار، روى ١٢٤ حديثاً. ذهب بقميص عثمان إلى الشام فنزل هناك، وشهد صفين مع معاوية، ولي القضاء بدمشق عام ٥٣هـ، وتولى أمر اليمن لمعاوية، ثم الكوفة تسعة أشهر، ثم حمص واستمر فيها حتى مات يزيد بن معاوية فبايع ابن الزبير فتمرد أهل حمص عليه فخرج هارباً فاتبعه خالد بن خليّ الكلاعي فقتله عام ٦٤هـ. وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة.

(٣) **زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي**، أبو الهذيل: أمير، من التابعين من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميراً، وشهد مرج راهط مع الضحاك، فلما قتل الضحاك هرب إلى قرقيسا عند مصب نهر الخابور على الفرات، وبقي متحصناً فيها حتى مات عام ٧٥هـ في خلافة عبد الملك بن مروان..

(٤) **قنسرين**: حاضرة جنوب حلب كانت مركزاً للجند.

(٥) **ناتل بن قيس الجذامي**: والٍ، شجاع من التابعين، كان سيد جذام بالشام. شهد صفين مع معاوية. بعد موت يزيد بن معاوية دعا لابن الزبير، وطرد روح بن زنباع والي يزيد السابق، فأمّره ابن الزبير على فلسطين، وبقي فيها حتى خلافة عبد الملك فبعث إليه عمرو بن سعيد فقتله.

(٦) **روح بن زنباع الجذامي**، أبو زرعة: سيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها، تولى شرطة عبد الملك، وكان له فقه.

وبعض رجالات الشام الذين تجمعوا في دمشق منهم الحصين بن نمير، وعبيد الله بن زياد، وبعض بني أمية ورجال من اليمن وخاصة بنو كلب أرحام يزيد بن معاوية وأخوال أولاده. كما أتاه وجوه الخوارج مثل: نافع بن الأزرق[1] وعبد الله بن أباض[2]. وهكذا انعقدت البيعة لعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، ببيعة أكثر الأمصار له، وأهل الحل والعقد فيها، والصحابة، وأبنائهم، وكبار التابعين، وهذا الإجماع يجعل معاوية الثاني، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان في مدته الأولى خارجين على الإمام، وليسوا بخلفاء.

---

(١) **نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي** البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس، ثار مع أصحابه مع أمير المؤمنين عثمان، ثم والى أمير المؤمنين علي، وخرجوا عليه بعد التحكيم. واشتد عليهم الأمويون، وقتلوا منهم كثيراً، توجهوا إلى ابن الزبير عندما ثار على الأمويين، ثم اختلفوا معه على عثمان فتركوه واتجهوا إلى البصرة، وقاتلهم المهلب، وقد تخلفّ عبد الله بن أباض عنهم، وقتل نافع قرب الأهواز عام ٦٥هـ.

(٢) **عبد الله بن أباض المري التميمي**: رأس الأباضية وإليه نسبتهم، وتوفي سنة ٨٥هـ في خلافة عبد الملك بن مروان.

الولايات

كانت مدة خلافة عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، مدة عدم استقرار وحركات مستمرة، وإن كانت تختلف كل ولاية عن الأخرى، فأوضاع الحجاز كانت مستقرة لابن الزبير، على حين كانت الشام منطقة ساخنة حتى ثبت الأمر فيها لبني أمية، أما العراق فقد تعاقب عليها الولاة المتباينة اتجاهاتهم، وكانت مصر وإفريقية مع ابن الزبير ثم انتقل فيها الأمر للأمويين بهدوء، وبقيت الحالة فيها هادئة وكذا خراسان واليمن.

١ ـ الشام: لما مات يزيداً أوصى من بعده لابنه معاوية الثاني، ولكنه لم يلبث سوى ثلاثة أشهر حتى مات، وكان بعد ولايته بمدة قد أمر فنودي بالشام الصلاة جامعة! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني نظرت في أمركم فضعفت فيه، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب، رحمة الله عليه، حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم، ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيّب حتى مات، ولم يتجاوز العشرين سنة، وكان رجلاً صالحاً ناسكاً، وكان في مدة ولايته مريضاً، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلي بالناس، ويسدّ الأمور. ودفن معاوية بن يزيد بمقابر باب الصغير بدمشق، وكان رحمه الله أبيض شديد البياض، كثير الشعر، كبير العينين، جعد الشعر، أقنى الأنف، مدور الرأس، جميل الوجه، كثير شعر الوجه دقيقه، حسن الجسم، ويكنى أبا ليلى، وأمه أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة.

عندما عاد الحصين بن نمير من الحجاز أخذ معه بنو أمية، وقد

أدركوا وفاة معاوية الثاني، واختلف الناس من بعده، فالضحاك بن قيس أمير دمشق، وزفر بن الحارث أمير قنسرين، والنعمان بن بشير أمير حمص، وناتل بن قيس أمير فلسطين يريدون عبد الله بن الزبير، أما أمير الأردن حسان بن مالك بن بحدل الكلبي فكان يريد خالد بن يزيد بن معاوية حيث كان أبوه يزيد بن أخت حسان وهي ميسون، ولم يكن هذا رأي بني أمية جميعهم حيث فكر مروان بن الحكم بعدما رأى من بيعة ابن الزبير أن يسير إليه ويبايع ما بايع عليه الناس، إلا أن عبيد الله بن زياد كان قد وصل من العراق، ويخشى على نفسه إن آل الأمر إلى غير بني أمية بسبب ما فعله في كربلاء من قتل للحسين، وكان الحصين بن نمير أيضاً يخشى على نفسه لما فعل في حصار مكة من ضرب الكعبة بالمنجنيق، وما اقترفت يداه في معركة الحرة لذا كان يرى أن يبايع أحد بني أمية.

وبينما كان مروان يفكر في البيعة لابن الزبير التقى بعبيد الله بن زياد فقال له: «استحييت لك ما تريد، أنت كبير قريش وسيدها وتصنع ما تصنعه، فدبّ الأمل في نفس مروان وأجاب: ما فات شيء. وكفل عبيد الله خديعة الضحاك في دمشق فنزل عنده، على حين كان بنو أمية ينزلون تدمر، وأبدى عبيد الله مناصحة الضحاك، وزيّن له أن يدعو لنفسه، ثم أشار إليه أن يترك دمشق وينزل في أطرافها ففعل، فخلت دمشق من راعيها والواقع أن الناس في دمشق قد اختلفوا فالقيسية مع الضحاك تدعو لابن الزبير، واليمانية تدعو لبني أمية، ووقعت فتنة في المسجد كادت أن تستفحل لولا أن الضحاك تدارك الأمر، ورأى أن يدرس الموضوع، واتفق مع بني أمية على أن يلتقوا بالجابية مع حسان بن مالك بن بحدل الكلبي. وسار بنو أمية نحو الجابية، وسار الضحاك مع قومه فجاءه ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي فقال له: دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك. وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن اخته خالد بن يزيد، فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نظهر ما كنا نسر وندعو إلى طاعة ابن الزبير، ونقاتل عليها، فمال الضحاك بمن معه من

الناس فعطفهم، ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط[١]. وكتب الضحاك إلى أنصاره على المناطق يستمدهم فأمده النعمان بن بشرحبيل بن ذي الكلاع، وسار زفر بأهل قنسرين، وأمده ناتل بأهل فلسطين، فاجتمع الجند بمرج راهط إلى جانب الضحاك.

واجتمع بنو أمية بالجابية من أرض حوران ولا تزال أطلالاً بالقرب من بلدة نوى. وكانت أهواؤهم مختلفة فحسان بن مالك بن بحدل الكلبي يريد خالد بن يزيد، وكذا مالك بن هبيرة السكوني، أما الحصين بن نمير السكوني فكان يرى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم وقال لهم: لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي، ثم اتفقت كلمة بني أمية ومن والاهم من بني كلب، وجذام، واليمانية عامة على أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم، ثم تكون من بعده لخالد بن يزيد، ثم لعمرو بن سعيد بن العاص. وبويع مروان، وسار بالناس من الجابية إلى مرج راهط، وعمرو بن سعيد بن العاص على ميمنته، وعبيد الله بن زياد على ميسرته ومعه السكاسك، وغسان، والسكون، وأهل الأردن.

أما دمشق فقد سار فيها يزيد بن أبي النمس الغساني الذي لم يشهد الجابية فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وبايع لمروان بن الحكم، وغلب على بيت المال وأمد مروان بالرجال والأموال والسلاح.

والتحم الفريقان، واستمرت المعركة عشرين يوماً، وانتصر مروان، وقُتل الضحاك بن قيس، وعاد أهل حمص ففر النعمان بن بشير منها، فلاحقوه وقتلوه، وسار زفر بن الحارث الكلابي إلى قرقيسيا فتحصن بها وثابت إليه القيسية، وفر ناتل بن قيس ولحق بابن الزبير وهكذا أضحى مروان بن الحكم سيد بلاد الشام وذلك في مطلع عام ٦٥هـ.

وبعث عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً ليفتح بلاد الشام فأرسل له

---

(١) مرج راهط: شمال شرقي دمشق بعشرة كيلومترات بين السفوح الجبلية الجنوبية وبلدتي حرستا ودوما.

مروان جيشاً بإمرة عمرو بن سعيد فالتقيا بفلسطين فهرب مصعب وثبت حكم مروان في الشام.

وجهز مروان جيشين أحدهما بإمرة عبيد الله بن زياد ليأخذ العراق من نواب ابن الزبير، والآخر بإمرة حبيش بن دلجة العتيبي، ووجه جيشاً إلى الجزيرة الفراتية بإمرة ابنه محمد ولم تمض مدة حتى توفي مروان بن الحكم، ولم تطل مدة حكمه للشام سوى تسعة أشهر إذ توفي في الثالث من شهر رمضان عام ٦٥هـ، وقد أوصى بالحكم من بعده لولديه عبد الملك، ثم عبد العزيز، وضرب بمقررات مؤتمر الجابية عرض الحائط.

وكان الحكم أبو مروان من أعداء الإسلام، أسلم يوم الفتح، وانتقل إلى المدينة فأرسله رسول الله ﷺ إلى الطائف.

ومروان من كبار التابعين إن لم نقل أنه صحابي، إذ ولد في حياة النبي ﷺ وكان عمره ثمان سنوات عندما قبض رسول الله ﷺ. وقد روى البخاري عنه في صحيحه، وعن المسور بن محزمة عن جماعة من الصحابة حديث صلح الحديبية. وروى هو عن عمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وروى عنه ابنه عبد الملك، وسهل بن سعد، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلي بن الحسين زين العابدين ومجاهد وغيرهم. وكان كاتب عثمان، ودافع عنه يوم الدار دفاعاً كبيراً، وشهد الجمل مع عائشة، رضي الله عنها، وكان على الميسرة. ثم بايع علياً، وتقرب منه معاوية حين آل الأمر له فولاه المدينة عدة مرات، حتى حدث ما حدث، وكان له من الأولاد عبد الملك، ومعاوية، وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وقد تزوج معاوية بن مروان رملة بنت علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وعبد العزيز وأمه كلبية، وهي: ليلى بنت زبّان، وبشر وأمه كلابية، وهي قطّية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة، ومحمد، وأمه أم ولد، وعبد الله، وعبيد الله، وأمهما أم ولد، وعثمان، وأيوب، وداود وأمهم أم أبان بنت عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وعمر، وأمه بنت عمر بن أبي سلمة.

وبعد وفاة مروان جددت البيعة لابنه عبد الملك في الشام ومصر. وسار بالناس يتابع ما سار عليه أبوه في الحكم، ويحاول أن يوطد له الملك في الأمصار جميعها.

وفي مطلع عام ٦٩هـ ركب عبد الملك في جيش، وقصد قرقيسيا ليقاتل زفر بن الحارث الكلابي الذي كان سيد قيس، والذي تحصّن في قرقيسيا منذ فرّ من معركة مرج راهط، والذي أعان سليمان بن صرد زعيم التوابين حين قاتلهم جيش مروان بعين وردة، وكان ينوي أن يتابع سيره إلى مصعب بن الزبير بعد فراغه من زفر، ولكن لم يكد يغادر دمشق ـ وقد أناب عليها عبد الرحمن بن أم الحكم ـ إلا ووثب عليها عمرو بن سعيد وتحصن فيها فرجع عبد الملك إليها وحاصرها، وجرى قتال بين الطرفين مدة ستة عشر يوماً، ثم اتفقا على أن يكون عمرو بن سعيد ولي عهد عبد الملك، وأن يكون لكل واحد منهما من العمال بقدر ما للآخر إلا أن عبد الملك بعد ذلك دعا عمرو بن سعيد إليه وقتله غيلة.

وفي عام ٧٠هـ شعر الروم بضعف المسلمين نتيجة الخلاف الذي وقع بين ابن الزبير وبني مروان فصالحهم عبد الملك على أن يدفع لهم كل جمعة ألف دينار خوفاً منهم على الشام.

وصفا الجو لعبد الملك بالشام تماماً بعد الانتهاء من عمرو بن سعيد، وكان قبل ذلك كل عام يريد أن يخرج إلى العراق، ويريد مصعب أن يخرج إلى الشام، ويحول الشتاء بين لقاء الطرفين حتى كان عام ٧١هـ فخرج عبد الملك إلى مصعب، وكان على ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية، وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان، ولا شك فإن خروج الخليفة يعطي للجيش شجاعة وحماسةً، ويضعف معنويات العدو. والتقى الطرفان بمسكن فراسل عبد الملك أمراء مصعب، ومنّاهم بالولايات، ووعدهم بالأعطيات، وقد جاء مما جاء من كتبه إلى إبراهيم بن الأشتر وفيه تمنية بولاية العراق، فجاء ابن الأشتر بالكتاب إلى مصعب وقال له: أيها الأمير! أنه لم يبق أحد من

أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا، فإن أطعتني ضربت أعناقهم (ويعني بكلامه أنه ما دام قد جاء كتاب من عبد الملك إلى ابن الأشتر، فلا يمكن إلا أن يكون قد جاء الجميع ولكن لم يطلعوك على ذلك وهذا دليل عدم طاعتهم لك والأولى قتلهم وإلاّ خذلوك أثناء المعركة). فأجاب مصعب إني لو فعلت ذلك لم تنصحنا عشائرهم بعدهم (أي اقتنع بكلام إبراهيم بن الأشتر)، فقال ابن الأشتر: فابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه، فإن كانت لك النصرة ضربت أعناقهم، وإن كانت عليك خرجوا بعد ذلك، فقال له مصعب: يا أبا النعمان، إني لفي شغل عن هذا، ثم قال مصعب: رحم الله أبا بحر ـ يعني الأحنف بن قيس ـ أن كان ليحذرني غدر أهل العراق، وكأنه ينظر إلى ما نحن فيه الآن.

وتقدم ابن الأشتر وكان على المقدمة فأزال مقدمة عبد الملك عن مواضعها فأنجدت ميمنة عبد الملك المقدمة فقتل ابن الأشتر، وتخاذل قادة مصعب، وصعب الموقف، وأعطى عبد الملك الأمان لمصعب فرفضه وقال: إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً ونادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال: يا ابن أخي لا تقتل نفسك، لك الأمان، فقال له مصعب: قد أمنك عمك فامض إليه، قال: لا يتحدث نساء قريش أني أسلمتك للقتل، فقال له: يا بني فاركب خيل السبق فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فإني مقتول ها هنا، فقال له: والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً، ولا أخبر نساء قريش مصرعك، ولا أقتل إلا معك، ولكن إن شئت ركبت خيلك وسرنا إلى البصرة فإنهم على الجماعة، فقال: والله لا تتحدث قريش بأني فررت من القتال.

وتقدم عيسى بن مصعب فقاتل حتى قتل بين يدي أبيه، وأُثخن مصعب بالجراح، وهو يكر على الجموع حتى قتل، ومال الناس إلى عبد الملك، وقُدّم له رأس مصعب. وكان لمصعب سبعة أولاد وابنتان، ومن زوجاته سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة التي أمها أم كلثوم بنت أبي بكر.

ونزل عبد الملك النخيلة فبايعه أهل العراق.

وهكذا توسع ملك عبد الملك فشمل مصر والشام والعراق، ولم يبق مع ابن الزبير سوى الحجاز.

ولما انتهى أمر العراق وأراد عبد الملك الرجوع إلى الشام ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك، فقام الحجاج بن يوسف الثقفي وقال: أنا له يا أمير المؤمنين، فابعث بي إليه فإني قاتله، فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام. وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوه فخرج في جمادى الأولى من عام ٧٢هـ، ولم يعرض إلى المدينة بل سار حتى نزل بالطائف، وصار يرسل السرايا إلى عرفة، ويلتقي الفرسان بعضهم مع بعض فيحدث قتال ثم يعود كل طرفٍ إلى مكانه. ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ليحاصر ابن الزبير فإن جنده قد قلّ، وخذله الناس، كما سأله المدد، فأرسل إليه مدداً بإمرة طارق بن عمرو المكي وهو مولى عثمان بن عفان وأذن له. وجاء موسم الحج فحج بالناس ولم يتمكن من الطواف، كما لم يتمكن ابن الزبير من الحج لأنه محصور، وبقي محصوراً من غرة ذي الحجة عام ٧٢هـ حتى ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣هـ حيث قتل، رضي الله عنه، فكان حصاره ستة أشهر وسبعة عشر يوماً، وقد ضربت مكة بالمنجنيق، ومنعت عنها المواد الغذائية والمياه. وكان ابن الزبير، رضي الله عنه، يشد على أهل الشام فيخرجهم من أي باب دخلوا منه؛ إلا أن الناس قد خذلوه وصاروا يخرجون إلى أهل الشام ومنهم حمزة وخبيب ولدا ابن الزبير، حتى شكا ذلك لأمه فقال لها: خذلني الناس حتى أهلي وولدي ولم يبق معي إلا اليسير من جندي والناس يعطونني ما أردت من الدنيا ما رأيك؟ فقالت: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكّن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من قتل معك، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم

خلودك في الدنيا،؟ القتل أحسن، فدنا فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، ثم قال: والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك، وسلّمي الأمر لله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عمل بفاحشة قط، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته، ولم يكن عندي آثر من رضى ربي عز وجل، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي، اللهم أنت أعلم به مني ومن غيري، ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلو عني، فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً، إن تقدمتني أو تقدمتك، ففي نفسي أخرج يا بني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك، فقال: جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل أو بعد. فقالت: لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحم ذلك القيام وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة، وبره بأبيه وبي، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الصابرين الشاكرين. ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها ـ وكانت قد أضرت في آخر عمرها ـ فوجدته لابساً درعاً من حديد فقالت: يا بني ما هذا لباس من يريد ما تريد من الشهادة!! فقال: يا أماه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به، فقالت: لا يا بني ولكن انزعه فنزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهي تقول: شمر ثيابك، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل، وجعلت تذكره بأبيه الزبير، وجده أبي بكر الصديق، وجدته صفية بنت عبد المطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ وترجّيه القدوم عليهما إذا هو قتل شهيداً، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها، رضي الله عنهما، وعن أبيه وأبيها.

وهكذا غدت الأمصار الإسلامية كلها في قبضة عبد الملك بن

مروان، وبايعته جميعها فأصبح بعدئذٍ الخليفة الشرعي وكان قبلها خارجاً على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما.

٢ ـ **مصر**: أرسل عبد الله بن الزبير عبد الرحمن بن جحدر والياً على مصر من قبله، فاستولى عليها، واعتزل الوالي السابق سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدي، ولكن لم يلبث أن سار مروان بن الحكم، وعمرو بن سعيد إلى مصر فخرج إليهما والي ابن الزبير عليها وهو عبد الرحمن بن جحدر فشاغله مروان، وخلص عمرو بن سعيد بقسم من الجيش من وراء عبد الرحمن إلى مصر.

أقام مروان شهراً بمصر، ثم أبقى ابنه عبد العزيز والياً عليها، وأبقى معه أخاه بشر بن مروان، وموسى بن نصير وزيراً له، ورجع هو إلى الشام.

وقد سار عبد العزيز سيرة حسنة، فبنى مقياس النيل، وأقام قنطرة على خليج أمير المؤمنين (الترعة التي تصل بين خليج السويس والنيل شمال الفسطاط)، وعني بمدينة حلوان، وحاول أن ينقل مركزه إليها، وكان كريماً.

٣ ـ **إفريقية**: عندما سار عقبة بن نافع نحو المغرب خلف على القيروان زهير بن قيس البلوي فلما استشهد عقبة أضحى زهير أمير إفريقية، وقد تابع الجهاد حتى استشهد عام ٦٩هـ، وتبلبل وضع إفريقية حتى أرسل إليها عبد العزيز بن مروان والي مصر آنذاك حسان بن النعمان الغساني فعاد الفتح، واستطاع فتح مدينة قرطاجنة (مكان مدينة تونس اليوم).

٤ ـ **العراق**: اجتمع جماعة من الشيعة بالكوفة على سليمان بن صرد، وتواعدوا بالنخيلة ليأخذوا بثأر الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وكان رؤوس القائمين في ذلك خمسة هم: سليمان بن صرد الصحابي[1]،

---

(١) سليمان بن صرد الخزرجي: صحابي جليل، عابد زاهد. روى أحاديث عن رسول الله ﷺ، وشهد صفين مع علي، وكانت داره مقر اجتماع للذين دعوا الحسين بن=

والمسيب بن نجيبة الفزاري[١]، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي[٢]، وعبد الله بن وال التيمي[٣]، ورفاعة بن شداد البجلي[٤]، واتفقوا على تأمير سليمان بن صرد، وتواعدوا النخيلة[٥]، وقد خطب فيهم المسيب بن نجية فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فقد ابتلينا بطول العمر، وكثرة الفتن، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين في نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ، بعد أن كتبنا إليه وراسلناه، فأتانا طمعاً في نصرتنا إياه، فخذلناه وأخلفناه، وأتينا به إلى من قتله، وقتل أولاده وذريته وقراباته الأخيار، فما نصرناهم بأيدينا، ولا خذلنا عنهم بألسنتنا، ولا قوّيناهم بأموالنا، فالويل لنا جميعاً ويلاً متصلاً أبداً لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتله والممالئين عليه أو نقتل دون ذلك وتذهب أموالنا وتخرب ديارنا، أيها الناس قوموا في ذلك قومة رجل واحد، وتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم.

وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك، فاستجاب له، ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن.

= علي للقدوم إلى الكوفة، وكان بين الداعين له، ثم خذلوه، ثم ندموا على ما فعلوا، واجتمعوا بجيش أطلقوا على أنفسهم اسم التوابين، وقتل عام ٦٥هـ وكان عمره ثلاثاً وتسعين سنة، وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم بالشام مع رأس المسيب بن نجية.

(١) **المسيب بن نجية بن ربيعة** بن رباح الفزاري: تابعي، كان رأس قومه، شهد القادسية وفتوح العراق. ثم شهد مع علي أمير المؤمنين، رضي الله عنه، مشاهده كلها، أقام بالكوفة وقتل في عين وردة عام ٦٥هـ، كان متعبداً ناسكاً.

(٢) **عبد الله بن سعيد بن نفيل الأزدي**، من أزدشنوءة: أحد رؤساء الكوفة وشجعانها، حضر مع سيدنا علي مشاهده كلها، وقتل في عين وردة عام ٦٥هـ.

(٣) **عبد الله بن وال التميمي**: أحد رؤوس التوابين، ، قتل في عين وردة عام ٦٥هـ.

(٤) **رفاعة بن شداد البجلي**: قارئ من الشجعان المقدمين، من أهل الكوفة، كان من أنصار، ومن رؤوس التوابين، آلت إليه قيادتهم، بعد مقتل أربعة قواد قبله، ثم انحاز بالتوابين، وعاد إلى الكوفة، وسار مع المختار، ثم عمل ضده، ثم عاد إليه وقاتل معه حتى قتل عام ٦٦هـ.

(٥) النخيلة: موقع على مقربة من الكوفة على طريق الشام.

وبعد موت يزيد بن معاوية ظن هؤلاء أن أمر بني أمية قد ضعف فأرادوا السرعة في السير إلى الشام لقتل قتلة الحسين حيث كان هناك عبيد الله بن زياد إلا أن سليمان بن صرد قد منعهم في الإسراع قبل الموعد المحدد الذي ضرب لبقية من وافقهم، ولكنهم زادوا في الإعداد لذلك الموعد وأخرجوا نائب عبيد الله بن زياد وهو عمرو بن حريث من القصر، وقدموا عامر بن مسعود الذي بايع ابن الزبير، وفي ٢٢ رمضان عام ٦٤هـ جاء عبد الله بن يزيد الخطمي من قبل ابن الزبير وهو على الحرب والثغر، ومعه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج.

وكان قد وصل إلى الكوفة في منتصف شهر رمضان المختار بن أبي عبيد الثقفي[1]، فلما وجد أمر الكوفة على ما هو عليه أخذ يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد بن الحنفية فسارت وراءه جماعة من أتباع سليمان بن صرد، وفارقت سليمان هذا، ولم يكن ابن الحنفية ليرضى عن هذا الأمر ولا يعلم به أصلاً.

وسار سليمان بن صرد بجماعته نحو الجزيرة، وقد تجمع إليه نحو سبعة عشر ألفاً، ولكن عند المسير لم يبق منهم سوى أربعة آلاف، وكانوا

---

(١) **المختار بن أبي عبيد**: ولد في السنة الأولى للهجرة في الطائف، انتقل مع أبيه أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، إلى المدينة، استشهد أبوه يوم الجسر. وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم، ثم كان مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالعراق، وسكن البصرة بعد علي، وسجنه عبيد الله بن زياد أيام مشكلة مسلم بن عقيل، وضربه على عينه، ثم أخرج من السجن بعد أن طلب عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، من يزيد ذلك، وكانت أخت المختار صفية تحت عبد الله بن عمر، فذهب المختار إلى الحجاز وأقام بالطائف فكان يقول: والله لأقطعن أنامل عبيد الله، فلما قوي أمر عبد الله بن الزبير بايعه المختار وكان من قادته، ودافع عنه يوم حصار الحصين بن نمير، فلما مات يزيد بن معاوية واضطرب أمر العراق استأذن ابن الزبير بالذهاب إلى العراق للدعوة له فانتقل إلى الكوفة. وبدأ يدعو بإمامة المهدي فسجن تاركاً الدعوة لابن الزبير، ولما قوي أمره خرج فأخذ الكوفة من عبد الله بن مطيع والي عبد الله بن الزبير، واستولى على الموصل، وتتبع قتلة الحسين، وقتل أمير جيش عبد الملك بن مروان وهو عبيد الله بن زياد، ثم قتله مصعب بن الزبير عام ٦٧هـ.

كلما ساروا مرحلة تخلف عنهم عدد، ووصلوا إلى قرقيسيا فتحصّن منهم زفر بن الحارث، ثم اتفقوا ونصحهم، فانطلقوا إلى عين وردة[1]، وسار جيش مروان إليهم، والتقى الطرفان في الثاني والعشرين من جمادى الأولى عام ٦٥هـ، وكان على الجيش المرواني عبيد الله بن زياد، ومعه الحصين بن نمير، فاقتتل الطرفان قتالاً شديداً ثبت فيه التوابون جماعة سليمان بن صرد ثباتاً قوياً، حسبما أطلقوا على أنفسهم، وانتصروا في بداية الأمر على جيش الحصين بن نمير، ثم جاء مدد للمروانيين بإمرة شرحبيل بن ذي الكلاع فدارت الدائرة على التوابين، وقتل قائدهم الأول سليمان بن صرد، ثم المسيب بن نجية، ثم عبد الله بن سعد بن نفيل، ثم عبد الله بن وال، ولما أخذ الراية رفاعة بن شداد انتظر حتى جاء الظلام فانشمر راجعاً إلى بلاده فلما وصلوا إلى (هيت) إذ بسعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن معه من أهل المدائن قاصدين نصرتهم فلما أخبروه الخبر عاد كل إلى بلده فلما وصل أهل الكوفة إلى بلدهم كان المختار بن أبي عبيد الثقفي في السجن، فتدخل ختنه عبد الله بن عمر ثانية لدى أمير الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وإبراهيم بن محمد بن طلحة فأخرجاه بعد أخذ العهود عليه إلا أن جماعته قد اجتمعت حوله ومن عاد من التوابين وبايعوه سراً، ولما قوي أمرهم وتمكنوا من اجتذاب إبراهيم بن الأشتر النخعي إليهم خرجوا على الوالي عبد الله بن مطيع فجهز لهم جيشاً بإمرة شبث بن ربعي فانتصر جماعة المختار الذين اتخذو من المناداة بثارات الحسين شعاراً لهم حتى التف حولهم الكثير من أهل الكوفة وخرج ابن مطيع من الكوفة إلى البصرة، وتمكن المختار من المصر، وجعل يتتبع قتلة الحسين.

وأرسل المختار جيشاً لملاقاة جيش عبيد الله بن زياد الذي بلغهم أنه سار إلى الجزيرة بعد الانتهاء من جيش التوابين فاتجه جيش المختار نحو

---

(١) عين وردة: موقع بين الرقة وقرقيسيا في الجزيرة الفراتية على الطريق الواصل بين الشام والعراق ومن المعروف أن هذا الطريق كان عن طريق وادي الفرات، ولعلها رأس العين الآن عند منابع نهر الخابور.

الموصل لقتال قيس عيلان أنصار ابن الزبير والذين قاتلوا في معركة مرج راهط مع الضحاك بن قيس، فانتصر جيش المختار ورجع إلى الكوفة عندما بلغهم أن عبيد الله بن زياد قد جاء بجيش من الشام قوامه ثمانون ألفاً. وجهز المختار جيشاً بإمرة إبراهيم بن الأشتر، ولكن لم يلبث أن سار حتى خرج أهل الكوفة على المختار، وعلموا أنه كذاب فأرسل في طلب ابن الأشتر فعاد فاقتتل الناس وانتصرت جماعة المختار، وفرّ وجهاء الكوفة إلى البصرة حيث كان فيها مصعب بن الزبير. وقتل المختار شمر ذي الجوشن الذي شارك في قتل الحسين، رضي الله عنه، وعمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين. وأرسل رسلاً تدعو له في البصرة، ولكنهم منعوا وغُلب على أمرهم.

عاد المختار يصانع ابن الزبير ليتقي جيش الشام قبلاً. وأرسل كتاباً إلى ابن الزبير يعلن فيه الطاعة فأرسل ابن الزبير والياً على الكوفة من قبله ليرى صدق المختار من كذبه، وكان الوالي عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فلقيه على الطريق زائدة بن قدامة من جهة المختار فاعترض سبيله فسار عمر بن عبد الرحمن إلى البصرة واجتمع مع عبد الله بن مطيع.

أرسل عبد الملك بن مروان جيشاً إلى المدينة ليأخذها من ابن الزبير بإمرة ابن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم. وقد وصل إلى وادي القرى فكتب المختار لابن الزبير إن كنت تريد مدداً، أنجدتك فأجابه إن كنت على طاعتنا فلا بأس من إرسال المدد. فأرسل المختار مدداً قوامه ثلاثة آلاف بإمرة شرحبيل بن ورس الهمداني وقال له: ادخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إليّ حتى يأتيك أمري. وكان يريد أخذ المدينة من ابن الزبير، ثم يركب هو إلى مكة بعد ذلك. إلا أن ابن الزبير كان يعرف خديعة المختار فأرسل لذلك قوة بإمرة العباس بن سهل بن سعد الساعدي فالتقى بقائد المختار فعرف منه مهمته فقضى على أكثر جنده في ليل.

ثم أرسل المختار إبراهيم بن الأشتر في جيش لملاقاة عبيد الله بن

زياد فالتقى به قريباً من الموصل فجرت معركة عظيمة بين الطرفين في مطلع عام ٦٧هـ، قتل فيها من جند الشام عبيد الله بن زياد، والحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وامتلك ابن الأشتر المنطقة فولى الولاة على نصيبين والموصل، ودارا (دير الزور)، وسنجار. وأرسل إلى المختار رأس ابن زياد.

أرسل ابن الزبير أخاه مصعباً والياً على البصرة ليكون كفئاً للمختار، وكان ابن الأشتر قد استولى على أكثر الجزيرة بعد أن قتل ابن زياد، واستهان بالمختار فطمع مصعب بن الزبير بابن الأشتر وأرسل مصعب بمحمد بن الأشعث بن قيس إلى خراسان واستقدم نائبه هناك المهلب بن أبي صفرة.

سار مصعب بن الزبير من البصرة نحو الكوفة ومعه الأحنف بن قيس، والمهلب بن أبي صفرة، وخرج المختار والتقى الطرفان، وهزم جيش المختار، وتراجع إلى الكوفة وقتل فيها سنة ٦٧هـ في ١٤ رمضان. فكان المختار كذاباً يظهر أنه يعمل لآل البيت ويدعو لمحمد بن الحنفية ويبطن الدعوة لنفسه، ويدعو لابن الزبير أحياناً على رؤوس الأشهاد ويظهر الكهانة في الباطن فكان كذاباً وكانت تحته أم ثابت بنت سمرة بن جندب، وعمرة بنت النعمان بن بشير.

ودعا مصعب إبراهيم بن الأشتر فجاءه وأكرمه، وأرسل المهلب بن أبي صفرة إلى الجزيرة. وكان قد ولي على البصرة حين خرج منها عبيد الله بن عبد الله بن معمر، واستقر هو بالكوفة، ثم إن عبد الله بن الزبير ولى على البصرة ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير مدة، ثم أعادها مع الكوفة إلى أخيه مصعب.

وخرج مصعب لملاقاة عبد الملك القادم من الشام فهزم أمامه، وقُتل مصعب، ودخل عبد الملك العراق، وبايعه أهلها عندما نزل بالنخيلة قرب الكوفة. وولى على الكوفة قطن بن عبد الله الحري مدة أربعين يوماً، ثم عزله وولى على العراق أخاه بشر بن مروان.

وتولى أمر البصرة أبان بن عثمان بن عفان ثم أرسل عبد الملك والياً عليها خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأناب عليها عبيد الله بن أبي بكرة.

٥ ـ الحجاز:

أ ـ المدينة: أرسل مروان بن الحكم سنة ٦٥ جيشاً بإمرة حبيش بن دلجة العتيبي إلى المدينة المنورة لينتزعها من ابن الزبير فلما وصل إليها هرب منها واليها جابر بن الأسود بن عوف. فجهز نائب البصرة من قبل ابن الزبير وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة جيشاً من البصرة إلى ابن دلجة بالمدينة، فلما سمع بهم حبيش سار إليهم، وبعث ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد نائباً إلى المدينة، وأمره أن يسير في طلب حبيش، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالربذة، فقتل حبيش بسهم، وهزم بقية الجيش، وتحصّن خمسمائة منهم في المدينة ثم نزلوا على حكم عباس فقتلهم صبراً.

وأعطى ابن الزبير أخاه عبيدة إمرة المدينة، ثم عزله، وولى مكانه أخاه مصعباً، ثم نقل إلى البصرة، وتولى أمر المدينة عبد الرحمن بن الأشعث سنة ٦٦هـ، جاء جابر بن الأسود بن عوف وبقي فيها من سنة ٦٧هـ حتى عام ٧١هـ حيث تولى له أمرها طلحة بن عبد الله بن عوف، ثم إن المدينة خضعت لحكم عبد الملك فولى عليها طارق بن عمرو الذي أرسله مدداً للحجاج.

ب ـ مكة المكرمة: أكمل عبد الله بن الزبير بناء الكعبة، وكان قد مال جدارها بسبب رمي المنجنيق فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس سيدنا إبراهيم وأدخل فيها الحجر (حجر إسماعيل)، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر. وأعاد بناءها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنيها عليه من الشكل، وذلك كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن عن طريق عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: «لولا

حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر، فإن قومك قصرت بهم النفقة، ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً، يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر، ولألصقت بابها بالأرض فإن قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ فجزاه الله خيراً.

واستمر أمر مكة بيد عبد الله بن الزبير حتى وصل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الطائف في أواخر عام ٧٢هـ ثم نزل إلى الحرم وحاصر ابن الزبير مع مطلع هلال ذي الحجة، واستمر الحصار حتى ١٧ جمادى الأولى حيث قتل ابن الزبير، رضي الله عنه، وتولى الحجاج أمر مكة وخطب الناس فقال: أيها الناس! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه من عذابه الأليم، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير، وكان في الجنة وهي أشرف من مكة، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهى عنها أخرجه الله من الجنة، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله، [وقيل أنه قال: يا أهل مكة إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير] ثم ضمت له المدينة وعزل عنها طارق بن عمرو الذي تولي أمرها بعد أن جاء مدداً من قبل عبد الملك إلى الحجاج.

٦ ـ **خراسان**: بايع أهل خراسان بعد موت يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن أبيه حتى يبايع المسلمون لهم خليفة، ثم اختلفوا فتركهم، وأبقى عليهم المهلب بن أبي صفرة.

جربت حروب بين عبد الله بن خازم وبين الخرشي بن هلال القزيعي وطالت حروب ابن خازم حتى تم له أمر خراسان، واستمر فيها حتى قتل

سنة ٧٢هـ. وكانت طاعته لابن الزبير. وكان عبد الملك قد كتب له بطاعته على أن تكون له خراسان مدة عشر سنوات فأبى، فراسل عبد الملك نائب ابن خازم على مرو وهو بكير بن وشاح ومناه بولاية خراسان فوافق، وثار على ابن خازم وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها ابن خازم. فأعطى عبد الملك ولاية خراسان لبكير بن وشاح.

الخوارج

اشتد أمر الخوارج في البصرة إلا أن نافع بن الأزرق قد قتل في معركة مع أهل البصرة، . فولى الخوارج عليهم عبيد الله بن ماجور، فسار بهم إلى المدائن فقتلوا من أهلها كثيراً، ثم غلبوا على الأهواز، وجبوا الأموال، وأتتهم الأمداد من اليمامة والبحرين، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عتّاب بن ورقاء الرياحي فهزمهم، وقتل أميرهم عبيد الله بن ماجور، فتولى أمر الخوارج قطري بن الفجاءة الشاعر المشهور.

وجرت معركة بين أهل البصرة والخوارج انتصر فيها الخوارج فخافهم أهل البصرة فعزل ابن الزبير عامله على البصرة عبد الملك بن الحارث، وولى مكانه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وأرسل المهلب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان، فلما وصل إلى البصرة طلب أهل البصرة منه قتال الخوارج فقال: إن أمير المؤمنين قد بعثني إلى خراسان، فكتبوا له كتاباً على لسان ابن الزبير للقيام بهذه المهمة فوافق، وأخبر ابن الزبير بذلك، فأمضى لهم ذلك. واشترط المهلب على أهل البصرة أن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج، وأن يمدوا جيشه من بيت مالهم فوافقوا، فتولى المهلب قتال الخوارج، فانتصروا عليه ثم ثبت لهم، بعد أن جمع إليه المنهزمون وخطب فيهم فقال: أما بعد أيها الناس، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فينهزمون، وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن من قلة، وأنتم فرسان الصبر وأهل النصر، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن (ولو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً) ثم قال: عزمت على كل رجل منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه، ثم أمشوا بنا إلى عسكرهم فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيولهم في طلب

إخوانكم، فوالله إني لأرجو أن لا ترجع خيولهم إلا وقد استبحتم عسكرهم، وقتلتم أميرهم، ففعل الناس ذلك، فزحف بهم المهلب بن أبي صفرة على معسكر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً[1]، وهرب الخوارج إلى كرمان وأرض أصبهان، وأقام المهلب بالأهواز.

ولما نقل مصعب المهلب بن أبي صفرة من خراسان إلى الجزيرة قوي أمر الخوارج، وقاموا بحركات في فارس في نواحي اصطخر وأصبهان والأهواز وكان واليها عمر بن عبيد الله بن معمر، فحاربهم مصعب، وابن معمر، وكانوا كلما هزموا في ناحية انتقلوا إلى أخرى، وقتلوا ما شاء لهم هواهم، فكتب مصعب إلى المهلب وهو على الموصل أن يسير لقتال الخوارج فسار إلى الأهواز وقاتلهم مدة، وكان أبصر الناس بقتالهم. وأرسل مكان المهلب على الموصل إبراهيم بن الأشتر.

وعندما آل أمر العراق إلى عبد الملك أمّر المهلب بن أبي صفرة على الأهواز فقتل منهم مقتلة عظيمة وطاردهم في كل مكان، وكان بشر بن مروان يمده بالجند والأموال حسب أوامر عبد الملك.

وخرج أبو فديك الحارثي[2] بالبحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي[3] الذي كان قد ثار باليمامة واستولى عليها منذ مقتل الحسين بن علي، رضي الله عنهما، عام ٦١هـ. وبعث خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد والي البصرة من قبل عبد الملك إليه أخاه أمية بن عبد الله في جند كثيف، فهزمه أبو فديك. ثم وجه عبد الملك عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك، وسار معه من الكوفة عشرة آلاف ومن البصرة مثلها واستطاعوا قتل أبي فديك. وهكذا ضعف أمر الخوارج في اليمامة والبحرين. وبقيت للأزارقة قوة في الأهواز.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

(٢) أبو فديك: عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب، كان من أتباع نافع بن الأزرق ثم فارقه، قتل نجدة بن عامر الحنفي، وسيطر على البحرين واستقل بها حتى قتل عام ٧٣هـ.

(٣) **نجدة بن عامر الحروري الحنفي**: من بني حنيفة، من بكر بن وائل، وكان رأس الفرقة (النجدات)، انفرد عن سائر الخوارج بآراء ففارق نافع بن الأزرق، استقل باليمامة، وأتى البحرين واستقر بها، وانتصر عدة مرات على الجيوش التي كان يبعثها إليه مصعب بن الزبير، وسيطر على اليمامة والبحرين وعمان.

نظـرة عـامّة

وعلى الرغم من هذه الخلافات الكبيرة التي حدثت بين آل الزبير وبني أمية إلا أنها كانت خلافات في الاجتهاد والرأي فكل طرف يشعر أن خدمة المسلمين إنما تكون على الطريقة التي يراها والخط الذي ينهجه، ويعيب على الآخر سلوكه، فابن مروان يرى في بخل ابن الزبير ما ينفر، وابن الزبير يرى في تمسك بني أمية بالسلطة وحبهم للحكم والإرث في ذلك ما يخالف الشرع، وتعصّب كل لرأيه حتى أدى الأمر إلى القتال وسفك الدماء، ولكن لم يطعن أحدهما بدين الآخر، ولم ينكر كل منهما فضل الثاني، ولننظر إلى مروان بن الحكم كيف بكى بعد معركة مرج راهط التي انتصر جيشه فيها، وجي له برأس خصمه الضحاك بن قيس الفهري، وقال: أبعد ما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك؟ وقول روح بن زنباع الجذامي في خطبته أثناء العمل على مبايعة مروان بن الحكم إذ قال: (... وأما ابن الزبير فإنه ابن حواري رسول الله ﷺ، ولا ينكر أحد فضله ولكنه خلع بيعة خليفتين...) وحتى الحجاج بن يوسف الثقفي قد خطب أهل مكة بعد قتل ابن الزبير فقال: أيها الناس! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع أهلها....».

وكان عبد الملك يحب مصعب بن الزبير حباً شديداً، وكان خليلاً له قبل الخلافة ولما قُدّم إليه رأس مصعب بكى وقال: (والله ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبي له حتى دخل السيف بيننا، ولكن الملك عقيم. ولقد كانت المحبة والحرمة بيننا قديمة، متى تلد النساء مثل مصعب؟ ثم أمر بدفنه ومواراته هو وابنه، وإبراهيم بن الأشتر في قبور بمسكن قرب الكوفة.

ولم تكن جماعة تطعن في دين الأخرى أو تتهمها، ، وإنما كان الناس يقاتلون مع أمرائهم. ومن غلب على مصر أصبح عليه أميراً وأطاعه أهله. وعلى كل كانت فتنة أضعفت شأن المسلمين فقتلت الأعداد منهم. وأطمعت فيهم أعداءهم وخاصة الروم حتى صالحهم عبد الملك ودفع لهم أتاوة، وتوقفت الفتوحات أو بالأحرى توقف انتشار الإسلام، ولم يتوسع إلا على رقعة صغيرة في إفريقية، إذ ولّى عبد العزيز بن مروان وهو والي مصر على إفريقية حسان بن النعمان ففتح قرطاجنة (موقع مدينة تونس اليوم).

والمجتمع متماسك رغم تباين الآراء وملتزم بحدود الشرع، لا يبيح أحد حرمة أحد، ولا يقاتل إلا بأمر أو حين يرى معصية، اللهم إلا الخوارج الذين كانوا يستبيحون قتال المسلمين، فيمعنون في القتل، ويعتدون على الآمنين، وقد يصل تعديهم إلى قتل النساء، وذلك لأنهم يرون الناس قسمين مسلم أو كافر، فالمسلم من يرى رأيهم، وما عدا ذلك فهم على غير الجادة.

جدول الولايات
في عهد ابن الزبير

السنة	المدينة	الكوفة	البصرة	مصر
٦٤	عبيدة بن الزبير	عامر بن مسعود	عبد الملك بن عبد الله بن عامر عبد الله بن الحارث	عبد الرحمن ابن جحدر
	جابر بن أسود ابن عوف	عبد الله بن يزيد الخطمي	عمرو بن عبيد الله	
٦٥	مصعب بن الزبير	عبد الله بن مطيع	الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة	عبد العزيز ابن مروان
٦٦	عبد الرحمن بن الأشعث	المختار الثقفي	معصب بن الزبير	عبد العزيز ابن مروان
٦٧	جابر بن الأسود ابن عوف	مصعب بن الزبير	مصعب بن الزبير	عبد العزيز ابن مروان.
٦٨	جابر بن الأسود ابن عوف	مصعب بن الزبير	حمزة بن عبد الله ابن الزبير مصعب بن الزبير	عبد العزيز ابن مروان
٦٩	جابر بن الأسود ابن عوف	مصعب بن الزبير	مصعب بن الزبير	عبد العزيز ابن مروان
٧٠	جابر بن الأسود ابن عوف	مصعب بن الزبير	مصعب بن الزبير	عبد العزيز ابن مروان
٧١	طلحة بن عبد الله ابن عوف	قطن بن عبد الله الحري	أبان بن عثمان ابن عفان	عبد العزيز ابن مروان

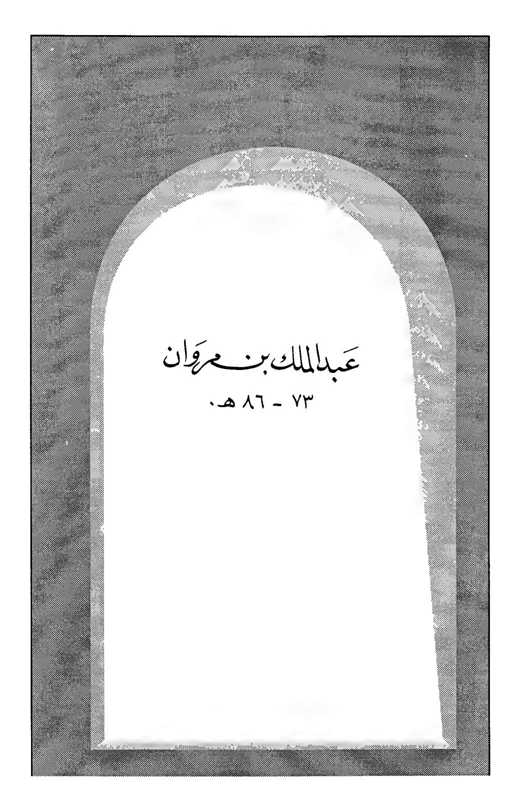
السنة	المدينة	الكوفة	البصرة	مصر
٧٢	طارق بن عمرو	بشر بن مروان	خالد بن عبد الله	عبد العزيز ابن مروان
٧٣	الحجاج	بشر بن مروان	بشر بن مروان	عبد العزيز ابن مروان





الأُسَرة المَرَوانيَّة





عبد الملك بن مروان

٧٣ - ٨٦ هـ.

حَيَاتُه

ولد سنة ٢٦ للهجرة في المدينة، وأبوه مروان بن الحكم، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، فهو أموي من جهة الأب والأم. سمع من سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وشهد يوم الدار (حصار عثمان) مع أبيه وعمره عشر سنوات، وكان قبل أن يلي الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن، وقال الأعمش عن أبي الزناد كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذويب، وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة.

وغزا إفريقية تحت لواء معاوية بن حُديج السكوني سنة إحدى وأربعين، وسار مع المجاهدين مرة أخرى تحت لواء ابن حديج سنة خمس وأربعين، وقد سار على رأس ألف رجل إلى (جلولاء)[1] ففتحها بعد حصار، كما سار على بعث أهل المدينة مع معاوية بن حديج وذلك سنة خمسين للهجرة، وعاد بعدئذ إلى المدينة فأقام بها.

وبقي مروان في المدينة حتى وقعة الحرة حيث أخرج أهل المدينة بني أمية فسار إلى الشام، وملك أبوه الشام، ثم حاز على مصر، ولم يلبث أن توفي، فآل ملك مصر والشام إليه، وكانت بقية الأمصار لأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، ثم انتزع العراق، وظفر بالحجاز بعد مقتل ابن الزبير، فبايعته بعد ذلك اليمن وخراسان وغدا خليفة للمسلمين منذ عام ٧٣هـ.

---

(١) جلولاء: مدينة كانت عامرة على مقربة من القيروان تبعد عنها ٤٠ كيلومتراً، ، وهي الآن أطلال يعرف مكانها عين جلولاء.

وكان أخوه عبد العزيز والياً على مصر منذ دخلها مع أبيه مروان سنة ٦٤هـ، وكان ولي عهده فكتب إليه عبد الملك يسأله أن ينزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد أو يكون ولي العهد من بعده، فإنه أعز الخلق عليه، فكتب إليه عبد العزيز يقول: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد. فكتب إليه عبد الملك يأمره بحمل خراج مصر، وكان من قبل لا يحمل إليه شيئاً من ذلك، فكتب إليه عبد العزيز يقول: إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سناً لا يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً، وإني لا أدري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولاً فإن رأيت ألا تعتب عليّ بقية عمري فافعل، فرق له عبد الملك وكتب إليه: لا أعتب عليك بقية عمرك. ومات عبد العزيز قبل عبد الملك سنة ٨٥هـ، ومات عبد الملك بعده بعام.

ووصى بالخلافة من بعده لابنه الوليد، وبه كان يكنى، ثم لابنه الآخر سليمان بعد أخيه الوليد.

كان عبد الملك رحمه الله ربعة من الرجال أقرب إلى القصر، مفتوح الفم (أفوه)، أبيض، ليس بالنحيف ولا البادن، مقرون الحاجبين، كبير العينين، دقيق الأنف.

تزوج عبد الملك ولاّدة بنت العباس بن جَزء بن الحارث فولدت له:

١ ـ الوليد: الذي تولى الخلافة بعد أبيه.

٢ ـ سليمان: الذي تولى الخلافة بعد أخيه.

٣ ـ مروان الأكبر: مات صغيراً.

٤ ـ عائشة:

وتزوج عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فأنجبت:

٥ ـ يزيد: الذي تولى الخلافة بعد ابن عمه عمر بن عبد العزيز.

٦ ـ مروان.

٧ ـ معاوية: مات صغيراً.

٨ ـ أم كلثوم.

وتزوج عائشة أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فولدت له:

٩ ـ هشام: الذي تولى الخلافة بعد أخيه يزيد.

وتزوج عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله فولدت له:

١٠ ـ أبا بكر، واسمه بكار.

وتزوج أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له:

١١ ـ الحكم: مات صغيراً.

وتزوج أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة فأنجبت له:

١٢ ـ فاطمة التي تزوجها عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي. وله من أمهات الأولاد:

١٣ ـ عبد الله.

١٤ ـ مسلمة: القائد الذي حاصر القسطنطينية.

١٥ ـ المنذر.

١٦ ـ عنبسة.

١٧ ـ محمد.

١٨ ـ سعيد الخير.

١٩ ـ الحجاج.

وهكذا كان لعبد الملك من الأولاد ستة عشر، ومن البنات ثلاث.

بويع عبد الملك بعد وفاة أبيه في مصر والشام، وبويع بالعراق بعد

مقتل مصعب بن الزبير، وبالحجاز واليمن وخراسان بعد مقتل عبد الله بن الزبير وغدا أميراً للمؤمنين منذ ذلك الوقت عام ٧٣هـ وقد استقر له الوضع تماماً، الأمر الذي جعله يمكن من أن يعود لمنازلة الروم الذين طمعوا في ضعف المسلمين نتيجة اختلافاتهم، فأعاد فتح المغرب، وردّ الروم في الأناضول وأرمينيا واستعاد بعض الأجزاء، أما الترك في الشرق وبلاد ما وراء النهر فقد حاربهم وانتصر عليهم، إلا أنه لم تحدث فتوحات واسعة هناك بسبب أن المشرق كانت فيه بعض القلاقل إذ عاث الخوارج من الأزارقة في الأهواز وبلاد فارس كثيراً من الفساد، وكذلك الصفرية منهم في الجزيرة وبلاد العراق وأنفق الخليفة عبد الملك وواليه الحجاج على المشرق كثيراً من الوقت لمحاربة هؤلاء الخارجين على الحكم، وكذلك شغلت حركة عبد الرحمن بن الأشعث الدولة وقتاً من الزمن كل هذا جعل بلاد المشرق تبقى على وضعها من حيث التوسع وإن جرى فيها قتال، وكثيراً ما كان لمصلحة المسلمين، وقد برز اسم الملك رتبيل بين أعداء المسلمين من الترك آنذاك.

وبهذا الاستقرار الذي امتاز به عهد عبد الملك عدّ مقدمةً للفتوحات الكبرى التي حدثت في عهد ابنه الوليد من بعده، ومقدمة لأعمال كبيرة حدثت في عهده هو بالذات والعهد الذي تلاه، ولعل منها النقش على الدراهم والدنانير عام ٧٦هـ، وتعريب الدواوين إذ بقي أهم هذه الدواوين وهو ديوان الخراج يستعمل اللغات الأجنبية، هي ذلك الوقت كما كانت حالها فيها قبل الإسلام، فكان يكتب في الشام باليونانية، وفي العراق بالفارسية، وفي مصر بالقبطية واليونانية ويشرف هذا الديوان على الشؤون المالية للدولة، وكان موجوداً في عواصم الأقاليم وله فروع في عدد من المدن. وكان معنى استعمال اللغة الأجنبية لغة لهذا الديوان المحافظة على موظفيه من الأجانب أو من أهل الكتاب الذميين، كما أن لذلك معنى آخر، وهو استمرار وجود هذه اللغات ضمن أقاليم الدولة الإسلامية الأمر الذي يجعل بعض الناس يفكرون في تعلم هذه اللغات، وهذا يتناقض مع

شخصية الدولة الإسلامية المتميزة، هذا إضافة إلى الجانب السياسي إذ أن هؤلاء الغرباء يعرفون أهم شؤون الدولة، ويتعرفون على شيء من أسرارها. وهذا لا يصح أبداً إذ من المحتمل أن تنقل هذه الأسرار إلى الأعداء ما داموا يلتقون مع هؤلاء الغرباء في عقيدة واحدة، لذا أصدر عبد الملك أوامره بتعريب هذه الدواوين. وكان ذلك عام ٨١هـ في الشام، و ٨٢ في العراق، و٨٦هـ في مصر.

وتوفي عبد الملك عام ٨٦هـ بعد أن بايع لولديه من بعده الوليد ثم سليمان.

الولايَات

كانت أكثر الولايات هادئة باستثناء العراق التي شغلت بأمر الخوارج، وابن الأشعث.

١ ـ **الشام**: استقر الوضع لبني أمية فيها تماماً.

٢ ـ **الحجاز**: تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر الحجاز بعد القضاء، على ابن الزبير، كما أضيفت له اليمامة واليمن، ثم نقل الحجاج إلى العراق، وأعطيت المدينة ليحيى بن أبي العاص عام ٧٥هـ ثم عزل عنها، وتولى أمرها أبان بن عثمان بن عفان مدة سبع سنوات، ثم خلفه عليها هشام بن إسماعيل المخزومي بقية أيام عبد الملك.

٣ ـ **العراق**: ولي أمر البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد عام ٧٤هـ، وبعدها نقل الحجاج إليها، وأضيفت له الكوفة أيضاً، وبقية المشرق، فكان هو الذي يرسل النواب عنه إلى خراسان وسجستان أو بأمر من الخليفة، واستمر هذا الوضع مدة أيام عبد الملك وإلى ما بعد ذلك. وقد بنى الحجاج مدينة واسط عام ٨٤هـ، فأضحت قاعدة العراق.

وكان على خراسان بكير بن وشاح، ثم أرسل إليها أمية بن عبد الله، ولكنه قتل عام ٧٦هـ، إذ ثار عليه بكير بن وشاح وقتله، ولكن عبد الملك بن أمية تولى أمر خراسان مكان أبيه. ثم تولى عبد الله بن أبي بكرة أمر خراسان عام ٧٨هـ، وفي هذا العام أضحت سجستان إمارة خاصة أعطيت للمهلب بن أبي صفرة، ولكن لم يلبث الحجاج أن نقل المهلب إلى خراسان وعبد الله بن أبي بكرة إلى سجستان.

وتوفي المهلب بن أبي صفرة عام ٨٢ هـ فتولى ابنه يزيد أمر خراسان

حتى عام ٨٥هـ حيث استبدله الحجاج بأخيه الفضل بن المهلب، وبعد عام تولى قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان، وتوفي عبد الملك وهو عليها وال.

أما سجستان فقد استشهد أميرها عبد الله بن أبي بكرة عام ٧٩هـ أثناء قتاله الترك، فجهز الحجاج جيشاً، وأعطى إمرته لعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وولاه سجستان، ثم لم يلبث أن قام بحركته عام ٨١هـ، وقد دامت عامين.

وكانت حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ذات جذور نفسية وشخصية واجتماعية. إذ كان عبد الرحمن ذا همةٍ عالية ويتطلع إلى أعلى، ويرغب في السيطرة وكان بينه وبين الحجاج كراهية حتى نظر كل منهما إلى الغدر بالآخر، وقد وجد الحجاج أن من باب السياسة والمصلحة والتمكين لنفسه والتخلص منه إبعاده عن العراق والبيئة التي يعيش فيها، وبقي ينتظر الفرصة المناسبة ليقوم بهذا الأمر، فلما استشهد عبيد الله بن أبي بكرة والي سجستان أثناء قتاله للترك عام ٧٩هـ وجد الحجاج الفرصة مناسبة فاستغلها بأن أرسله عام ٨٠هـ على رأس جيش قوامه أربعون ألفاً من أهل البصرة والكوفة لقتال ملك الترك (رتبيل). وقد وجد ابن الأشعث في هذا ما كان يحلم به، إلا أن عمه إسماعيل بن الأشعث قد نصح الحجاج وقال له: إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة إذا جاوز جسر الصراة، فقال: ليس هو هنالك، هو لي حبيب، ومتى أرهب أن يخالف أمري أو يخرج عن طاعتي. وكان الحجاج يعرف ذلك، وهذا مجال للتنكيل به. هذا إلى جانب أن عبد الرحمن بن الأشعث كان يعرف نقمة الناس وأهل العلم خاصة على الحجاج لقسوته وشدته فيظن أنه إن قام بحركة تبعه الناس عامة وأيده العلماء.

سار عبد الرحمن بن الأشعث بالجيش إلى بلاد الترك، ولما علم رتيبل بسيره حاول أن يعتذر عما وقع منه في العام المنصرم بالنسبة إلى المسلمين وأنهم هم الذين أجبروه على قتالهم، وأنه مستعد لدفع الخراج للمسلمين إلا أن ابن الأشعث لم يأبه بهذا الكلام، ودخل بلاد الترك غازياً،

وتوغل فيها مسافة كبيرة، واقترب الشتاء، ورأى ابن الأشعث أن يتوقف ليصلح المسلمون ما استولوا عليه، فينظمونه ويتمكنون فيه، ويكون الشتاء ببرده القارس في تلك المناطق الجبلية قد انتهى فيعاود الغزو وفي هذا حكمة وسياسة، وأخبر بذلك الحجاج، إلا أن الحجاج لم يوافقه، بل طلب منه التوغل، وألحّ عليه في ذلك، واتهمه بالجبن، وقسا عليه بالكلام، فتضايق ابن الأشعث، وأخبر بذلك جنده، وأعلمهم أنه مصرّ على رأيه وهم الذين يقاسون المشقة في تلك الأصقاع، وأنبأهم بكلام الحجاج الذي فيه غلظة، وأعلمهم أنه قد خلع الحجاج فوافقوه، واتجه نحو الحجاج، وأخبر الحجاج عبد الملك فأمده بالجند، وتقدم نحو ابن الأشعث حتى نزل (تستر) في الأهواز، فهزمت مقدمة الحجاج، وفرّ الحجاج إلى البصرة وتبعهم ابن الأشعث وتمكن من دخول البصرة وخطب الناس فبايعوه على خلع الحجاج وابن مروان، ووافقه على خلعهما جميع من في البصرة من فقهاء وقرّاء وشيوخ وشباب لما يقاسون. والتقى الطرفان في معركة الزاوية عام ٨٢هـ فانتصر ابن الأشعث في اليوم الأول ولكنه هزم في اليوم التالي، وانحاز إلى الكوفة فدخلها، وبايعه أهلها على خلع الحجاج وابن مروان.

استشار عبد الملك رجاله بالأمر فأشاروا عليه بخلع الحجاج عن العراق ليرضي أهله فوافق على ذلك وأرسل ابنه عبد الله بن عبد الملك وأخاه محمد بن مروان ومعهما جنود كثيرة، وقال لهما: اذهبا إلى أهل العراق وقولا لهم: إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عزلته عنكم، وبعثت لكم أعطياتكم مثل أهل الشام، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان، وقال لهما: فإن لم يجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج هو ما عليه، وإليه إمرة الحرب، ومحمد بن مروان، وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره.

ولما بلغ الحجاج ما كتبه عبد الملك لأهل العراق شق عليه ذلك، وكتب إلى عبد الملك يقول: يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق

نزعي عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي علي ابن عفان؟ فلما سألهم ما تريدون؟ قالوا: نزع سعيد بن العاص، فلما نزعه لم تتم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه، وإن الحديد بالحديد يفلح، كان الله لك فيما أرتأيت والسلام عليك. ولكن عبد الملك أبى إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق.

وعندما عرض محمد بن مروان، وعبد الله بن عبد الملك هذه الأمور على أهل العراق ردّوا بأن ننظر في أمرنا غداً، ونرد عليكم الخبر عشية، واجتمع الأمراء مع ابن الأشعث فندبهم بالموافقة حتى أمن عزل خصمه الحجاج، والإمرة لنفسه وهذا ما يعمل له، إلا إن الناس قد نفروا من كل جانب، وقالوا: لا والله لا نقبل ذلك، نحن أكثر عدداً وعُدداً، وهم في ضيق من الحال، وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا، والله لا نجيبهم إلى ذلك أبداً، ثم جددوا خلع عبد الملك والحجاج واتفقوا على ذلك، فلما وصل الخبر إلى محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك قالا للحجاج شأنك بهم إذن فنحن على طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين.

وبرز كل من الفريقين للقتال في موقع قرب الكوفة يقال له دير الجماجم، وكانت الحرب يومياً، فأهل العراق يأتيهم الطعام والعلف من الأقاليم، وأهل الشام في ضيق، واستمر ذلك حتى انتهى عام ٨٢هـ وكانت الدائرة في معظم الأيام تدور على أهل الشام.

وفي نهاية القتال انتصر الحجاج بعد صبر مرير، وهرب ابن الأشعث، ودخل بلاد الترك فأكرمه (رتبيل)، وتبع ابن الأشعث جيش من أنصاره فأخذوا إقليم سجستان وطلبوا منه العودة إليهم والسير بهم إلى خراسان، فأتاهم وبعد أن قطعوا شوطاً اختلف معهم فعاد إلى (رتبيل)، وسار بقية الجيش بإمرة عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة إلى خراسان وعليها يزيد ابن المهلب فأراد إبعادهم دون قتال فأبوا فقاتلهم، وقتل منهم كثيراً، وأسر كثيراً، وأرسلهم إلى الحجاج فقتل منهم عدداً كبيراً وعفا عن بعض.

أما ابن الأشعث فقد استقر عند رتبيل ثم إن الحجاج قد أرسل تهديداً لملك الترك بإرسال ابن الأشعث إليه فوافق فقتله، وأرسل إليه رأسه مقابل تخفيف ما عليه من الخراج وذلك عام ٨٥هـ.

وقتل الحجاج من العلماء الكثير ومنهم سعيد بن جبير، رحمه الله، وعفا عن الشعبي إذ كان قد سار إلى مسلم بن قتيبة وكان الحجاج يوم ظهر قد نادى في الناس: من رجع فهو آمن، ومن لحق بمسلم بن قتيبة فهو آمن، فلحق بمسلم عدد كبير ممن كان مع ابن الأشعث.

٤ ـ **الجزيرة**: وقد ولي أمر الجزيرة وأرمينية محمد بن مروان أخو عبد الملك، فكان جهاده هناك.

٥ ـ **مصر**: كان والي مصر عبد العزيز بن مروان واستمر عليها حتى توفي عام ٨٥هـ، فأعقبه عبد الله بن عبد الملك، وكانت إفريقية في بادئ الأمر تتبع مصر، ويسير إليها الأمير من قبل الوالي في مصر وكان في القيروان زهير بن قيس البلوي[١] يوم استشهاد عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار سنة ٦٣ فعهد إليه أمرها. ثم أضحت ولاية خاصة منذ عام ٧٤هـ، وتولى أمرها حسان بن النعمان الغساني[٢]، ثم

---

(١) زهير بن قيس البلوي، أبو شداد: شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وعمره آنذاك عشرون سنة، ثم أصبح في جيش عقبة بن نافع واستخلفه على مغداش قرب سرت في ليبيا قرب ساحل البحر الأبيض المتوسط سنة ٤٦هـ ثم استخلفه عقبة بن نافع على القيروان حين سار إلى المغرب سنة ٦٢هـ، وبعد استشهاد عقبة انتقل زهير إلى برقة تحت ضغط أعدائه من الروم والبربر، ورجع إلى مصر، وكان ممن بايع ابن الزبير، وسار لرد مروان بن الحكم عن مصر، ولكنه هزم، وعفا عنه عبد العزيز بن مروان وأرسله إلى برقة وفي عام ٦٩هـ كلف بغزو إفريقية واستشهد عام ٧١هـ.

(٢) حسان بن النعمان الغساني: أهله من الغساسنة الذين كانوا ملوك الشام، وقد أسلم عدد منهم بعد الفتح، وبقي آخرون على ديانتهم النصرانية، اختير والياً على إفريقية عام ٧٤هـ فجاهد، واستقر له أمر إفريقية، وبنى تونس، ثم عزل عام ٨٥هـ بعد أن ولى على المغرب من قبله رجلاً من جنده يسمى أبو صالح، ورفض بعدها تولي منصب لبني أمية. وخرج غازياً إلى أرض الروم تحت لواء مسلمة بن عبد الملك فمات هناك سنة ٨٧هـ.

عزل، وتولى أمرها موسى بن نصير[1] عام ٧٨هـ.

(١) موسى بن نصير، أبو عبد الرحمن: من لخم، ولد سنة ١٩هـ، وكان أبوه من سبايا عين التمر الذين سباهم خالد بن الوليد سنة ١٢هـ، وأعتق بنو أمية نصيراً، فأقام بالشام، وأصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان، ثم عليهم، ثم على جيوشه وكان ابنه موسى من بعده،، إذ تولى البحر، وغزا قبرص وكان نائب معاوية عليها. وفي عام ٦٤هـ كان موسى مع الضحاك بن قيس في مرج راهط فلما هزم الضحاك لجأ موسى إلى عبد العزيز بن مروان فحماه وسار معه إلى مصر.

وفي عام ٧٢هـ كان موسى وزير بشر بن مروان في العراق، وبعد وفاة بشر بن مروان خشي الحجاج فانتقل إلى عبد العزيز بن مروان في مصر الذي عزل حسان بن النعمان الغساني عن إفريقية عام ٨٥هـ، وولى موسى بن نصير مكانه، فأخضع المغرب، وتقدم في الأندلس ففتحها، ثم سار إلى الشام وولى مكانه ابنه عبد العزيز على الأندلس، في أثناء عودته وأبقى ابنه عبد الله على القيروان، ووصل إلى دمشق وذهب للحج مع الخليفة سليمان بن عبد الملك فمات بالمدينة سنة ٩٧هـ.

الفتوحات

استغل الأعداء حروب المسلمين فيما بينهم فقاموا بحركات على كل جبهات القتال، وهدد الروم بلاد الشام، واضطر عبد الملك إلى أن يدفع لهم أتاوة سنوية ريثما ينتهي من تدبير أمره، ووصلوا في عام ٧٩هـ إلى أنطاكية، وتمكنوا في إفريقية من قتل عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار عام ٦٣هـ، ثم قتل زهير بن قيس البلوي عام ٧١هـ، وحتى تراجع المسلمون إلى برقة، وتركوا القيروان قاعدتهم الأولى وراءهم.

ونقض أهل أرمينيا العهد، وكذا الترك على الجبهة الشرقية، وهاجموا المسلمين عدة مرات، فلما اجتمع أمر المسلمين على خليفة واحد، وتوحد أمرهم قاموا برد الضربة، وعاد للجهاد أثره وحدثت فتوحات على الجبهات الإسلامية كلها.

١ ـ الجبهة الغربية:

أ ـ بلاد الروم: لم يحدث تغيير يذكر على هذه الجبهة، وكانت الثغور تُحصّن باستمرار، وتتوالى عليها الصوائف والشواتي، والغزو لا ينقطع أبداً، وكان محمد بن مروان أمير الجزيرة هو الذي يتولى أمر الغزو في أغلب الأحيان فقد غزا الروم عام ٧٣هـ. وهزمهم في العام نفسه عثمان بن الوليد في جهات أرمينيا، وكان في أربعة آلاف مقاتل والروم في ستين ألفاً. وخرج الروم من جهات مرعش متجهين نحو بلاد الشام عام ٧٥هـ فوقف في وجههم محمد بن مروان وردهم على أعقابهم مدحورين. وتوقف غزو أهل الشام عام ٧٩هـ بسبب مرض الطاعون الذي انتشر بينهم في ذلك العام إلا أن الروم قد وصلوا إلى جهات إنطاكية وظنوا أن هناك

مانعاً سياسياً خطيراً حال دون غزو المسلمين فتقدموا نحوهم يريدون استغلال الفرصة. ودخل عبد الملك بن مروان بنفسه المصيصة عام ٨٤هـ على رأس صائفة قادها بنفسه. ثم غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم عام ٨٦هـ.

ب ـ **في البحر**: غزا عطاء بن رافع جزيرة صقلية عام ٨٤هـ.

ـ حـ ـ **في إفريقية**: بعد أن وصل عقبة بن نافع[1] إلى ساحل المحيط الأطلسي، وقام بفتوحاته هناك عاد إلى قاعدته القيروان، وفي طريق عودته فاجأه الروم وهو في عدد من جنده لا يزيد على ثلاثمائة فارس، وكلموا كسيلة الذي كان في عسكر عقبة فأظهر غدره وجمع أقرباءه وهاجموا عقبة فاستشهد ومعه أبو المهاجر دينار وذلك عام ٦٣هـ. وكان نائبه على القيروان زهير بن قيس البلوي فقصده كسيلة، واضطر زهير إلى العودة إلى برقة، وانتزع كسيلة القيروان من أيدي المسلمين، وقد كثر الروم في إفريقية إذ توقفت هجمات المسلمين عليهم عن طريق بلاد الشام بسبب الأحداث التي وقعت في بلاد المسلمين كما أن البربر قد قويت شوكتهم، وعز أمرهم بمجيء الروم إليهم، وكتب زهير إلى عبد الملك يخبره بذلك فأرسل إليه قوة كبيرة من بلاد الشام سار بهم إلى إفريقية واقترب من القيروان عام ٦٩هـ، ونازل كسيلة في (ممس) إلى الغرب من القيروان فانتصر عليه وقتله، ولاحق المسلمون الروم والبربر حتى المغرب الأقصى، وكانت معركة (ممس) معركة حاسمة ذل بعدها الروم تماماً، وضعفت مقاومة البربر. وجاءت مراكب كثيرة من الروم من القسطنطينية وجزيرة صقلية فأغارت على برقة فسلبت ونهبت كثيراً، وصادف ذلك قدوم زهير فطلب من جنده

---

(١) **عقبة بن نافع الفهري**: ولد قبل الهجرة بسنة، شهد فتح مصر مع ابن خالته عمرو بن العاص الذي وجهه عام ٤٢هـ إلى إفريقية، وفتح كثيراً من المناطق، وبنى القيروان عام ٥٠هـ، عزله مسلمة بن مخلد والي مصر، وأعطى إفريقية لمولاه أبي المهاجر دينار، ثم عاد عقبة والياً عام ٦٢هـ على إفريقية، فوصل إلى المحيط الأطلسي واستشهد في بلاد الزاب عام ٦٣هـ وله ضريح هناك.

الحركة السريعة نحو الساحل لاستنقاذ سبي المسلمين فلما رأوه استغاثوا به وهم يسحبون نحو المراكب فأسرع لنجدتهم وكانت الروم بأعداد كبيرة فجرت معركة استشهد فيها زهير عام ٧١هـ.

وأرسل عبد الملك عام ٧٣هـ حسان بن النعمان الغساني والياً على إفريقية فسار من مصر بأربعين ألفاً، ويقال إنه أول من دخل إفريقية من جند الشام فنزل طرابلس عام ٧٤هـ وسار بعدها إلى القيروان ولم يجد أثناء سيره سوى مقاومة خفيفة ثم سار إلى (قرطاجنة) وأمر بهدمها فهدمت حتى يحرم الروم من الإفادة من مرافئها، ثم أقام إلى الجنوب منها مدينة تونس، ولاحق الروم إلى الساحل فهزمهم في (بنزرت)، و (صطفورة)، ثم عاد إلى القيروان فمكث فيها مدة، ثم انطلق نحو الكاهنة في جبال (أوراس)، وكان البربر يطيعونها، وأمرها عظيم بخشونه الروم، والتقى الطرفان، وهزم المسلمون بعد بلاء عظيم، وأخبر حسان الخليفة عبد الملك بذلك فأمره بالانتظار حتى تصل إليه الأوامر. أما من ناحية الروم فقد سروا بهزيمة المسلمين وحرصوا على استرجاع إفريقية، ووصل أسطولهم عام ٧٨هـ إلى قرطاجنة بإمرة البطريق يوحنا فتمكن من دخولها، وقسا الروم على المسلمين قسوة شديدة تدل على حقدهم ومحاولة الانتقام، وتحصنوا في قرطاجنة والمدن المجاورة لها، وأخبر حسان أمير المؤمنين عبد الملك بما قسا به الروم.

بقي حسان مقيماً في مكان (قصور حسان) بالقرب من سرته مدة خمس سنوات، وهو يستحث عبد الملك لإرسال الجنود إليه إلا أن عبد الملك كان مشغولاً في حوادث المشرق التي شغلته مدة من الزمن وهي حركة الخوارج وحركة ابن الأشعث. وأرسل نجدة إلى حسان عام ٨١هـ وأمره بالسير نحو إفريقية فتحرك حسان نحو الكاهنة، فهزمها وقتلها عام ٨٢هـ، وعمل على الإحسان إلى البربر فحسن إسلامهم، ثم عاد إلى القيروان فاستراح بها مدة ثم اتجه شمالاً نحو قرطاجنة لمنازلة الروم فانتصر عليهم واحتمى البطريق يوحنا بقرطاجنة. وجرت معركة بحرية هزم فيها

الروم، وفتحت قرطاجنة، وانتقل البطريق يوحنا هارباً إلى بيزنطة. وطلب حسان النجدة البحرية من عبد الملك فأرسل له أسطولاً بإمرة عبد الملك بن قطن فاستولى على جزر (كركنة)، ثم أرسل حسان خيلًا إلى المغرب فسيطر على (فاس) وخلصت له المغرب تماماً، وحتى لا يعود الروم إلى قرطاجنة أنشأ حسان مرفأ تونس جنوب قرطاجنة.

قام حسان بتدوين الدواوين وضرب الدنانير والدراهم العربية، ثم عزل عن إفريقية عام ٨٥هـ.

٢ ـ الجبهة الشرقية: يعيش على حدود بلاد المسلمين الشرقية قبائل يعود أكثرها إلى أصول تركية، وإن كان يمكن تمييز ثلاث جبهات:

أ ـ بلاد ما وراء النهر: وهي التي تقع إلى الشمال الشرقي من بلاد المسلمين، وراء نهر جيحون، وتخضع لإمارات كثيرة، إذ أن أكثر سكانها يعيشون في واحات يديرها أمراء، وتنتقل فيما عداها قبائل رعوية تخضع لأمراء المناطق التي تعيش في جوارها. وقد كان المسلمون يغزون تلك الجهات ثم يعودون إلى خلف النهر. وغزا أمية بن عبد الله، ولكنه حوصر هو وجنوده، وأصابهم الجهد، ثم نجوا بعدما أشرفوا على الهلاك، ثم عادوا إلى مرو وذلك عام ٧٧هـ، وقطع المهلب نهر (بلخ)، ونزل مدينة (كِش)، كما غزا حبيب بن المهلب صاحب مدينة بخارى عام ٨٠هـ، وغزا المهلب بلاد ما وراء النهر وفقئت عينه، ودخل يزيد بن المهلب قلعة (نيزك) بباذ غيس عام ٨٤هـ، كما أن أخاه المفضل قد فتح (شومان) و (باذغيس)، ولكن هذه الغزوات لم تكن للفتح والاستقرار وإنما لإضعاف معنويات الخصم ودراسة أرض المعركة للمستقبل.

ب ـ شرق سجستان: وتعيش هناك قبائل تركية، وقد اشتهر فيها أيام عبد الملك بن مروان أمر الملك (رتبيل)، وقد غزاه المسلمون كثيراً، وفي عام ٧٩هـ، هاجم بلاد المسلمين حتى قتل أميرهم عبيد الله بن أبي بكرة، وفي العام التالي غزا بلاده عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وتوغل فيها إلا أنه قام بحركة فيما بعد فتوقف القتال بين الطرفين، كما التجأ إليه ابن

الأشعث بعد هزيمته. وكان رتبيل يدفع مبلغاً من المال للمسلمين مقابل عدم تقدمهم في أرضه.

حـ ـ السند: وهي المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلاد المسلمين، وتزدهر الحياة الزراعية فيها بسبب وجود نهر السند، كما يكثر السكان بسبب الحياة المستقرة وكثرة المياه وخصوبة التربة، واشتهر من حكام المنطقة (داهر) الذي قاتله المسلمون، وسبق أن أغار المسلمون على تلك الجهات منذ أيام الخلفاء الراشدين، وفي أيام معاوية سار إليها المهلب بن أبي صفرة الأزدي عام ٤٤هـ ونال شيئاً من النجاح، وأرسل عبد الملك سعيد بن أسلم بن زرعة عاملاً له على ثغر السند، ولكنه قتل، والتجأ قاتلاه إلى داهر ملك السند. وأرسل الحجاج والي المشرق مجاعة بن سعر التميمي فغلب على الثغر، وفتح بعض المناطق، ووافاه الأجل قبل مرور عام، وفي هذه الأثناء اختطف القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات، فطلب الحجاج من ملك السند داهر تسليم هذه النساء فأجاب: إن يده لا تصل إلى القراصنة فأرسل إليه الحجاج بعض المقاتلين كان على رأسهم عبيد الله بن نبهان فقتل، فأرسل بُديل ولكن الأجل وافاه، ثم أرسل بعدئذ محمد بن القاسم الثقفي على رأس جيش كبير.

الخـوارج

تولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي قتال الخوارج بأمرٍ من عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أمير العراقين فلاحقهم من مكان إلى آخر، وفي عام ٧٦هـ هاجم صالح بن مسرح[١] أمير الصفرية من الخوارج، وشبيب بن يزيد[٢] خيلاً لمحمد بن مروان أمير الجزيرة لأخيه عبد الملك، ونفروا بها، وأقاموا بمنطقة دير الزور فأرسل لهم جنداً يقدر عددهم بألف رجل فقتلهم الخوارج، ولم يكن يزيد عددهم على مائة وعشرة أشخاص وكان لقاؤهم بأرض آمد. فأرسل لهم ثلاثة آلاف مقاتل ففر الخوارج بعد أن فقدوا أكثر من نصفهم في المعركة التي جرت بين الطرفين، واتجهوا نحو الموصل فأرسل لهم الحجاج ثلاثة آلاف مقاتل مع الحارث بن عميرة فجرى قتال بين الجانبين كان نتيجته هزيمة الحارث بن عميرة لكن قتل صالح بن مسرح زعيم الخوارج، وكان جيش الحارث أول جيش يهزمه شبيب الذي بايعه الخوارج بعد مقتل صالح بن مسرح.

أرسل الحجاج جيشاً لقتال شبيب فهُزم، ثم تمكّن هذا الجيش من جمع جموعه، ونال من جماعة شبيب الذي سار نحو المدائن فهرب جندها إلى الكوفة، فأرسل له الحجاج أربعة آلاف مقاتل اتجهوا نحوه إلى المدائن فخرج منها شبيب فساروا في طلبه، فكان يظهر أنه يفرّ منهم ويكرّ على

---

(١) **صالح بن مسرح التميمي** زعيم الصفرية، وأول من خرج فيهم، كان كثير العبادة يقيم في أرض دير الزور، والموصل، والجزيرة، وله أصحاب يقرأ لهم القرآن ويعظهم، فدعاهم إلى الخروج وإنكار الظلم وجهاد المخالفين له فأجابوه، وقتل عام ٧٦هـ.

(٢) **شبيب بن يزيد بن نعيم** بن قيس الشيباني، أبو الضحاك: ولد عام ٢٦هـ وهو أحد أبطال العالم، بايعه الخوارج بالخلافة، أرهب ملك بني أمية، مات غرقاً عام ٧٧هـ.

مقدمتهم فيهزمها، ويحوز على ما في المعسكر وهكذا عدة مرات وليس معه سوى ستين ومائة رجل، والحجاج يرسل لجيشه المدد والسرايا سرية إثر سرية.

أراد شبيب حصار الكوفة فاتجه نحوها فأسرع إليه الجيش كاملاً فهزمه، ووصلت فلوله إلى الكوفة، وهرب الحجاج منها، والتجأ إلى البصرة، وأناب عنه فيها عروة بن المغيرة بن شعبة، فلما اقترب شبيب من الكوفة أخبر عروة الحجاج بذلك فأسرع إليها الحجاج فدخلها عصراً قبل وصول شبيب إليها، إذ جاء وقت الغروب، وفي آخر الليل دخل شبيب الكوفة، ومعه زوجه غزالة[1] فدخلت مسجد الكوفة، وجلست على منبره، وبدأت تذم الحجاج وآل مروان.

جنّد الحجاج ستة آلاف رجل لقتال شبيب الذي خرج من الكوفة، إلى مكان قريب منها يصلح للنزال، وخرج الجند وراءه فكان لا يبالي بهم ثم يكر عليهم ويهزمهم، وقد قتل منهم خلقاً كثيراً، وكان من جملة من قتل زائدة بن قدامة الثقفي[2] ابن عم الحجاج.

وجه الحجاج بعد زائدة بن قدامة لقتال شبيب عبد الرحمن بن الأشعث ولكن لم يتقابلا. ثم أرسل عثمان بن قطن الحارثي فالتقى بشبيب فقتل عثمان على يد أخ لشبيب يدعى مصاد، فقتل ستمائة من جماعته، واشتد أمر شبيب حتى خافه عبد الملك والحجاج والأمراء جميعاً، فأرسل

---

(١) **غزالة الحرورية**: ولدت في الموصل، وخرجت مع زوجها على عبد الملك، فكانت من أشهر النساء في الشجاعة والفروسية إذ كانت تقاتل في الحروب قتال الأبطال، وقد خشي الحجاج منها يوم دخلت الكوفة فاختبأ وتحصن، وقال في ذلك عمران بن حطان شاعر الخوارج مخاطباً الحجاج:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

قتلها خالد بن عتاب الرياحي في معركة على أبواب الكوفة قبل غرق زوجها.

(٢) **زائدة بن قدامة بن مسعود الثقفي**: قائد من الشجعان، من أهل الكوفة، ابن عم المختار قتل في لقائه مع الخوارج عام ٧٦هـ بأسفل الفرات.

عبد الملك جيشاً من الشام بإمرة سفيان بن الأبرد الكلبي، وأخرج الحجاج مقاتلة الكوفة، وعددهم أربعون ألفاً بقيادة عتّاب بن ورقاء[1] لملاحقة شبيب بن يزيد وقتاله، وخرج إليهم شبيب بألف رجل فقط فانتصر شبيب على خصومه وقتل عتاب بن ورقاء، وفر الجيش إلى الكوفة عام ٧٧هـ، واتجه شبيب نحو الكوفة إلا أن جند الشام قد وصلوا إلى الكوفة فاستنصر بهم الحجاج، ونقل جند الكوفة الذين فروا في معركتهم مع الخوارج إلى الحيرة.

سار الحجاج بنفسه مع جند الشام لملاحقة شبيب وأصحابه وعددهم ستمائة رجل، والتقى الطرفان، وجرت معركة رهيبة ثبت فيها كلا الجانبين لخصمه، ثم ذهبت فرقة من جند الحجاج واتخذت لها طريقاً إلى خلف جماعة شبيب وداهمته فصمد لها، وقُتل أخوه مصاد، وزوجه غزالة، وكثير من جنده، وانطلق شبيب بمن بقي معه، وعاد نحو الكوفة فخرجت له السرايا الواحدة تلو الأخرى فكان يردها وينتصر عليها، ثم عاد شبيب واتجه نحو الأهواز فكلف الحجاج نائبه على البصرة وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل[2]، ختنه، زوج ابنته فجهز جيشاً قوامه أربعة آلاف انضمت إلى جند الشام والتقوا مع شبيب فهزموه وفر الخوارج من بين أيديهم إلا أنهم اضطروا إلى أن يسيروا نحو جسر هناك على نهر دجيل بالأهواز، وأجبروا على السير عليه، فوقف شبيب مع مائة من رجاله يقاومون جند الحجاج خوفاً من قطع الجسر، وفي الصباح اجتاز شبيب الجسر فكبا به جواده وهو على الجسر فسقط في

---

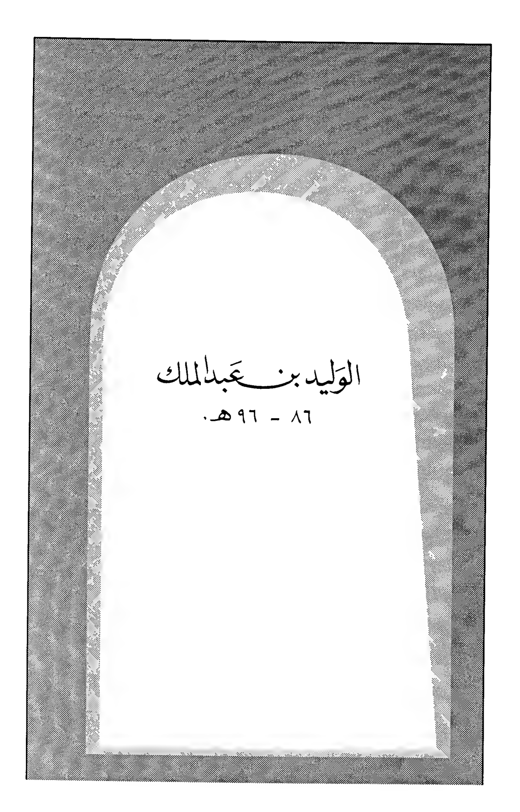
(١) **عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو**: أبو ورقاء، الرياحي، اليربوعي، التميمي: قائد من الأبطال، ولاه مصعب بن الزبير إمارة أصفهان، وانتدبه لقتال الخارجين عليه في الري، ففتح الري عنوة، ثم أصبح في جيش المهلب بن أبي صفرة، ثم انتدبه الحجاج لقتال شبيب فقتله عامر بن عمير التغلبي من أصحاب شبيب عام ٧٦هـ.

(٢) **الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي**: أمير، ابن عم الحجاج، تولى له أمر البصرة ثم عزله، ثم أعاده، قتله صالح بن عبد الرحمن الكاتب مع جماعة من أهل الحجاج لما اختزنه من أموال وذلك عام ٩٧هـ أيام خلافة سليمان بن عبد الملك.

الماء وغرق لكثرة ما عليه من حديد الدروع، وكان شبيب رجلاً طويلاً جعداً.

كما جرت حروب كثيرة بين جند الحجاج والأزارقة في منطقة الأهواز، وكان أمير جند الحجاج المهلب بن أبي صفرة. فالأزارقة من الخوارج كانوا في الأهواز، والصفرية كانوا في الجزيرة والسواد، والنجدات كانوا في اليمامة والبحرين.





الوليد بن عبد الملك

٨٦ - ٩٦ هـ.

حَيَاته

ولد الوليد بن عبد الملك سنة خمسين لهجرة رسول الله ﷺ، وكان طويلاً أسمر، به أثر جدري خفيف، أفطس الأنف، يتبختر في مشيته. نشأ في الترف فكانت لغته ضعيفة.

تزوج ابنة عمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فولدت له عبد العزيز ومحمداً. وتزوج ساهفريد بنت كسرى فولدت له يزيداً الذي تولى الخلافة. وتزوج امرأة فزارية فولدت له أبا عبيدة. ومن أولاده أيضاً العباس، وإبراهيم، وتمام، وخالد، وعبد الرحمن، ومسرور، ومروان، وصدقة، وعنبسة، وعمر، وروح، وبشر، ويحيى، ومنصور، ومبشر، فكان عدد أولاده الذكور تسعة عشر ولداً.

بويع بالخلافة أيام أبيه. ثم جددت له البيعة بعد عودة الناس من دفن أبيه في منتصف شهر شوال من عام ٨٦هـ، وبعد شهر من توليه الخلافة شرع في بناء جامع دمشق، ولم يزل في عمرانه مدة خلافته وهي عشر سنوات، وقد كان موضع هذا الجامع كنيسة يقال لها: كنيسة يوحنا، فلما فتحت دمشق جعلها المسلمون مناصفة حسب فتح دمشق نصفها بالسيف والآخر سلماً، فأخذوا الجانب الشرقي منها وهو الجانب الذي فتح حرباً من دمشق وجعلوه مسجداً، وبقي الجانب الغربي كنيسة على حالها منذ فتح دمشق، فعزم الوليد على أخذه، وعوضهم عنه كنيسة مريم على أنها تقع في الجانب الشرقي الذي أخذ بالسيف، كما بنى صخرة المقدس، ووسع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأعطى المجذومين، وقال لهم: لا تسألوا الناس، وبنى لهم مشفى

خاصة في ضواحي دمشق إلى الشمال الشرقي منها بعد عشرين كيلو متراً في بداية مرج عذراء في مكان مناسب للجذام حيث يتوقف انتشاره في الجسم في ذلك المكان ـ بإذن الله ـ. ولا يزال يحمل هذا المشفى اسم مشفى الوليد. وأعطى كل مُقعد خادماً، وكل ضرير قائداً. وكان يبرّ حملة القرآن، ويكرمهم، ويقضي عنهم ديونهم.

وحدثت في أيامه فتوحات واسعة في المشرق، والمغرب، والأندلس، وفرنسا، وكان يرسل في كل غزوة إلى بلاد الروم أحد بنيه.

وحج عام ٩١هـ فلما قرب من المدينة المنورة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم، ودخل المدينة النبوية فأخلي له المسجد النبوي، فلم يبق به سوى سعيد بن المسيّب، لم يتجاسر أحد أن يخرجه، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم، فقالوا له: تنحّ عن المسجد أيها الشيخ، فإن أمير المؤمنين قادم، فقال: والله لا أخرج منه فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه، ويصلي ها هنا وها هنا ويدعو الله عز وجل، قال عمر بن عبد العزيز: وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه، فحانت منه التفاتة، فقال: من هذا هو سعيد بن المسيب؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك. فقال: قد علمت بغضه لنا، فقلت: يا أمير المؤمنين إنه وإنه، وشرعت أثني عليه، وشرع الوليد يثني عليه بالعلم والدين، فقلت: يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر ـ وإنما قلت ذلك لأعتذر له، فقال: نحن أحق بالسعي إليه. فجاء فوقف عليه فسلم عليه، فلم يقم له سعيد، ثم قال الوليد: كيف الشيخ؟ فقال: بخير والحمد لله، كيف أمير المؤمنين؟ فقال الوليد! بخير والحمد لله وحده، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز: هذا فقيه الناس. فقال: أجل يا أمير المؤمنين[1].

وهرب يزيد، والمفضل، وعبد الملك أبناء المهلب بن أبي صفرة،

---

(١) البداية والنهاية.

من السجن ولحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمنهم من الحجاج ووافق الوليد على ذلك، وكانت هند بنت المهلب أختهم تحت الحجاج.

وتوفي الوليد في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وبويع بعده أخوه سليمان بن عبد الملك، وكان عامله على الرملة، وفكر الوليد في أخذ البيعة لولده عبد العزيز وخلع أخيه سليمان، ولكنه توفي قبل أن يقدم على ذلك، ووافقه في هذا الأمر كل من الحجاج، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وامتنع عليه عمر بن عبد العزيز وقال له: لسليمان بيعة في أعناقنا.

الولايات

كانت الأوضاع في عهد الوليد بن عبد الملك هادئة في الولايات كلها، حتى أن أمر الخوارج قد ضعف، ولم تقم حركة تذكر في أيامه سواء أكانت من الخوارج أم من قبل غيرهم.

١ ـ **الشام:** وبقي الوضع فيها مستقراً لبني أمية.

٢ ـ **الحجاز:** كانت المدينة إمارة وحدها وكذا مكة طيلة أيام الوليد بن عبد الملك.

أ ـ **المدينة المنورة:** وقد تولى أمرها عمر بن عبد العزيز حتى عام ٩٤هـ، ولما قدم الوليد المدينة نزل دار جده مروان بن الحكم، ودخل عليه الناس فسلموا عليه، فما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة، : عروة بن الزبير(١)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة(٢)، وأبا بكر بن

---

(١) **عروة بن الزبير بن العوام:** أبو عبد الله، عالم المدينة، أحد الفقهاء السبعة: حدث عن أبيه، وعن أمه أسماء بنت أبي بكر، وعن خالته أم المؤمنين عائشة، ولازمها، وعن سعيد بن زيد، وعن علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وجابر، ومحمد بن مسلمة، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وأسامة بن زيد، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وقيس بن سعد بن عبادة. ولد سنة ثلاث وعشرين للهجرة، نشأ في المدينة، وفد على ابن عباس في البصرة، ثم لحق بمصر، وأقام مع أخيه عبد الله بمكة مدة خلافته، فلما قتل أخوه انتقل إلى المدينة، ووفد على عبد الملك بالشام، وتوفي سنة ثلاث وتسعين. .

(٢) **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود،** أبو عبد الله الهذلي، المدني، الأعمى، أخو المحدث عون، وجدهما، عتبة هو أخو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، أحد الفقهاء السبعة: ولد عام ثلاثة وعشرين، لازم ابن عباس طويلاً. كان بحراً من بحور العلم كما يقول الزهري، وتوفي عبيد الله عام ثمانية وتسعين.

عبد الرحمن[١]، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة[٢]، وسليمان بن يسار،[٣] والقاسم بن محمد[٤]، وسالم بن عبد الله بن عمر[٥]، وعبد الله بن عبد الله بن عمر[٦]، وعبد الله بن عامر بن ربيعة[٧]، وخارجة بن زيد[٨]، فدخلوا عليه فجلسوا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو

---

(١) **أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث** بن هشام المخزومي، أبو عبد الرحمن، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة: كان يسمى راهب قريش لكثرة عبادته وكان كفيفاً. ولد في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، توفي سنة أربع وتسعين أيام الوليد بن عبد الملك.

(٢) **أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة** بن حذيفة بن غانم، العدوي، أمه أمة الله بنت المسيب بن صيفي المخزومي، سمع من سعد بن أبي وقاص وروى عنه الزهري.

(٣) **سليمان بن يسار**: أبو عبد الرحمن، وقيل أبو أيوب، وأبو عبد الله، المدني، عالم المدينة وفقيهها، مولى أم المؤمنين ميمونة، وأخو عطاء بن يسار؛ ولد عام ٣٤هـ في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وتوفي عام ١٠٧هـ أيام هشام بن عبد الملك، كان أبوه فارسياً. وقد ولي سوق المدينة لأميرها عمر بن عبد العزيز.

(٤) **القاسم بن محمد بن أبي بكر**، أبو محمد: أحد فقهاء المدينة السبعة: ولد في المدينة عام ٣٧هـ، وتوفي بقديد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً عام سبعة ومائة، كف بصره في أواخره حياته، وكان من سادات التابعين.

(٥) **سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب**، أبو عمر، مفتي المدينة، أمه أم ولد، ولد في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه. قال سعيد بن المسيب: كان عبد الله بن عمر أشبه ولد عمر به، وكان سالم أشبه ولد عبد الله به. وقال: قال لي ابن عمر: أتدري لم سميت ابني سالماً؟ قلت: لا قال: باسم سالم مولى أبي حذيفة.
كان خشن الثياب، كثير العبادة، توفي سنة ست ومائة.

(٦) **عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب**: أمه صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أخت المختار. فيكون المختار خاله، وقد تزوج ابنة خاله المختار، وهي أم سلمة بنت المختار.
وتوفي عبد الله في أول خلافة هشام بن عبد الملك بالمدينة، وكان ثقة قليل الحديث.

(٧) **عبد الله بن عامر بن ربيعة بن مالك**، أبو محمد: ولد عام الحديبية، وكان عمره يوم قبض رسول الله ﷺ خمس سنين أو ست، روى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان وعن أبيه، ومات بالمدينة سنة خمس وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان ثقة قليل الحديث.
ولذا يبدو أن في دعوته من قبل عمر بن عبد العزيز نظر إذ توفي ولم يكن الوليد قد تولى بعد، كما لم يكن عمر بن عبد العزيز قد تولى أمر المدينة.

(٨) **خارجة بن زيد بن ثابت**: الإمام بن الإمام، أحد الفقهاء السبعة الأعلام، أبو زيد: وجده لأمه هو سعد بن الربيع الأنصاري، رضي الله عنه، وتوفي سنة مائة من هجرة رسول الله ﷺ.

أهله ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلا بلّغني فجرجوا يجزونه خيراً[١].

وضرب عمر بن عبد العزيز سنة ثلاث وتسعين خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك، وصب فوق رأسه قربة من ماء بارد في يوم شتاء بارد، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله. وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن، وكان إذا بشّر بشيء من أمر الآخرة يقول: وكيف وخبيب لي بالطريق؟ وفي رواية يقول: هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق، ثم يصيح صياح المرأة الثكلى، وكان إذا أثنى عليه يقول: خبيب إن نجوت منه فأنا بخير. وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيب فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حينئذٍ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء وكانت تلك هفوة منه وزلة[٢].

ولما استقال تولى أمر المدينة بعده عثمان بن حيان إلى نهاية أيام الوليد بن عبد الملك.

ب ـ مكة المكرمة: وكان عليها منذ عام ٨٩هـ خالد بن عبد الله القسري، وبقي عليها طيلة أيام الوليد بن عبد الملك، وكانت مكة تارة تتبع عمر بن عبد العزيز، وأخرى تبقى ولاية خاصة.

٣ ـ العراق: كان الحجاج أمير العراقين، وكانت أكثر إقامته في الكوفة، ويقيم نائباً عنه في البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي[٣]، وبقي

---

(١) الطبري. (٢) البداية والنهاية.

(٣) **الجراح بن عبد الله الحكمي**: أبو عقبة: ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان، وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وكان بطلاً شجاعاً، مهيباً طوالاً، عابداً قارئاً، كبير القدر استشهد عام ١١٢ غازياً في بلاد الترك.

ذلك حتى بنى مدينة واسط عام ٨٤هـ فأصبحت قاعدته، ومقر إمارته، وكان المشرق كله يتبع العراق، والحجاج هو الذي يرسل نواباً عنه إلى خراسان، وسجستان، والسند، وقد قامت الفتوحات الواسعة في المشرق وخاصة في بلاد ما وراء النهر والسند.

وتوفي الحجاج في ١٧ رمضان من عام ٩٥هـ أي قبل انتهاء مدة الوليد بأقل من سنة، وولى على الصلاة مكانه ابنه عبد الله، ثم إن الوليد ولّى على المصرين يزيد بن أبي كبشة[١] للصلاة والحرب، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم[٢].

٤ ـ **الجزيرة**: كان والياً على الجزيرة من قبل الوليد عمه محمد بن مروان وبقي ذلك حتى عام ٩١هـ حتى تولى أمرها أخوه مسلمة بن عبد الملك، وكان والي الجزيرة يتولى غزو أرمينيا، وبلاد الروم الشرقية، وأذربيجان.

٥ ـ **مصر**: تولى عبد الله بن عبد الملك أمر مصر بعد وفاة عمه عبد العزيز بن مروان، وبقي على مصر حتى عام ٩٠هـ حيث خلفه عليها قرة بن شريك العبسي[٣] وبقي فيها طيلة أيام الوليد حيث توفي عام ٩٦هـ.

٦ ـ **إفريقية**: كان عليها موسى بن نصير، وقامت في عهده الفتوحات الواسعة في بلاد الأندلس بعد أن وطد أوضاع المغرب ودخل البربر في دين الله.

---

(١) **يزيد بن أبي كبشة**: يزيد بن جبريل بن يسار، كان مقدم السكاسك، وصاحب شرطة عبد الملك، ثم ولي العراقين للوليد، وتولى خراج السند أيام سليمان، ومات بالسند عام ٩٩هـ.

(٢) **يزيد بن أبي مسلم الثقفي**، أبو العلاء بن دينار الثقفي: كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، كان قصيراً دميماً، كبير البطن، مشوهاً، أخذه سليمان بن عبد الملك مغلولاً، أمره يزيد بن عبد الملك على إفريقية، ثار عليه الخوارج هناك، وقتلوه سنة ١٠٢هـ.

(٣) **قرة بن شريك العبسي**: أمير مصر من قبل الوليد، بنى جامع الفيوم، توفي عام ٩٦هـ.

الفتوحات

حدثت فتوحات عظيمة أيام الوليد بن عبد الملك لا يمكن مقارنتها إلا بالفتوحات التي تمت أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، رضي الله عنهما، بل إن الفتوحات الإسلامية نرى لها قمتين أولاهما أيام الراشدين والثانية أيام الوليد، وقد اتسمت هذه الفتوحات بامتدادها على مختلف الجبهات:

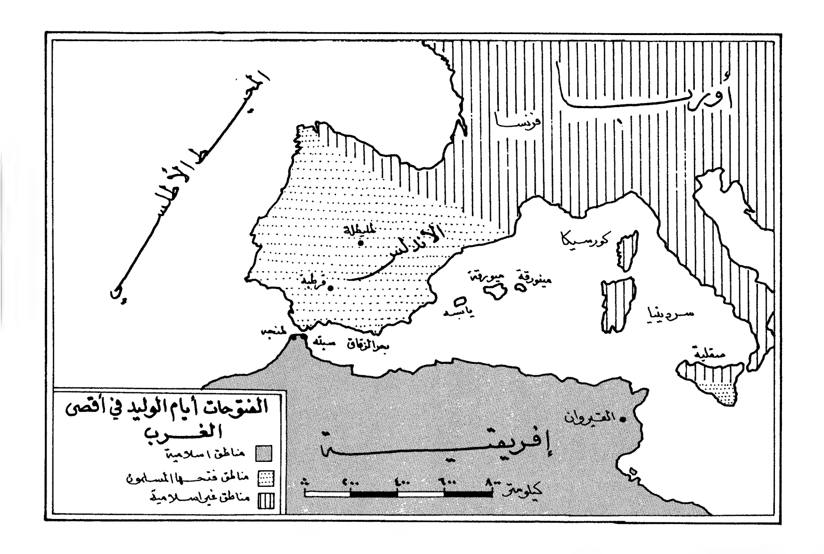
١ ـ الجبهة الغربية:

أ ـ في بلاد الروم: كان أمير الغزو في بلاد الروم مسلمة بن عبد الملك، وكانت الصوائف والشواتي لا تنفك تغزو، ويقودها أحد أبناء الوليد الذين يساعدون عمهم في شؤون القتال، ومنهم العباس، وعبد العزيز[١]، وعمر، ومروان.

وكانت الجيوش الإسلامية تتقدم في أرض الروم، وتفتح بعض الحصون، وتغنم الغنائم، ويكون التقدم أحياناً واسعاً إلى عمق كبير في أرض العدو فقد وصل مسلمة بن عبد الملك ومعه ابن أخيه العباس بن الوليد إلى عمورية موقع أنقرة اليوم ففتحاها، وفتحا هرقلية معها وذلك عام ٨٩هـ،

---

(١) **عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان،** أبو الأصبغ، وهو ابن أخت عمر بن عبد العزيز، ولي نيابة دمشق، أراد أبوه أن يكون خليفة من بعده فامتنع عمر بن عبد العزيز وقال: لسليمان في أعناقنا بيعة، فغضب الوليد، وطيّن عليه، ثم فتح عليه بعد ثلاثة، ومالت عنقه، حج عبد العزيز بالناس، وغزا بلاد الروم، وكان لبيباً عاقلاً، دعا لنفسه بالخلافة بعد عمه سليمان، فلما سمع باستخلاف خاله عمر بن عبد العزيز سكن، ودخل في الطاعة.


الفتوحات أيام الوليد في أقصى المغرب
مناطق اسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير اسلامية
المحيط الأطلسي
أوربا
فرنسا
الأندلس
طليطلة
قرطبة
طنجة
سبتة
بحر الزقاق
يابسة
ميورقة
مينورقة
كورسيكا
سردينيا
صقلية
القيروان
إفريقية
كيلومتر ٨٠٠ ٦٠٠ ٤٠٠ ٢٠٠ ٠

وكذلك فقد غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم عام ٩٢هـ ففر الروم إلى أقصى بلادهم، ووصل المسلمون يومذاك إلى خليج القسطنطينية. وكثرت غزوات المسلمين إلى تلك الجهات عام ٩٣هـ وكانت الجيوش الإسلامية تعود إثر كل غزوة إلى الثغور، وأحياناً يتمكن الروم من التسلل إلى الأرض الإسلامية والاستيلاء على بعض المناطق لكن لا يلبث المسلمون أن يسترجعوا ما فقدوا، أما الحدود العامة فيمكن أن نقول: إنها ثابتة والثغور لم تتغير وتتركز في مرتفعات طوروس.

وكان أمير الجزيرة يتولى الجهاد في بلاد الروم الشرقية وأرمينيا وأذربيجان وقد غزا مسلمة بن عبد الملك ومعه ابن أخيه عبد العزيز بن الوليد بلاد الروم من ناحية أذربيجان ووصلا حتى الباب، ولكن وغالباً ما ينقض السكان العهد بعد وقت قصير من الفتح، فيعود المسلمون من جديد للتقدم في أراضيهم وغزوهم الأمر الذي يجبر الأعداء على طلب الصلح مرة أخرى، لذا نرى أن فتوحات المدينة الواحدة أو المنطقة الواحدة يحدث عدة مرات.

ب ـ **في البحر**: دخل المسلمون جزيرة صقلية وميورقة عام ٨٩هـ.

ح ـ **في إفريقية**: وطد موسى بن نصير الوضع في إفريقية، وعمل على نشر الإسلام بين البربر، وقد نجح في مهمته، ودان البربر بالإسلام. ونظر موسى بعدها إلى البلدان التي تجاوره والتي يمكن أن يأتي منها خطر على بلاد المسلمين فوجد بلاد الأندلس أمامه على العدوة الثانية من بحر الزقاق، فالروم لهم نفوذ فيها، ويمكن أن يتحركوا من تلك الجهة، ومن جهة ثانية وجد الظلم القائم هناك ومن واجبه إزالة هذا الظلم فالإسلام حرب على الظلم، فأوكل إلى نائبه على طنجة وهو طارق بن زياد أن يدرس أوضاع بلاد الأندلس، وأن يمهد الأمر للقيام بفتحها، فدخل مدينة سبتة وكانت لا تزال بيد الوندال حكام الأندلس ثم جاز بحر الزقاق باثني عشر ألفاً من الجند من سبتة إلى شبه الجزيرة التي عرفت فيما بعد باسم (جبل طارق) وذلك عام ٩٢هـ، ودخل قرطبة وقتل حاكم البلاد (لذريق).

ثم دخل موسى بلاد الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري[١] ولحقا بطارق. ثم إن طارق بن زياد قد فتح مدينة طليطلة إلا أن موسى قد عزله وولى مكانه ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير[٢].

ثم إن الوليد بن عبد الملك أرسل إلى موسى يستقدمه إلى الشام إذ أصبح شيخاً هرماً قد قارب الثمانين فولى موسى مكانه ابنه عبد العزيز على الأندلس، وعاد ولما وصل إلى القيروان ثبت ابنه عبد الله[٣] والياً على إفريقية.

٢ ـ **الجبهة الشرقية**: وكان معظمها على حدود القبائل التركية المنتشرة في تلك الجهات.

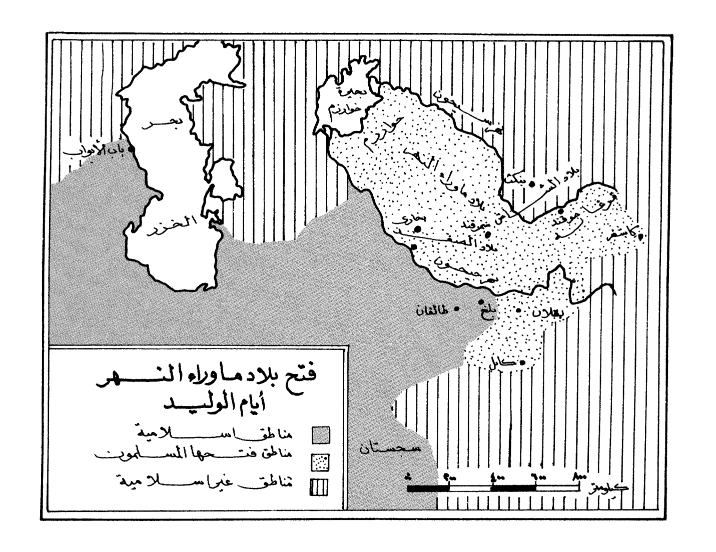
أ ـ **بلاد ما وراء النهر**: غزا قتيبة بن مسلم الباهلي بلاد الترك، وصالح الملك (نيزك) على مال، وعلى إطلاق ولديه من أسارى المسلمين. إلا أن الترك كثيراً ما كانوا ينقضون العهد حتى يجبروا على توقيعه ثانية ودفع مزيد من المال. وقد غزا قتيبة بن مسلم مدينة (بيكند) عام ٨٧هـ وحاصرها، فطلب أهلها الصلح فوافق. وترك عندهم أميراً من قبله، ومعه حامية، فلما رجع عنهم قتيبة لم يلبث الترك أن نقضوا العهد، وجدعوا

---

(١) **حبيب بن مرة أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، الفهري، القرشي**: ولد ونشأ بمصر، ودخل الأندلس مع موسى بن نصير، وولي بها عدة ولايات، ثم عاد إلى دمشق مع جماعة يحملون رأس عبد العزيز بن موسى، ثم عاد إلى إفريقية فتولى قيادة الجيش في قتال من عصى من البربر، وقتل في إحدى المعارك.

(٢) **عبد العزيز بن موسى بن نصير**: ضبط أمور الأندلس بعد أبيه عندما غادرها إلى الشام، وكانت فتوحات واسعة على يديه، كان فاضلاً في أخلاقه وسيرته، قتله الجند وهو قائم يصلي صلاة الصبح في المحراب عام ٩٧هـ أيام سليمان بن عبد الملك، وأرسل رأسه إلى دمشق.

(٣) **عبد الله بن موسى بن نصير**: من رجال الفتح في المغرب كان مع أبيه في إفريقية، واستخلفه على القيروان عندما سار موسى إلى الأندلس، وبقي فيها حتى عام ٩٧هـ حيث عزله سليمان بن عبد الملك فسجنه والي القيروان الجديد محمد بن يزيد مولى قريش وعذبه، ثم قتله بتهمة قتله يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وذلك عام ١٠٣ هـ وأرسل رأسه إلى يزيد بن عبد الملك بدمشق.


فتح بلاد ماوراء النهر
أيام الوليد
مناطق اسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير اسلامية
بحر
الخزر
باب الأبواب
بحيرة
خوارزم
خوارزم
بلاد ما وراء النهر
نهر سيحون
نهر جيحون
بلاد الشاش
بنكث
فرغانة
خوقند
كاشغر
سمرقند
بخارى
بلاد الصغد
بلخ
طالقان
بغلان
كابل
سجستان
كيلومتر

أنوف الحامية، فرجع إليهم قتيبة، وحاصر المدينة حتى فتحها. وفي العام التالي غزا قتيبة بلاد الترك وحمل معه (نيزك) مأسوراً وقد حصل قتيبة على انتصارات كبيرة، وجمع غنائم كثيرة.

وغزا قتيبة عام ٨٩هـ بلاد الصغد، ونسف، وكش وسار نحو بخارى ولكنه لم يتمكن من دخولها إلا بعد عام (٩٠هـ) وكان لفتحها أثر كبير على معنويات ملك الصغد إذ خشي على نفسه وطلب الصلح من قتيبة. كما غزا في ذلك العام بلاد الترك من ناحية أذربيجان حتى وصل إلى باب الأبواب.

ونقض العهد نيزك خان، وهو ملك الترك الأعظم فسار إليه عبد الرحمن بن مسلم أخو قتيبة فتمكن من أسره، وكان ينزل في (بغلان) فقتله قتيبة، كما تمكن من أخذ (الطالقان) وسار إلى (الفارياب) ودخل (بلخ).

وفتح قتيبة مدينة (نسف) و (كش) و (شومان)، وصالح عبد الرحمن ابن مسلم ملك الصغد (طرخون) وبعدها سار عبد الرحمن إلى بخارى حيث كان أخوه قتيبة، ورجعا معاً إلى مرو حاضرة خراسان. وعاد أهل الصغد لنقض العهد، إذ قالوا لطرخون: إنك قد رضيت بالذل، وأعطيت الجزية، وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك. قال: فولوا من أحببتم. فولوا عليهم أخاه (غَوْرَك خان) وحبسوا طرخون الذي انتحر في السجن، ونقضوا هم العهد.

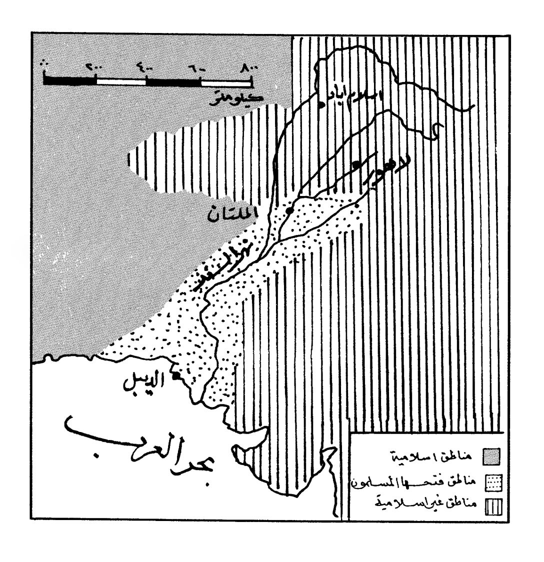
وسار قتيبة إلى سجستان يريد (رتبيل) فقابله. ثم عاد إلى الشمال لقتال بلاد خوارزم فصالحه خوارزم شاه ثم انتقل قتيبة ففتح سمرقند عام ٩٣هـ وكان معه إخوته صالح، وعبد الرحمن، وعبد الله، فولى عبد الله على سمرقند، وعاد إلى قاعدته مرو.

وعاد قتيبة إلى الغزو في العام التالي ٩٤ هـ فغزا بلاد الشاش، وفرغانة، حتى بلغ خوقند، وكاشان وفتح في ذلك العام أيضاً مدينة كابل. وأعاد الغزو في بلاد الشاش عام ٩٥هـ، وفتح في عام ٩٦ هـ مدينة (كاشغر)

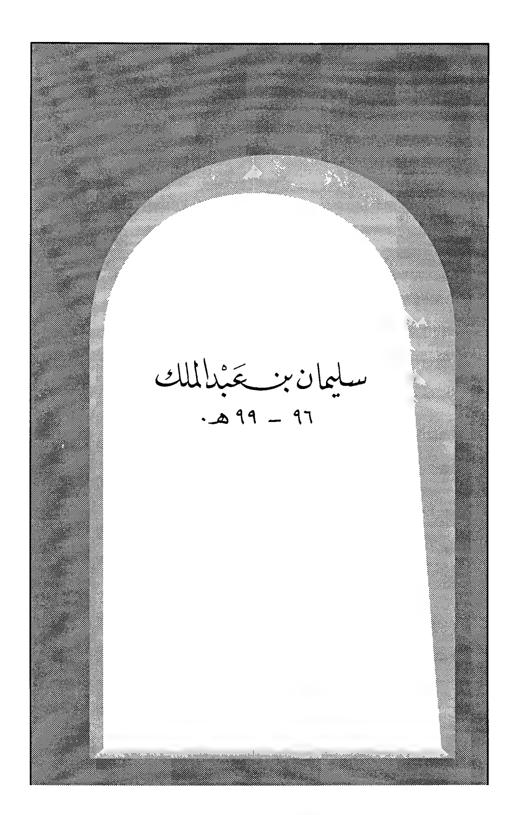
في تركستان الشرقية. وطلب منه ملك الصين أن يرسل لهم وفداً يخبره عن المسلمين ويسائله عن دينهم فاختار له قتيبة جماعة وعليهم هبيرة بن الشمرخ الكلابي، وبعد لقاءات مع الوفد دعا فيها الوفد ملك الصين إلى الإسلام أو الجزية أو القتال فقال لهم ملك الصين: ما أحسن ما دبرتم دهركم! فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له: ينصرف، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه، فقال هبيرة له: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون! وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه. ثم دفع ملك الصين الجزية، وتوقف قتيبة في تقدمة نحو الشرق.

وهكذا كانت الجبهة التي يقاتل عليها قتيبة بن مسلم الباهلي واسعة تمتد من أواسط بلاد القفقاس إلى جنوب بحر الخزر ثم تمتد شمالاً لتتعمق في آسيا الوسطى، في بلاد ما وراء النهر وتصل شرقاً إلى أواسط تركستان الشرقية ثم تتجه غرباً نحو كابل فسجستان، ويبلغ طول هذه الحدود ما يزيد على ٤٠٠٠ كيلومتر. وغدت المنطقة التي يسيطر عليها والتي تتبع خراسان التي قاعدتها (مرو) واسعة جداً وتزيد مساحتها على أربعة ملايين كيلومتر مربع.

د ـ بلاد السند: تمكن محمد بن القاسم الثقفي من قتل (داهر) ملك بلاد السند وذلك عام ٩٠هـ، وتقدم في بلاده، وقد فتح (الديبل) مكان كراتشي اليوم ٩٣هـ، ثم توسّع في الداخل وباتجاه الشمال ففتح مدينة(الملتان) عام ٩٤هـ، وغدت هذه الرقعة من الأرض ضمن الدولة الإسلامية.



٠
٢٠٠
٤٠٠
٦٠٠
٨٠٠
كيلومتر
اسلام اباد
لاهور
الملتان
نهر السند
الديبل
بحر العرب
مناطق اسلامية
مناطق فتحها المسلمون
مناطق غير اسلامية



سليمان بن عَبْدالملك

٩٦ ـ ٩٩ هـ.

حَيَاته

ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة المنورة عام ٥٤هـ، ونشأ بالشام، كان كثير التردد على البادية. وكان أبيض كبير الوجه، مقرون الحاجب جميلاً.

وتزوج عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فأنجبت له يحيى، وعبيد الله، وتزوج أم يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية فولدت له يزيد، والقاسم، وتزوج بنت عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فولدت له عبد الواحد. ومن أولاده أيضاً: أيوب، وداود، والحارث وسعيد، وإبراهيم، وعبد الرحمن، وعمر، ومحمد، وهم من نساء أخر ومن أمهات أولاد.

كان والياً على الرملة عندما توفي أخوه الوليد، وأخذ البيعة من بني أمية، وعلية القوم، ثم من الناس كلهم، وهمّ بالإقامة ببيت المقدس إلا أنه انتقل إلى دمشق بعد ذلك. وعزل ولاة الحجاج، وكان يستعين بابن عمه عمر بن عبد العزيز، وكانت الصلاة تؤخر أيام الخلفاء من بني أمية الذين سبقوه، فأمر بإقامتها بوقتها، واستمر في بناء مسجد بني أمية بدمشق بعد أخيه مدة خلافته، وكان ينهى عن الغناء، وحج عام ٩٧ هـ أيام خلافته. وغزا القسطنطينية براً بأهل الشام، والجزيرة، والموصل، وكان عدد الجيش مائة وعشرين ألفاً، وبحراً بأهل مصر وإفريقية وكان عليهم عمرو بن هبيرة[١]، وعلى المقاتلين جميعاً أخوه مسلمة بن عبد الملك، وابنه داود بن سليمان.

---

(١) **عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين**: أمير العراقين، والد يزيد، غزا القسطنطينية من جهة البحر، تولى أمر العراق عام ١٠٣هـ، وسجنه خلفه على العراق خالد بن عبد الله=

وانتقل إلى مرج[1] دابق للرباط وأقسم ألا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يتوفاه الموت. فوافته منيته، وهو هناك ينتظر الفتح، وقد أصيب بذات الجنب، وقد مات محموماً، وذلك في ٢ صفر عام ٩٩هـ، وقد صلى عليه عمر بن عبد العزيز.

فكر في تولية ابنه أيوب من بعده ولكنه توفي قبل أبيه، وكان عبد الملك بن مروان قد عهد لولديه الوليد، وسليمان من بعده، وأخذ عليهما عهداً بمبايعة ابن عاتكة (يزيد) ومروان ابنه الآخر من بعدهما، فمات مروان قبل أخيه سليمان، وتخطى يزيد، وأراد البيعة لأحد بنيه وهو أيوب، ولكنه لم يلبث أن مات أيضاً. وخطر على باله توليه ابنه داود إلا أن رجاء بن حيوة[2] قد نصحه في توليه ابن عمه عمر بن عبد العزيز ففعل، قال رجاء: «فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ، فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله وانظر فيه. ولم أعزم عليه؛ قال: فمكث يوماً أو يومين، ثم خرّقه، فدعاني، فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت: هو غائب عنك في القسطنطينية وأنت لا تدري أحي هو أم ميت! فقال لي: فمن ترى؟ قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أنظر من يذكر، قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيّراً فاضلاً مسلماً؛ فقال: هو

= القسري إلا أن غلمانه قد أخرجوه بعد حفر نفق إلى داخل السجن فاستجار بمسلمة بن عبد الملك فأجاره، وتوفي عام ١٠٧هـ.

(١) مرج دابق أرض من ولاية قنسرين في بلاد الشام قبل ممر بيلان الفج الذي يدخل منه بين بلاد الشام وبلاد الأناضول، وكان بنو أمية يقيمون فيه للرباط.

(٢) **رجاء بن حيوة بن جرول**، أبو نصر، الكندي، ولد في بيسان من أرض فلسطين عام ٣٦هـ في أواخر خلافه عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان مستشاراً لعبد الملك بن مروان وولديه الوليد وسليمان ثم لعمر بن عبد العزيز فكان ناصحاً لهم، وهو من أعلام التابعين وأهل العلم في ذلك العصر توفي عام ١١٢هـ في خلافة هشام بن عبد الملك.

والله على ذلك، ثم قال: والله لئن وليته ولم أُولِّ أحداً سواه لتكونن فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال: فيزيد بن عبد الملك اجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به، قلت: رأيك. قال: فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم.

وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي[1] صاحب شرطته فقال: مر أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل كعب إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه؛ ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فدخلوا، فقال لهم سليمان في هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة ـ عهدي، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب، فبايعوه رجلاً رجلاً، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة[2].

---

(١) **كعب بن حامد العبسي**: قائد، من غزاة البحر، ولاّه عبد الملك شرطته بعد روح بن زنباع، وأقره الوليد وسليمان توفي حوالي عام ١٠٠هـ.

(٢) تاريخ الطبري.

الولايات

لم يكن في الولايات ما يثير الاهتمام إلا ما كان في الجبهات من قتل لبعض الولاة السابقين الذين تمت على أيديهم الفتوح، أو الغزو الذي تمّ وإن كان على نطاق ضيق بالنسبة إلى ما حدث أيام الوليد بن عبد الملك. كما أن الخوارج قد استمر هدوؤهم كما كان أيام الوليد فلم يحركوا ساكناً في كلا العهدين.

١ ـ الشام: لم يحدث فيها ما يستحق الذكر.

٢ ـ الحجاز:

أ ـ المدينة: عزل سليمان عن المدينة عثمان بن حيان، وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وبقي أيام سليمان كلها والياً عليها.

ب ـ مكة المكرمة: عزل سليمان خالد بن عبد الله القسري، وولى عليها طلحة بن داود الحضرمي، ثم استبدله بعبد العزيز بن خالد بن أسيد بن أبي العصيص بن أمية.

٣ ـ العراق: عزل سليمان عن العراق يزيد بن أبي مسلم، وأعطى ولاية المصرين فيها إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد بعث يزيد أخاه زياداً إلى عُمان. وبعد تسعة أشهر من ولاية سليمان ضمت إلى يزيد بن المهلب خراسان فانتقل إليها واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحكمي، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي، وجعل أخاه مروان بن المهلب على أموره وأمواله بالبصرة، واستخلف على الكوفة حرملة بن عمير اللخمي أشهراً، ثم عزله وولاها بشير بن حسان النهدي.

٤ ـ **خراسان**: كان أمير خراسان قتيبة بن مسلم الذي فتح الفتوح فلما هلك الوليد وتولى سليمان خاف قتيبة على نفسه لأنه كان قد وافق الوليد على خلع أخيه سليمان وتولية ابنه عبد العزيز بن الوليد، فلما بلغه نبأ تولية سليمان أرسل إليه كتاباً يعزيه بالوليد، ويهنئه بالخلافة التي آلت إليه، ويذكره بالفتوحات التي تمت على يديه، ويذكر آل المهلب بسوء ويذمهم. ويطلب منه أن يبقيه أميراً وله السمع والطاعة فإن لم يفعل فإنه سيخلعه.

ويبدو أن قتيبة قد خاف على نفسه، ففكر في الأمر فغرته نفسه بما كان تحت يده من جندٍ وبما يسيطر عليه من أرض. فلما وصلت كتب قتيبة إلى سليمان رغب في رأب الصدع، ولأم الجرح إن وجد، وعدم حدوث فتنة فأرسل إليه بكتاب يستخلفه فيه على خراسان ولكن الرسول لم يصل حتى كان قتيبة قد سبق إلى الأمر، وأعلن خلع الخليفة وجمع الجند وذكرهم بما قام به من جهد في سبيل الفتح ونشر الإسلام، وما بذلوه هم وأعلن خلع الخليفة ولما لم يجبه الجند تكلم معهم كلاماً نال به من قبائلهم وشتمهم فقاموا عليه وقتله وكيع بن أبي سود. وأرسل رأسه إلى سليمان، وتولى وكيع أمر خراسان تسعة أشهر، ثم أعطيت خراسان إلى يزيد بن المهلب وضمت إليه فأرسل أمامه ابنه مخلّد بن يزيد، فسجن وكيعاً وعذّبه.

وأما بلاد السند فقد كان عليها محمد بن القاسم الثقفي فعندما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك عزله على أنه من أمراء الحجاج وخاصة أنه كان من أقربائه، وعندما حطّت به الأيام ادعت ابنة الملك داهر أنه راودها عن نفسها أو أرادها لنفسه ولم تمكّنه من نفسها فأخذها بالقوة، لذا فقد سجن في واسط وعذب، وفي السجن كتب شعراً لطيفاً يعتب به على بني مروان، فأطلق سراحه، ثم قتل من قبل معاوية بن المهلب بن أبي صفرة، ويقال: إنه مات تحت العذاب، وكانت وفاته عام ٩٨هـ. إلا أن (صيتا) بنت داهر قد اعترفت بعد ذلك بأنها كانت كاذبة في ادعائها. وتولى أمر بلاد السند بعد محمد بن القاسم يزيد بن أبي كبشة.

٦ ـ **إفريقية**: عاد موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد إلى الشام وقد خلف موسى ابنه عبد الله والياً على القيروان منذ عام ٩٣هـ حينما خرج إلى الأندلس، وأثناء عودته من الأندلس ترك موسى ابنه عبد العزيز عليها فنظم الحكومة، وألف مجلس شورى من العلماء لاستنباط الأحكام الشرعية، ورفع المظالم عن السكان، وخفف الضرائب، وأمّن الأهلين، وشجع المسلمين من العرب والبربر على الاختلاط بالسكان والتزواج معهم، وتزوج أرملة (لذريق)، وحاول إدخال النصارى بالإسلام فبدأ يتقرب منهم بغية تعريفهم على الدين الإسلامي.

ولما أدبرت أيام موسى انحطت مع ابنه عبد العزيز أيضاً فطمع به أعداؤه، ووشوا به إلى سليمان، ثم لم يلبثوا أن ثاروا عليه وقتلوه وأرسل رأسه إلى سليمان، وكان عنده أبوه موسى فقال: هنيئاً له بالشهادة وقد قتلتموه صوّاماً قوّاماً، وذلك عام ٩٧هـ. وتولى أمر الأندلس بعد عبد العزيز أمير الجند أبو أيوب بن حبيب الفهري وهو ابن أخت موسى بن نصير، وحمل رأس عبد العزيز حبيب بن أبي عبيدة (مرة) بن عقبة بن نافع الفهري، إلا أن ولايته لم تطل إذ خلفه الحر بن عبد الرحمن الثقفي في العام نفسه.

أما في القيروان التي هي قاعدة إفريقية والأندلس فقد تولى أمرها نيابة عن موسى بن نصير ابنه عبد الله سنة ٩٣ كما ذكرنا، ولما عاد موسى إلى الشام عام ٩٦هـ بقي عبد الله أميراً على القيروان حتى عزله سليمان عام ٩٧هـ، وولى مكانه محمد بن يزيد مولى قريش فسجن عبد الله بن موسى وعذبه وقتله. وكان محمد بن يزيد قيسياً متعصباً لقومه.

كانت الفتوحات ضعيفة أيام سليمان بن عبد الملك، ولعل ذلك يعود إلى قصر مدة عهده، وإلى استبدال الولاة الذين هم على الثغور، فلا بدّ للأمير من مدة حتى يتعرف على أوضاع المنطقة لذا فإن الأمراء الذين بقوا في مناطقهم قد استمر فيها الغزو والجهاد والفتح مثل مسلمة بن عبد الملك الذي استمر على الجزيرة وأرمينية، أو الأمراء الذين عرفوا المنطقة جيداً

لوجودهم فيها سابقاً مثل يزيد بن المهلب الذي عاد إلى خراسان وكان قد نشأ فيها أيام أبيه المهلب لذا فقد كانت في تلك الجبهة فتوحات، وكذا في المدة التي كان عبد العزيز بن موسى في الأندلس، أما في بلاد السند فقد توقف الجهاد بغياب محمد بن القاسم بن موسى بن نصير. وكذا في الأندلس بعد مقتل عبد العزيز.

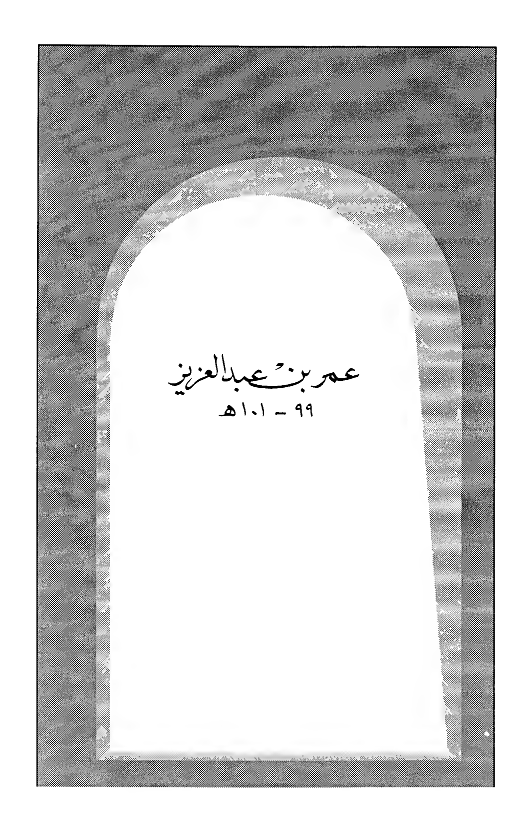
١ ـ الجبهة الغربية:

أ ـ في بلاد الروم: استمر الغزو في بلاد الروم فقد غزاها مسلمة بن عبد الملك عام ٩٦هـ وداود بن سليمان بن عبد الملك عام ٩٧هـ، وعاد إليها مسلمة في العام نفسه، وفي عام ٩٨هـ وجه سليمان أخاه مسلمة إلى القسطنطينية وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه، فشتّا بها وصاف، وقد استعد لذلك فأخذه معه من المواد الغذائية الكثير وتركها محفوظة على حين كان الجند يأكلون من الغنائم.

ثم جاء إلى المسلمين (إليون) من أرمينية ووعده الروم بأن يملكوه أمرهم إن صرف عنهم المسلمين، فأظهر النصح للمسلمين، فقال لمسلمة: إن الروم مقتنعين بأن حربكم لهم بغير جد ما دام الطعام عندكم متوفراً، فإن أحرقته وحملت عليهم حملة صادقة قنعوا بعدم إمكانية بقائهم محاصرين. ففعل مسلمة وأحرق المواد الغذائية فقوي العدو وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون وسليمان بن عبد الملك مقيم بمرج دابق ينتظر الفتح، وجاء الشتاء ولم يتمكن من إمدادهم، ومات، وهم للروم محاصرين.

وفتح داود بن سليمان عام ٩٨ حصن المرأة بالقرب من ملاطية.

٢ ـ الجبهة الشرقية: غزا يزيد بن المهلب عام ٩٨ جرجان، وطبرستان، وصالح أهلها إلا أن أهل جرجان لم يلبثوا أن نقضوا العهد، وغدروا بجند يزيد فغزاهم ثانية وفتح جرجان.


عمر بن عبد العزيز
٩٩ - ١٠١هـ

حَيَاتُه

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنورة عام ٦١هـ، وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وانتقل مع بني أمية إلى الشام عندما رحلوا منها بعد وقعة الحرة، ووفاة يزيد بن معاوية، وكان مع أبيه في مصر عندما تولى إمرتها إلا أنه لم يلبث أن طلب من أبيه ترحيله إلى المدينة ليقعد إلى فقهائها، فوافق والده وسيّره إلى المدينة وجعله عند صالح بن كيسان[١] ليؤدبه، وعندما توفي والده عبد العزيز عام ٨٥هـ بعث إليه عبد الملك، وضمّه إلى أولاده، وقدّمه على كثير منهم، وزوّجه ابنته فاطمة، وولاه إمرة خناصرة[٢]، وبقي فيها حتى مات عبد الملك، ولما بويع الوليد بالخلافة أعطاه إمرة المدينة، وبقي عليها حتى عام ٩٣هـ، وقد قرب إليه العلماء، وجعل منهم رجال مشورته، وانتقل بعد ذلك إلى دمشق فعاش فيها، فلما كانت خلافة سليمان بن عبد الملك استوزره، ثم عهد إليه بالخلافة من بعده.

كان نحيف الجسم، غائر العينين، أبيض رقيق الوجه، بجبهته أثر شجة دابة، شجته عندما كان صغيراً، لذلك يقال له أشج بني أمية. ويكنى بأبي حفص نسبة إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

---

(١) **صالح بن كيسان، الإمام الحافظ الثقة**، أبو محمد، يقال: أبو الحارث المدني، المؤدب، يقال: مولى بني غفار، ويقال: مولى بني عامر، ويقال: مولى آل معيقيب الدوسي كان جامعاً من الحديث، والفقه، والمروءة، ولد حوالي عام ٥٤هـ، وتوفي بعد ١٤٠هـ، وعاش نيفاً وثمانين عاماً ولم يبلغ التسعين.

(٢) خناصرة: وتعرف الآن باسم خناصر، وهي من أعمال حلب إلى الجنوب منها، وعمّرها الشركس حديثاً بعد أن كانت أطلالاً.

كان في شبابه بالمدينة المنورة كثير التطيب، فإذا أدهن بالطيب عصفت في طريقه رائحة طيبة فتُشم من بُعد، فإذا جاوز الطريق بقيت رائحته مستقرة في المكان الذي يمر به، وقد يتطيب بالعنبر فتبتل يده به، وينتظر الناس ثيابه بباب الغسّال فإذا أرسلها تسابق الناس إليه يعطونه دراهم كثيرة حتى يغسل ثيابهم في أثر ثيابه من كثرة ما حملت وما تترك في الماء من عنبر وطيب.

وإذا مشى عمر راح متبختراً متكبراً يتصنع له مشية، هي له وحده، يخترعها بين الكبر والتبختر، كأنها مشية الجارية إذا كعبت. وقد أعجبت مشيته تلك جواري المدينة وكواعبها فأخذن يقلدن المشية العمرية، ويسرن على خطتها وموازينها حتى يرشقن إذا سرن وتحمل رشاقتهن في العيون[١].

وارتدى أغلى الأُزر، ولبس أثمن الأردية حتى كان يشتري الإزار الواحد بمائة دينار، ويشتري مطرف الخز بثمانمائة درهم، ويضع يده عليه يجسه فيستخشنه ولا يعجبه، ويلبسه مكرهاً، وصار الثوب لا يكون بالياً في نظره إذا بلي أو مرّ عليه زمن طويل، ولكنه صار بالياً عنده متى لبسه فوقعت عليه لأول لبسة أنظار الناس. وقد غالى عمر في ذلك وتمادى حتى أوشك ألا يعجبه ثوب، وكاد يجعل ماله كله في زينة الأثواب ثم لا يقنع، حتى قال ذات مرة: لقد خفت أن يعجز رزقي عن كسوتي! وما لبست ثوباً قط فرآه الناس عليّ إلا خُيّل إليّ أنه قد بلي[٢].

وبدت على عمر مظاهر التكبر والترف الأموي الصارخ، فإذا سار لم يسر إلا في جماعة من غلمانه وعبدانه[٣].

وظل عمر هكذا يزيد مظاهراً غلواً وتمادياً حتى رماه بالكبر كثير من الناس. إلا أن هذا قد تبدّل كلياً منذ تولى الخلافة بل منذ أواخر إمرته على المدينة وعندما انتقل إلى دمشق بعدها، فبدأ ينصح الخلفاء ويطلب منهم

---

(١) ابن عبد الحكم ص٢١. (٢) ابن الحوزي.
(٣) المصدر نفسه.

محاسبة الولاة الظالمين، ويطالبهم بالعدل واعتقد أن ما عند زوجه فاطمة بنت عبد الملك من حلي وجواهر إنما جاء عن طريق بيت المال لذا فقد خيّرها بين ردّه أو اللحاق بأهلها ففضلت الحياة معه وردت كل ما كان عندها.

وضيق على نفسه وعلى زوجه وأولاده في الطعام والملبس فسألته زوجه أن يجري عليها خاصة، فقال لها: ليس في مالي سعة، قالت: فلم كنت أنت تأخذ منهم؟ قال: كانت المهنأة لي والإثم والتبعة عليهم، أما إذا وليت فلا أفعل ذلك فيكون إثمة عليّ.

وكان له من الإخوة! أبو بكر، ومحمد، وعاصم، وهم أشقاء له: والأصبغ، وسهل، وسهيل، والريان، وهم من أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص، وأم ولد رومية اسمها مارية، وله أختان هما: أم الحكم، وأم البنين التي تزوجها الوليد بن عبد الملك.

وكان له عدد من الأولاد منهم: عبد العزيز، وعبد الله، وعبد الملك.

وقضى على نفسه ألا يأخذ من بيت المال شيئاً قط، وإنما أبقى لنفقة بيته وأهله عيناً بالسويداء كان استنبط ماءها في أرض خربة براح ليس فيها لأحد ضربة معول، فعملها من صلب عطائه فكانت تجيئه غلتها مائتا دينار وجراب فيه تمر صيحاني، وتمر عجوة، فاكتفى بها ولم يجر على نفسه من الفيء درهماً. فلما قيل له لو أخذت من بيت المال ما كان يأخذ عمر بن الخطاب، قال: إن ابن الخطاب لم يكن له مال، وأنا مالي يغنيني. ثم جعل نفقته من ماله في اليوم درهمين. وقالوا إنه لم يبق في يده غير (بدا) و (جزين) من أرض بعلبك.

وأباح الهجرة لمن يشاء إلى حيث يشاء وخاصة الأمراء من بني مروان الذين طلبوا منه ذلك عندما شعروا بقلة أعطياتهم أو بوقفها.

وأصلح كثيراً من الأرض الزراعية، وحفر الآبار، وعمر الطرق، وأعدّ

الخانات لأبناء السبيل. وأقام المساجد ولكنه لم يعتن بزخرفتها وهندستها. أما الأرض المغتصبة والتي لا سجل لها فقد أعلن عمر عن عودتها إلى بيت مال المسلمين. وقد تمكن بإصلاحاته التي عمل فيها طول مدة خلافته أن يقضي على الفقر والحاجة، ولم يعد لهما وجود، ولم يبق من يأخذ من أموال الزكاة.

وقد رفع رواتب عماله حتى بلغت ثلاثمائة دينار، ولما سئل عن ذلك أجاب: أردت أن أغنيهم عن الخيانة.

وتوفي عمر في دير سمعان من أعمال دمشق وبالقرب منها يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رجب عام ١٠١هـ، فكانت خلافته بذلك سنتين وخمسة أشهر.

الولايـات

كانت الولايات كما كانت هادئة لم يحدث فيها شيء كبير، وكل ما حدث إنما هو عزل الولاة الذين يرى أنهم ظلموا.

١ ـ الشام: وقد عمر بن عبد العزيز في وجه الأمراء وأعطياتهم التي كانوا يأخذونها من الخلفاء وطلب منهم أن يؤدوا ما في أيديهم من حقوق. فوقفوا معاً تجاهه، وحرضوا عليه أقرباءه وأصحابه، ولكن لم يُجد ذلك شيئاً ولم يبق بجانبه سوى ابن عمه مسلمة بن عبد الملك.

٢ ـ الحجاز:

أ ـ المدينة المنورة: كان عامل عمر بن عبد العزيز على المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وقد كان منذ أيام سليمان، وأبقاه عمر عليها.

ب ـ مكة المكرمة: وقد ولى عليها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد.

٣ ـ العراق: عزل عمر عن العراق وخراسان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وصالح بن عبد الرحمن، وولى على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. وعلى البصرة عدي بن أرطأة الفزاري. وعلى خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي. وقبض على يزيد بن المهلب، وحمل إلى دمشق فسجنه عمر حتى يؤدي ما عليه من أموال أخذها وليس له بها حق. وكان يريد أن ينفيه إلى جزر دهلك إلا أنه نصح بإبقائه في السجن فأبقاه، ثم هرب من السجن لما شعر بمرض عمر بن عبد العزيز

لأنه كان يخشى يزيد بن عبد الملك حيث كانت عند يزيد أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي أي بنت أخي الحجاج، ويزيد بن المهلب قد عذب آل الحجاج.

وعندما تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك غلب ابن المهلب على البصرة فسار إليه مسلمة بن عبد الملك فقتله عام ١٠٢هـ.

ونفى عمر آل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى اليمن.

أما على الجزيرة فقد ولى عمر بن هبيرة الفزاري.

٤ ـ خراسان: كان على خراسان مخلد بن يزيد بن المهلب من قبل أبيه فعزل بعزل أبيه فجاء إلى دمشق وقابل عمر، ولكن مخلد لم يلبث أن توفي في دمشق، وتولى أمر خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي فلبث سنة وخمسة أشهر، ثم عزله عمر لأنه يبدو أن الجزية لم ترجع إلى من أسلم من أهل جرجان. وطلب عمر من الجراح أن يأتيه إلى دمشق وأن يترك على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وعلى خراجها عبد الرحمن بن عبد الله القشيري ثم عقبة بن زرعة الطائي وبقيا فيها حتى مات عمر بن عبد العزيز.

٥ ـ مصر: عزل عن مصر عبد الملك بن رفاعة وولى أيوب بن شرحبيل[١] كما عزل أسامة بن زيد التنوخي عن صدقات مصر.

٦ ـ إفريقية: عزل محمد بن يزيد بن مسلم عن صدقات إفريقية، وكان إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[٢] قد ولي أمر إفريقية، وقد سرّ

---

(١) **أيوب بن شرحبيل بن أبرهة الأصبحي**، من بني الصباح، ولي مصر لعمر بن عبد العزيز فحسنت أحوالها في أيامه وبقي فيها إلى أن توفي عام ١٠١هـ، واستمرت إمرته سنتان ونصف.

(٢) **إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الأنصاري**، الإمام الكبير، أبو عبد الحميد، الدمشقي، مولى بني مخزوم، مفقه أولاد عبد الملك. بقي سنتين في المغرب والياً عليها. وقد أسلم عامة البربر في أيامه. توفي عامن ١٣٢هـ قبل دخول بني العباس دمشق بثلاثة أشهر.

عندما تولى القضاء فيها عبد الله بن المغيرة، وقد أرسل عمر مع إسماعيل عشرة من الفقهاء للدعوة إلى الإسلام، وقد استجاب البربر لذلك. ثم ولي أمر إفريقية يزيد بن أبي مسلم.

وولى السمح بن مالك الخولاني[1] أمر الأندلس لما عرف فيه من ديانة وتقى وذلك عام ١٠١هـ، وقد عزل الحر بن عبد الرحمن الثقفي عن إمارة الأندلس وكان قد تولاها عام ٩٧هـ، كما عزل أخاه الحارث بن عبد الرحمن الثقفي عن صدقات الأندلس.

---

(١) **السمح بن مالك الخولاني**: تولى أمر الأندلس لعمر بن عبد العزيز، اتخذ قرطبة قاعدة له، وبنى فيها قنطرتها، واستشهد غازياً في أرض فرنسا عام ١٠٢هـ.

الخوارج

لم يحرك الخوارج ساكناً أيام الوليد وسليمان ابني عبد الملك فلما كان عهد عمر بن عبد العزيز خرجوا في أرض العراق فكتب إلى عامله عليها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أن ادعهم إلى الكتاب والسنة. فلما أعذر في دعائهم بعث عبد الحميد إليهم جيشاً فهزم أمام الخوارج فلما بلغ ذلك عمر أرسل إليهم جيشاً بإمرة مسلمة بن عبد الملك من أهل الشام جهّزه من الرقة، وكتب إلى عبد الحميد: قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء، وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك فخلّ بينه وبينهم، فلقيهم مسلمة في أهل الشام فانتصر عليهم.

وكان الذي قاد الخوارج أيام عمر بن عبد العزيز رجل عرف باسم (شوذب) وهو بسطام من بني يشكر، وقد خرج في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض، فإن فعلوا فخل بينهم وبين ذلك، وانظر رجلاً صلباً حازماً فوجهه إليهم، ووجه معه جنداً، وأوصه بما أمرتك به. فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر. وكتب عمر إلى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وقد قدم عليه محمد بن جرير، فقام بإزائه لا يحركه ولا يهيجه، فكان في كتاب عمر إليه: إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه، ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا فلم يحرك بسطام شيئاً، وكتب إلى عمر: قد أنصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك.... وعندما جاءا دخلا على عمر، فقالا له: أخبرنا

عن يزيد لم تقره خليفة بعدك؟ قال: صيّره غيري؛ قالا: أفرأيت لو وليت مالاً لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك! فقال: انظراني ثلاثاً، فخرجا من عنده وقد خاف بنو مروان أن يخلع يزيد، فدسوا له سماً فلم يلبث أن توفي.

الفتوحات

منذ أن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أرسل إلى الجند الذين يحاصرون القسطنطينية بإمرة مسلمة بن عبد الملك المعونة والطعام والجند، ثم أمر مسلمة بالعودة مع المسلمين وفك الحصار خوفاً على الجند الذين معه من الهلاك.

وأغار الترك على أذربيجان فقتلوا جماعة من المسلمين ونالوا منهم، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي فقتل الترك، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وجاء على الخليفة وهو بخناصرة بخمسين أسيراً منهم.

وغزا الوليد بن هشام المعيطي، وعمرو بن قيس الكندي بأهل حمص بلاد الروم على رأس صائفة.

وقد غزا السمح بن مالك الخولاني فرنسا، فاخترق جبال البرانس، وزحف على مقاطعتي سبتمانيا وبروفانس، ثم أغار على أكيتانيا وحاصر طلوشة (طولوز)، فخرج له دوق إكيتانيا بجيش كبير، ونشبت معركة عظيمة بين الطرفين استشهد فيها السمح بن مالك الخولاني عام ١٠٢هـ وتولى إمرة جند المسلمين عبد الرحمن الغافقي فانسحب بفلول الجيش إلى ناربونه (قاعدة سبتماينا).

ولم تطل مدة خلافته إذ توفي ولم يتجاوز الأربعين من العمر ولربما لو طالت لكثرت الفتوحات ولانتشر الإسلام على نطاق واسع إذ لم تكن هناك أحداث داخلية تشغل الناس عن الجهاد، ولم يكن هناك عِوَز يجعلهم بحاجة إلى التفكير في تأمين حاجات أهليهم، والعمل لسد الضرورات في الحياة.

بدء الدعوة العباسية

إن كثيراً من الناس يرغبون في السلطة ويعملون لها، وقد استغل عدد من هذه الشخصيات محبة المسلمين لآل بيت رسول الله ﷺ فدعوا إلى شخص منهم لذا كانت هناك دعوات كثيرة كل منها تدعو لرجل من آل البيت، ولم يكن لهم من هدف سوى ذلك، بل لم يكن من فكر خاص لهؤلاء يدعون له كما يزعم بعض المؤرخين وبخاصة في العصر الحديث إذ أرادوا تطبيق ما حدث من أفكار فيما بعد وما دخل على الفكر الإسلامي من شوائب على ما سبق من التاريخ، كما لم يكن لديهم منهج خاص اجتماعي أو غيره يدعون له، وإنما كانوا يريدون أخذ السلطة من جماعة وتسليمها لجماعة أخرى تقوم بالأسلوب نفسه على طريق الوراثة وذلك ليتسنى لهم الحكم وكسب المنافع وتحقيق المصالح. ولقد ادعى المختار الثقفي كما وجدنا العمل لمحمد بن الحنفية[1] ولم يكن داعية له وإنما كان يعمل لمصلحته، ونشأت على ذلك فرقة عرفت بالكيسانية.. وبعد وفاة محمد بن الحنفية في الطائف عام ٨١هـ، ادعى بعضهم أن الإمامة قد انتقلت منه إلى ابنه عبد الله المعروف باسم (أبو هاشم) وكان أبو هاشم

---

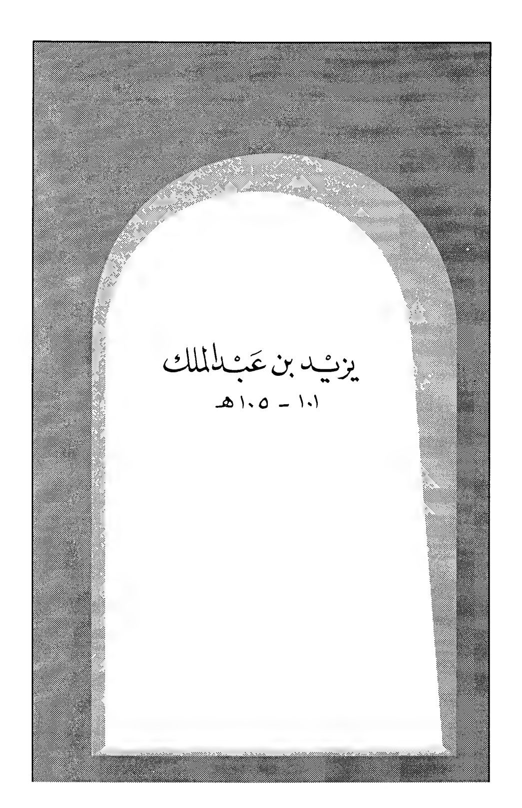
(١) **محمد بن علي بن أبي طالب**: ابن الحنفية، أبو القاسم: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، أمه خولة بنت جعفر الحنفية من سبايا اليمامة، وينسب إليها. كان واسع العلم، ورعاً، أسود اللون، كان المختار الثقفي يزعم أنه المهدي ويدعو إلى إمامته، وتزعم فرقة الكيسانة أنه لم يمت وإنما موجود بجبل وضوى شمال غربي المدينة المنورة عنده عسل وماء ولد في المدينة وتوفي عام ٨١هـ بالطائف.

وكان لمحمد عدد من الأولاد هم: جعفر، وعلي، وعون، وإبراهيم، والقاسم وقد أعقبوا جميعاً، وله أيضاً عبد الله، والحسن ولم يعقبا.

ينتقد الأمويين حتى شاع خبره ووصل أمره إلى سليمان بن عبد الملك، وقد زعموا أن سليمان قد أرسل له من سقاه سماً، وعندما أحس بدنو أجله انتقل إلى ابن عمه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[1] وكان يقيم بالحميمة قرب معان من أرض الشراة من أعمال الأردن فطلب منه أن يعمل لتقويض الحكم الأموي والدعوة إلى آل البيت وقد وجدت هذه الفكرة عند محمد أذناً صاغية فبدأ يعمل لها منذ عام١٠٠هـ، فوجه ميسرة إلى العراق، وسيّر أبا محمد الصادق إلى خراسان فاختار له اثني عشر نقيباً، وكان يأخذ من أتباعه خمس الأموال يدفعونها إلى النقباء الذين ينقلونها بدورهم إلى الإمام الذي ينفقها في نشر الدعوة وما يرى فيه مصلحة.

(١) **محمد بن علي بن عبد الله بن عباس**: ولد عام ٦٢هـ، وكان طويلاً، وسيما، عاقلاً، حليماً مات بالشراة عام ١٢٠هـ.





يزيد بن عبد الملك

١٠١ - ١٠٥ هـ

حَيَاته

ولد يزيد بن عبد الملك عام ٧١هـ في دمشق أيام خلافة عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، واستئثار والده عبد الملك بن مروان بالشام ومصر. لذا فقد نشأ في الرفاهية والدلال، ولم يشعر بقيمة السلطان، إذ أتاه الحكم ولم يتعب بالأمر، ولم يحس بالمعاناة التي قاساها والده وجده من قبل، ومن هنا فقد شغل عن الحكم وأحب جاريتين له هما: حبابة، وسلامة حتى يروى أنه مات كمداً عل أولاهما التي سبقته بأسبوع.

وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقد ماتت بدمشق، ودفنت في المحلة المعروفة الآن باسم قبر عاتكة نسبة لها.

كان أبيض جسيماً، مدور الوجه، وقد كني بأبي خالد.

تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك، وكان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يتولى الأمر، وأراد أن يسير بالناس سيرة عمر بن عبد العزيز إلا أن قرناء السوء لم يتركوه.

تولى الخلافة وعمره تسع وعشرون سنة، فلم يكن لديه من الخبرة الكافية، والناس تحترم عادة الكبار، وتقدر أصحاب الخبرات، وعندما آل الأمر في أواخر الدولة الأموية إلى الشباب، والذين لم يشعروا بقيمة السلطان، ولم يبذلوا شيئاً في سبيله، وإنما عاشوا على الترف والرفاهية كل هذا قد أدى إلى توقف الفتح الإسلامي الذي تم فيما قبل، وبالتالي أدى هذا إلى ضعف الدولة.

وتوفي في ٢٥ شعبان عام ١٠٥هـ، وله من العمر أربع وثلاثون سنة،

وكانت مدة خلافته أربعة أعوام وشهر كاملاً، وعهد بالخلافة من بعده لأخيه هشام بن عبد الملك، ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد.

وكانت وفاته في إربد من أعمال الأردن، ونقل إلى دمشق فدفن فيها، وله من الأولاد الذكور عشرة وهم: الوليد، والغمر، ويحيى، وسليمان، وداود وقد مات صغيراً، وعبد الجبار، وعبد الله وأمه سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأبو سفيان، وهاشم، والعوام، ومات صغيراً.

وله من البنات عاتكة وتزوجها محمد بن الوليد بن عبد الملك.

أما الغمر، وعبد الجبار فقد قتلا يوم أبي فطرس بفلسطين عام ١٣٢هـ، أثناء هرب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وصلب عبد الله بن عبد الجبار بالحيرة.

الولايات

كانت الولايات الإسلامية قد خضعت في عهد يزيد إلى كثير من التغيير في أمرائها واستبدال الذين ولاّهم عمر بن عبد العزيز، كما تحرك الخوارج في العراق بموت عمر.

١ ـ **الشام**: كانت أكثر إماراتها بيد أبناء البيت المرواني فلم يحدث فيها شيء من التغيير، ولم تقم فيها أية حركات.

٢ ـ الحجاز:

أ ـ المدينة المنورة: نزع عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري الذي كان أميراً على الطائف، وهو الذي ولاه، وعاد بعد سنتين فعزله، وولى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري، فكان أحب الولاة إلى أهلها، ولا يقوم على أمر حتى يستشير سالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

ب ـ مكة المكرمة: كان أميرها عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد فعزله، وضم مكة إلى المدينة المنورة عام ١٠٣هـ فأصبح أمير المدينة هو أمير المدينتين.

٣ ـ **العراق**: كانت العراق مسرح كثير من الأحداث، والتغيير في الولاة.

أ ـ الكوفة: منذ أيام عمر بن عبد العزيز كان أمير الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، إلا أن مسلمة بن

عبد الملك قد عزله عندما جاء إلى العراق، وولى مكانه محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط المعروف بـ (ذا الشامة)، ثم تسلم مسلمة الكوفة، وأبقى عليها محمد بن عمرو الأمير السابق، ثم غدا عمر بن هبيرة على العراق كله والمشرق مكان مسلمة.

ب ـ البصرة: أرسل عمر بن عبد العزيز إلى البصرة عدي بن أرطأة الفزاري، فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة، وكان يكره آل المهلب، سجن عدي أولاد المهلب وهم: المفضل، وحبيب، وعبد الملك، ومروان، وبقي محمد من أولاد المهلب خارج السجن لكن يزيد بن المهلب قد فر من سجن عمر بن عبد العزيز وتمكن أيام يزيد أن يغلب على البصرة، ويخرج إخوته من السجن، ويسجن الأمير السابق عدي بن أرطأة، ويبعث عماله إلى الأهواز، وكرمان، وفارس، وقد أرسل أخاه مدركاً إلى خراسان، وسار هو إلى واسط وولى على البصرة أخاه مروان.

أرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك لقتال ابن المهلب وأرسل أمامه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك بأربعة آلاف فارس فوصل إلى الحيرة قبل وصول يزيد بن المهلب إليها، وجاء مسلمة بن عبد الملك بأهل الشام وقد سار إلى الجزيرة محاذياً نهر الفرات.

استخلف يزيد بن المهلب ابنه معاوية بن يزيد على واسط، وسار هو لقتال أهل الشام، وقد أرسل أمامه أخاه عبد الملك بن المهلب فالتقى بالعباس بن الوليد فانتصر عبد الملك في أول الأمر ثم هزم وسار نحو أخيه للقاء مسلمة بن عبد الملك قرب الأنبار وكذلك تحرك العباس بن الوليد نحو عمه مسلمة.

جاءت الجموع إلى يزيد بن المهلب فجعل عليها أخاه المفضل، ودارت معركة بين الطرفين قتل فيها يزيد بن المهلب وأخوته حبيب، ومحمد، وانتصر أهل الشام، وعاد المفضل إلى واسط حيث أن ابن أخيه معاوية بن يزيد بن المهلب الذي قتل الأسرى لديه عندما علم نبأ المعركة ومنهم عدي بن أرطأة وابنه محمداً. وفي الوقت نفسه سار مسلمة بن عبد الملك إلى الحيرة فدخلها.

سار آل المهلب من واسط إلى البصرة ومنها ركبوا السفن وانتقلوا إلى كرمان فأرسل مسلمة بن عبد الملك في إثرهم مدرك بن ضب الكلبي فاقتتلوا فقتل المفضل بن المهلب ومعه النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث كما قتل جريحاً عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وطلب الأمان مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي فأعطيه. ثم قتل آل المهلب جميعهم، ولم ينج منهم سوى أبي عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهما لحقا بأرض خاقان ورتبيل.

وقام بأمر البصرة بعد خروج آل المهلب منها شبيب بن الحارث التميمي، فلما ضمت إلى مسلمة بن عبد الملك بعث إليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي، ثم عاد فبعث إليه ابن عمه عبد الملك بن بشر بن مروان. ثم عزل مسلمة بن عبد الملك وضمت البصرة تحت إمرة عمر بن هبيرة.

٤ ـ **خراسان**: كان أميرها عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، ثم سيطر عليها آل المهلب، وتولى أمرها مدرك بن المهلب، ولما هزم أرسل مسلمة بن عبد الملك إليها ختنه زوج ابنته سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ابن أبي العاص المعروف باسم (خذينة) إلا أن عمر بن هبيرة قد عزله وولى مكانه سعيد بن عمرو الحرشي عام ١٠٣ هـ، ولم يلبث سوى عام حتى عزل، وتولى مكانه مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابي.

٥ ـ **أرمينيا وأذربيجان**: كان عليها الجراح بن عبد الله الحكمي، وكانت له غزوات فيها.

٦ ـ **مصر**: توفي أيوب بن شرحبيل الذي ولاه عمر بن عبد العزيز، فولّى يزيد على مصر بشر بن صفوان الكلبي عام ١٠١ هـ ثم بعد مدة أرسله إلى إفريقية والياً عين أخاه مكانه حنظلة بن صفوان فبقي أميراً حتى تولى الخلافة هشام بن عبد الملك عام ١٠٥هـ.

٧ ـ **إفريقية**: سار الجند في إفريقية على أميرها يزيد بن أبي مسلم فقتلوه وولوا مكانه محمد بن يزيد[١] مولى الأنصار وأخبر بذلك يزيد بن عبد الملك فأقر الوالي الجديد على عمله ولكن لم يطل أمره إذ أرسل الخليفة إلى إفريقية بشر بن صفوان الكلبي من مصر، وأرسل والي إفريقية إلى الأندلس وهو عنبسة بن سحيم الكلبي.

(١) **محمد بن يزيد**: أرسله سليمان بن عبد الملك من الشام والياً على إفريقية عام ٩٧هـ، وعزله عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ فلما تولى يزيد بن عبد الملك ولّى على إفريقية يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فأراد أن يسير بإفريقية سيرة الحجاج بالعراق، فقتله الجند وأعادوا محمد بن يزيد، وكان في غزو صقلية ثم عاد، وكتبوا إلى الخليفة: إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا علينا محمد بن يزيد، فتكتب إليهم الخليفة إني لم أرض بما صنع ابن أبي مسلم، وأقر محمد بن يزيد على عمله، فكانت ولايته الثانية ولكنها لم تطل.

الفتوحات

غزا العباس بن الوليد بلاد الروم عام ١٠٣ هـ على رأس صائفة، كما غزاها سعيد بن عبد الملك. وغزا عمر بن هبيرة أرمينيا فهزم أهلها وأسر سبعمائة أسير عام ١٠٢هـ، وأما الجراح بن عبد الله الحكمي أمير أرمينيا فقد غزا بلاد اللان عام ١٠٥هـ.

وسار عنبسة بن سحيم الكلبي أمير الأندلس فدخل فرنسا، واستولى على سبتمانيا، ووصل إلى حوض الرون، واستولى على مدينة ليون، وتوغل في إقليم بورغونيا. وغزا محمد بن يزيد صقلية.

ونقض أهل الصغد العهد فغزاهم المسلمون عام ١٠٢هـ، وهزموهم فارتحلوا إلى ملك فرغانة يطلبون معونته ضد المسلمين، وكرر سعيد بن عمرو الحرشي غزو بلاد الصغد عام ١٠٤هـ، كما غزا مسلمة بن سعيد الترك عام ١٠٥هـ.

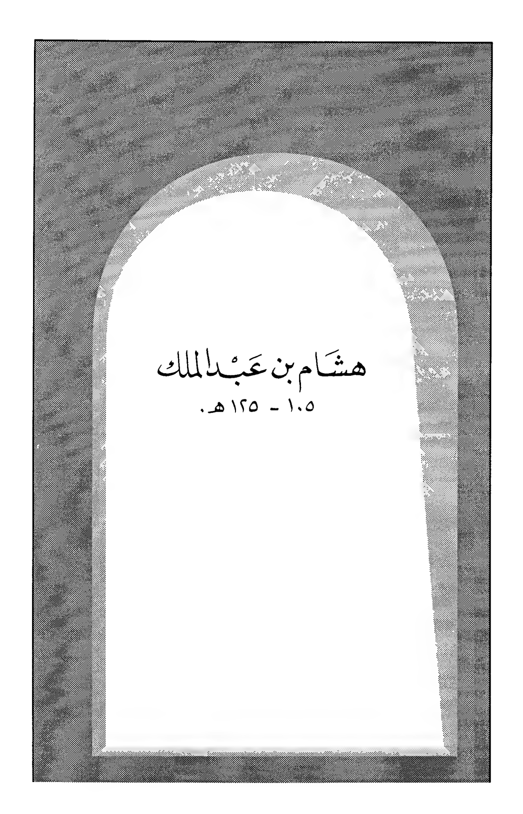
الخــوارج

لما مات عمر بن عبد العزيز أرسل عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب جيشاً بإمرة محمد بن جرير لمحاربة شوذب زعيم الخوارج. فانتصر الخوارج على أهل العراق وتبعوهم حتى وصلوا إلى أخصاص الكوفة والتجؤوا إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، وقد جرح الأمير محمد بن جرير، ورجع شوذب إلى مكانه ينتظر عودة رسوليه إلى عمر بن عبد العزيز فلما رجعا أخبراه بما صار إليه أمر عمر، وأن قد مات.

أقر يزيد بن عبد الملك عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على الكوفة، وأرسل إلى الخوارج جيشاً يقوده تميم بن الحباب، ويتكون من ألفي رجل. فقتله الخوارج وهزموا أصحابه، ثم وجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي فقتلوه وهزموا أصحابه. فوجه إليهم الشجاع بن وداع في ألفين فقتلوه وقتلوا نفراً من أصحابه منهم ابن عم شوذب هُدبة اليشكري.

جاء مسلمة بن عبد الملك والياً على العراق فدخل الكوفة، ودعا سعيد بن عمرو الحرشي فعقد له على عشرة آلاف ووجهه إلى شوذب، فهزم عدة مرات، ثم حملوا على الخوارج حملة رجل واحد فطحنوهم حيث كانوا قلة، وقتل شوذب.




هشام بن عبد الملك
١٠٥ - ١٢٥ هـ.

حيـاته

ولد هشام بن عبد الملك في دمشق عام ٧٢هـ، وأمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل المخزومي. كان جميلاً أبيض يخضب بالسواد، أحول، ذكياً له بصر بالأمور جليلها وحقيرها، وكان فيه حلم وأناة، يعرف بالبخل، ويكره سفك الدماء.

استخلف هشام بعد وفاة أخيه يزيد، وبعهد منه، لأربع بقين من شعبان عام ١٠٥هـ وعمره آنذاك أربعة وثلاثون عاماً.

كان يولي أبناءه أمر الجهاد والغزو في أرض الروم وخاصة معاوية، وسليمان، وأخاه مسلمة بن عبد الملك، وابن عمه مروان بن محمد، ولم يكن هشام ليعطي أحداً من بني مروان عطاءه حتى يغزو، فكان بعضهم يغزو، ويرسل بعضهم بديلاً عنه للقتال.

وأعمر الأرض وبنى الرصافة بالقرب من الرقة، وكان يقضي صيفه فيها.

تزوج هشام بن عبد الملك أم حكيم بنت يحيى بن الحكم فأنجبت له سليمان أبا الغمر الذي قتله أبو العباس السفاح، ومسلمة، ويزيد، وسعيداً، ومحمداً.

وتزوج أم عبده بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فولدت له يحيى، وعبد الله.

وتزوج أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له مروان.

وله من الأولاد من أمهات أولاد: معاوية الذي توفي في حياة أبيه عام ١١٩هـ، وقاد الصوائف إلى بلاد الروم عشر سنوات، وهو والد عبد الرحمن الداخل الذي أسس الدولة الأموية في الأندلس. وعبد الرحمن، وعثمان، وقريش، وخلف، والوليد، وعبد الملك وله من البنات عدد أشهرهن: أم سلمة، وأم هشام.

وتوفي في الرصافة يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر عام ١٢٥هـ.

الولايات

كانت الولايات أيام هشام بن عبد الملك بصورة عامة هادئة سوى بعض حركات الخوارج التي قامت في العراق، وثورة زيد بن علي بالكوفة، والدعوة العباسية التي كانت تنتشر بصمت في خراسان فإذا عرف بعض أتباعها قتلوا، كذلك قامت حركة يحيى بن زيد بعد هشام، أما في الأندلس وفرنسا فقد كانت فيها فتوحات إذ لم تكن وصلت إليها الخلافات، وكان المجاهدون فيها لا يزالون بعيدين عن التناحر، ولكنه لم يلبث أن دخل إليهم. ثم انسحب المسلمون من وسط فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء، واستقروا في جنوبي فرنسا.

١ ـ **الشام**: لم يحدث في الشام ما يلفت الانتباه، وكانت إماراتها بيد أمراء من بني مروان في أغلبها، وتنطلق الغزوات من إماراتها الشمالية حيث يجتمع الغزاة في الصوائف والشواتي نحو بلاد الروم.

٢ ـ **الحجاز**: كانت إمارات الحجاز كلها: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف بيد عبد الواحد بن عبد الله النضري، ثم إن هشام بن عبد الملك قد عزله عن الحجاز، وأعطاها لخاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي عام ١٠٦هـ. وفي عام ١١٤ هـ عاد فعزل خاله إبراهيم بن هشام عن الحجاز، وأمّر خاله محمد بن هشام بن إسماعيل على مكة المكرمة، بينما أعطى أمر المدينة إلى خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، ثم عاد فعزل خالداً عن المدينة وضمها إلى محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي وذلك عام ١١٨هـ.

٣ ـ **العراق**: منذ أن تولى هشام الخلافة عزل عمر بن هبيرة عن

العراق وسائر المشرق، وأعطاها إلى خالد بن عبد الله القسري، ثم بعد أربعة أعوام انتزع خراسان منها وأعطاها إلى أشرس بن عبد الله السلمي.
وفي عام ١٢٠هـ عزل هشام عن العراق خالد بن عبد الله القسري وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي[1] الذي كان عاملاً له على اليمن، ولم يلبث أن خرج فيها زيد بن علي بن أبي طالب، وكان من قبل يقيم بالمدينة وعندما سجن يوسف بن عمر والي العراق سلفه خالد بن عبد الله القسري ذكر أنه قد أودع أموالاً عند زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولكن زيداً قد أقسم عند والي المدينة بعدم صحة ذلك وسار إلى دمشق، وأقسم أيضاً أمام هشام ثم سار إلى العراق، وبقي فيها عدة أشهر وبيّن للوالي أنه لم يودع عنده أية أموال من قبل خالد بن عبد الله القسري، وكان يوسف بن عمر يدعوه للخروج من العراق فيتعلل ببعض أعماله، وكان يتردد عليه بعض أنصاره يدعونه للخروج على بني أمية حتى خرج عام ١٢١هـ، وقد نصحه بعدم الخروج محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وذكّره بفعل أهل العراق مع علي، والحسن، والحسين إلا أنه خرج بأربعة عشر ألفاً، إلا أن أتباعه قد خذلوه وبدؤوا يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، فذكرهما بخير، فانفضّوا من حوله، فأطلق عليهم اسم «الرافضة» وبقي معه عدة مئات، فقاتل بهم قتالاً لا مثيل له، ثم استشهد بعد قتال عدة أيام وذلك عام ١٢٢هـ، وكان يهزم الجموع أمامه، ثم أصيب عند المساء وافترق الطرفان ظناً بحلول الليل، وفي الصباح لم

---

(١) **يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي**: أبو يعقوب، ولد في البلقاء بشرقي الأردن عام ٦٥هـ حيث كانت منازل أهله، وتولى إمرة اليمن لهشام بن عبد الملك عام ١٠٦هـ، ثم نقل إلى العراق، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، وأضيفت إليه إمرة خراسان، عذب سلفه في إمرة العراق خالد بن عبد الله القسري في السجن، ثم أطلقه فأقام بدمشق حتى عاد الخليفة فأرسله إليه فعذبه حتى مات، وهرب يوسف من العراق عام ١٢٦ بعد موت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وقبض عليه وسجن في دمشق، فأرسل إليه يزيد بن خالد بن عبد الله القسري من قتله بالسجن عام ١٢٧هـ، ثأراً لأبيه. كان يوسف صغير الحجم، قصير القامة، عظيم اللحية، فصيحاً جواداً، عنيفاً، يضرب به المثل في التيه والحمق فيقال: أتيه من أحمق ثقيف.

تقم لجماعة زيد قائمة. وإلى زيد هذا تنتسب الفرقة الزيدية الموجودة في اليمن، وتعد أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة. أما ابنه يحيى فقد استجار بعبد الملك بن بشر بن مروان فأجاره، فلما بلغ ذلك يوسف أخبره بأنه إن لم يأت به ليكتبن ذلك إلى أمير المؤمنين، فأخبره عبد الملك بأنه لم يكن له أن يخفي من يقاوم سلطانهم أبداً، فقبل منه يوسف، وكفّ عن طلبه، فلما سكن الطلب خرج في جماعة له واتجه إلى خراسان.

٤ ـ **خراسان**: منذ أن تولى خالد بن عبد الله القسري أمر المشرق عزل مسلم بن سعيد عن خراسان وولى أمرها أخاه أسد بن عبد الله القسري، فأرسل أسد إلى عبد الرحمن بن نعيم الغامدي أن يقوم بأمر الجند فقال مسلم بن سعيد: سمعاً وطاعة، وأبدى أسد شيئاً من العصبية لليمانية فعزله هشام عام ١٠٩هـ عن خراسان، كما فصلت عن العراق حتى تخرج عن يد خالد بن عبد الله، فاستخلف أسد مكانه على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي، ولكن هشاماً لم يلبث أن أرسل أشرس بن عبد الله السلمي.

ثم عُزل أشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان عام ١١١هـ، وولي أمرها إلى الجنيد بن عبد الرحمن المري، فتعصب لمضر، ولكنه توفي عام ١١٦هـ، واستخلف مكانه عمارة بن حريم، حتى تولى أمر خراسان عاصم بن عبد الله.

خرج في خراسان عام ١١٦هـ الحارث بن سريج وطالب بإنصاف المظلومين فقاتله أميرها حتى انتصر عليه، وفي عام ١١٧هـ عاد هشام فعزل عاصم بن عبد الله عن خراسان، وأعاد ضمها إلى والي العراق خالد بن عبد الله القسري الذي بعث إليها أخاه أسداً.

وعندما تولى العراق وسائر المشرق يوسف بن عمر الثقفي أرسل إلى خراسان جديع بن علي الكرماني، ثم عزله وولى مكانه نصر بن سيار.

وقد بقي يحيى بن زيد بن علي مختبئاً بخراسان عند الجريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى مات هشام.

٥ ـ **أرمينيا**: ولّى هشام بن عبد الملك على أرمينيا عام ١١١هـ الجراح بن عبد الله الحكمي، وبقي عليها حتى استشهد عام ١١٢هـ، وكان قد استخلف أخاه الحجاج، ثم كان مسلمة بن عبد الملك، وقد خلف على باب الأبواب بعد غزوه الحارث بن عمرو الطائي. وفي عام ١١٤هـ تولّى أمر أرمينية مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان.

٦ ـ **مصر**: تولى أمر مصر في بداية عهد هشام بن عبد الملك أخوه محمد بن عبد الملك بن مروان، ولكنه لم يلبث أن استبدل بالحر بن يوسف الأموي الذي بقي في منصبه عامين (١٠٦ ـ ١٠٨)، ثم خلفه حفص بن الوليد الحضرمي إلا أن عبد الملك بن رفاعة قد عاد مرة ثانية إلى إمرة مصر، ولكنه توفي بعد خمسة عشر يوماً من تسلمه الأمر وذلك في مطلع عام ١٠٩هـ، فاستخلف أخاه مكانه وهو الوليد بن رفاعة فأقره هشام على ذلك، وبقي الوليد في عمله حتى توفي عام ١١٧هـ. فاستعمل هشام بعده عبد الرحمن بن خالد إلا أنه كان ليناً فشكاه أهل مصر إلى الخليفة فعزله، وأعاد إلى الإمرة حنظلة بن صفوان الكلبي للمرة الثانية وذلك عام ١١٩هـ وبقي فيها حتى أرسله هشام إلى إفريقية عام ١٢٤هـ بعد مقتل كلثوم بن عياض القشيري، وولى مكانه حفص بن الوليد الحضرمي واستمر بعد هشام بن عبد الملك أياماً.

٧ ـ **إفريقية**: كان والي إفريقية بشر بن صفوان عندما بدأت خلافة هشام بن عبد الملك، وعندما توفي استخلف قبل موته نفاش بن قرط الكلبي الذي أسرف في إذلال القيسية ثم إن هشاماً عيّن على إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن القيسي فبطش بعمال سابقيه من اليمانية وبآل موسى بن نصير، وفي عام ١١٦ أرسل والي مصر الوليد بن رفاعة إلى إفريقية عبيد الله بن الحبحاب فولى على طنجة عمر بن عبيد الله المرادي فأساء معاملة البربر، وولى على بلاد السوس ابنه إسماعيل فأساء معاملة البربر أيضاً، الأمر الذي دعاهم إلى الثورة، واستغلوا غياب جيش المغرب خارج البلاد في غزو صقلية عام ١٢١ بإمرة حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع.

تحرك البربر عام ١٢١ بإمرة ميسرة الزناتي، وساروا إلى طنجة وقتلوا عاملها عمر بن عبيد الله المرادي، ثم اتجهوا إلى بلاد السوس وقتلوا العامل هناك أيضاً إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، ثم هزموا وتحصنوا في طنجة. ثم رجعوا وحاولوا السيطرة على القيروان فبدد شملهم عامل طرابلس صفوان بن مالك ثم تم لهم إحراز بعض النصر فأرسل لهم الخليفة جيشاً بإمرة كلثوم بن عياض القشيري وأعطاه ولاية إفريقية واستدعى عبيد الله بن الحبحاب إلى الشام.

جرت معركة كبيرة بين جيش الخليفة والبربر فقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة وذلك عام ١٢٣هـ. وتمكن بلج بن بشر القشيري ابن عم كلثوم أن يلجأ إلى طنجة وأن يعتصم فيها..

وبعد مقتل كلثوم بن عياض سيّر هشام بن عبد الملك إلى إفريقية والي مصر حنظلة بن صفوان، وحاول البربر حصاره في القيروان إلا أنه تمكن من إنزال الهزيمة بهم الأمر الذي أعاد الهيبة للأمويين في بلاد المغرب.

٨ ـ **الأندلس**: بعد أن استشهد عنبسة بن سحيم الكلبي في غزوة داخل فرنسا عام ١٠٧هـ، حدثت خلافات استمرت أربع سنوات، ثم تولى أمر الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري، ولكن عبيد الله بن الحبحاب الذي وصل إلى إفريقية قد عزل عبد الملك بأمر الخليفة وأرسل إلى الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي العبسي فسار إليها عقبة وملكها، ودخل فرنسا، واستقر في سبتمانيا، كما فتح بعض أراضي جيليقية في شمال بلاد الأندلس، وقد أسلم على يديه أكثر من ألف رجل، ثم سار أهل الأندلس عليه عام ١٢٣ فخلعوه، وتوفي بعد قليل بقرطبة. ونادى أهل الأندلس بعبد الملك بن قطن الفهري أميراً عليهم.

تحرك البربر في الأندلس فأذن عبد الملك بن قطن الفهري لبلج بن بشر بدخول الأندلس، وكان في طنجة، فدخل بشر وتمكن من الانتصار على البربر في معركة شذونة، وبعدها طلب أمير الأندلس من بلج الخروج

من الأندلس فرفض وحدث خلاف بين الطرفين قتل نتيجته عبد الملك بن قطن وغدا بلج بن بشر أمير الأندلس.

لم يلبث بلج بن بشر القشيري أن توفي بعد عام تقريباً متأثراً بجراحه التي أصيب بها في معاركه التي خاضها، وخلفه ثعلبة بن سلامة الذي جاء وبلج مع كلثوم بن عياض إلى إفريقية ولكن حنظلة بن صفوان أمير إفريقية قد بعث إلى الأندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي حسب أوامر الخليفة هشام بن عبد الملك.

الفتوحات

لم تعد هناك فتوحات واسعة كالتي حدثت أيام الوليد، وإنما كانت غزوات يحدث فيها تقدم قليل ثم يعود المسلمون إثرها إلى ثغورهم، أو تُفتح رقعة صغيرة من الأرض، أو بعض الحصون، أو يحدث قتال بسبب نقض العهد من قبل أعداء المسلمين الأمر الذي يضطر فيه المسلمون إلى معاودة قتالهم وإجبارهم إلى طلب الصلح ثانيةً ودفع الجزية.

١ ـ الجبهة الغربية:

أ ـ في بلاد الروم: استمرت الغزوات في أرض الروم طيلة أيام هشام فكانت تندفع الصوائف والشواتي مجاهدة في البر والبحر، ولكن لم تحدث معها تغييرات في الحدود، وإنما توغل في أرض الروم، ثم عودة إلى الحصون الكائنة على مرتفعات جبال طوروس.

وكان أشهر قادة تلك الغزوات: مسلمة بن عبد الملك بن مروان، ومعاوية بن هشام بن عبد الملك، وسليمان بن هشام بن عبد الملك، وعبد الله البطال، وسعيد بن عبد الملك، وإبراهيم بن هشام، والوليد بن القعقاع العبسي، والنعمان بن يزيد بن عبد الملك، ومسلمة بن هشام بن عبد الملك. وفي عام ١٠٧هـ غزا معاوية بن هشام الصائفة، وكان على جيش الشام ميمون بن مهران فقطع البحر إلى قبرص.

وفتح مسلمة بن عبد الملك عام ١٠٨هـ مدينة قيصرية، ثم رجع عنها إلى الثغور. ووصل سعيد بن هشام عام١١١هـ إلى مدينة قيصرية أثناء توغله

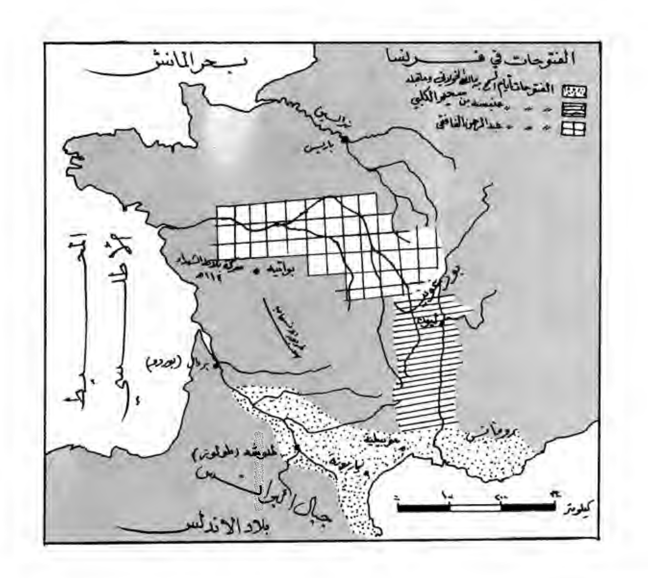
في أرض الروم. وهزم عبد الله البطال قسطنطين وجيشه، وأسره، ووصل سليمان بن هشام إلى مدينة قيصرية ثانية.

ورابط معاوية بن هشام عام ١١٣هـ في ناحية مرعش، وكان قد فتح حصن خرشنة قبل عام.

ب ـ في البحر: كذلك فقد حدثت غزوات بحرية للجزر الواقعة في البحر الأبيض المتوسط، ومن أشهر قادة البحر: عبد الله بن عقبة بن نافع، وعبد الله بن أبي مريم، وميمون بن مهران، وغزا أمير إفريقية جزيرة صقلية عام ١٢١هـ، وكان قائد الغزو حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الذي استطاع فتح مدينة سرقوسة، وكذا غزا أمير إفريقية عبيد الله بن الحبحاب جزيرة سردينيا عام ١١٧هـ بإمرة قثم بن عوانة الذي تمكن من الاستيلاء على قلعة الجزيرة إلا أن المقاتلين قد غرقوا في البحر عند عودتهم...

حـ ـ في الأندلس: استشهد عنبسة بن سحيم الكلبي بعد تقدمه في فرنسا وفي أثناء عودته إلى قاعدته، فأضعف قتله معنويات المسلمين فاضطروا إلى الانسحاب إلى ناربونة قاعدته في جنوبي فرنسا، وتولى أمر الأندلس عبد الرحمن الغافقي فخرج في ثمانية آلاف مقاتل، واستولى على إكيتانيا، كما ضم إليه وادي الرون ثانية، واستعان دوق إكيتانيا بالفرنجة فجمع شارل مارتل جنداً كثيراً كان أكثرهم عراة، وجرت معركة في بواتييه بعد مناوشات دامت ثمانية أيام، ووقع اضطراب في صفوف المسلمين، وأصيب عبد الرحمن الغافقي، فاختلفت كلمة رؤساء الجند، فانسحبوا ليلاً دون علم الفرنجة وذلك عام ١١٤هـ وعرفت تلك المعركة باسم بلاط الشهداء، ولم يبق للمسلمين في فرنسا سوى مقاطعة سبتمانيا.

ودخل عقبة بن الحجاج سبتمانيا، وقام بفتح بعض المناطق التي بقيت مستعصية على المسلمين في شمالي بلاد الأندلس.



الفتوحات في فرنسا
الفتوحات أيام السمح بن مالك الخولاني وما بعده
= = عنبسة بن سحيم الكلبي
= = عبد الرحمن الغافقي
بحر المانش
المحيط الأطلسي
باريس
بواتييه
معركة بلاط الشهداء
١١٤هـ
ليون
ناربونة
بلاد الاندلس
كيلومتر

٢ ـ الجبهة الشرقية:

أ ـ أرمينيا: كثر الغزو في أرمينيا وبلاد اللان أيام هشام بن عبد الملك واشتهر من القادة، الحجاج بن عبد الملك، والجراح بن عبد الله الحكمي، ومسلمة بن عبد الملك، وأشرس بن عبد الله السلمي، والحارث بن عمرو الطائي، وإسحاق بن مسلم العقيلي، ومروان بن محمد.

فقد غزا الحجاج بن عبد الملك بلاد اللان فصالح أهلها على أن يؤدوا الجزية إلا أنهم نقضوا العهد فغزاهم مسلمة بن عبد الملك من جهة باب الأبواب وهزمهم عام ١١٠هـ، وسار الترك إلى أذربيجان فلقيهم الحارث بن عمرو عام ١١٢هـ فردهم على أعقابهم مهزومين، وتحركوا من جهة بلاد اللان فلقَيهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان في العام نفسه. ولم يكن جيشه قد اكتمل إعداده بعد فاستشهد هو ومن معه من الجند بأردبيل، وأخذ الترك مدينة أردبيل، فوجه هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة في شتاء بارد غزير المطر والثلوج فسار في أثرهم حتى تجاوز باب الأبواب فخلف عليها الحارث بن عمرو الطائي. وعاد إليهم مسلمة، في العام التالي ١١٣هـ ففرق جنده في أرضهم، فقتلوا وسبوا، وكان ممن قتلوا ابن خاقان الترك، فتأثر خاقان لما حلّ بابنه فتقدم إلى مسلمة إلا أنه هزم عام ١١٤هـ ورجع مسلمة عن الباب، وعاد الترك إلى نقض العهد فأرسل إليهم مروان بن محمد بعثين عام ١١٧هـ الأمر الذي جعلهم يقرون بالجزية، ولم يلبثوا أن نقضوا العهد فغزاهم عام ١٢٠هـ إسحاق بن مسلم العقيلي، ومروان بن محمد الذي افتتح بلاد السرير فدانت له وأدت الجزية عام ١٢١هـ، وتوفي في ذلك العام مسلمة بن عبد الملك الذي دوخ الروم والترك.

ب ـ بلاد ما وراء النهر: ما انقطع القتال في بلاد ما وراء النهر أيام هشام بن عبد الملك واشتهر من القادة: أسد بن عبد الله القسري، ومسلم بن سعيد، والجنيد بن عبد الرحمن، وسعيد بن عمرو الحرشي، ونصر بن سيار.

غزا مسلم بن سعيد الترك فأتى فرغانة وفروا من أمامه عام ١٠٦هـ، وفي العام الذي تلاه غزا أسد بن عبد الله القسري الجبال فصالحه الملك نمرون وأسلم على يديه، كما سار إلى جبال هراة، ومنها انطلق إلى الخُتّل فحاربهم حتى أجبرهم على الصلح، ثم نقضوا عهدهم فقاتلهم سعيد بن عمرو الحرشي، وهزمهم في عدة وقائع عام ١١٢هـ، لكنهم لم يلبثوا أن هاجموا سمرقند فاستنجد أميرها بالجنيد بن عبد الرحمن، فانتصرت الترك، وقتلت عدداً كبيراً من المسلمين، ثم ثبت المسلمون فردوا الترك وهزموهم.

وغزا أسد بن عبد الله القسري عام ١١٩هـ بلاد الختل، وقتل ملكهم بدر طرخان، كما سار إلى بلاد الترك فلقي خاقان فقتله، وتوفي أسد بعد ذلك عام ١٢٠هـ. وسار نصر بن سيار إلى بلاد ما وراء النهر مرتين، وفي المرة الثالثة أسر الملك كورصول وقتله عام ١٢١هـ، وصالح أهل الصغد عام ١٢٣هـ، وغزا في العام نفسه فرغانة مرتين.

ثم خرج في العام نفسه وزير السختياني بالحيرة واجتمعت حوله جماعة قليلة وعاثت في الأرض فساداً فأرسل لهم والي العراق قوة انتصرت عليهم، وقتلت معظمهم، وأُخذ وزير السختياني وبعض أصحابه أسرى، وحملوا إلى الوالي، فقتل الخوارج واستبقى أميرهم لما رأى من ذكائه وبيانه، وكان يدعوه أحياناً من السجن ويستمع إليه، ووصل خبر ذلك إلى هشام بن عبد الملك فأنّب الأمير وطلب منه قتل الخارجي فقتله.

وخرج الصحاري بن شبيب عام ١١٩هـ بناحية واسط فأرسل له خالد بن عبد الله القسري جنداً، فجرت معركة عظيمة بين الطرفين أُبيد فيها الخوارج.

الخوارج

كانت حركات الخوارج أيام هشام بن عبد الملك موضعية فلم تتجاوز أرض العراق، وعلى نطاق ضيق فلم تتجاوز مساحات صغيرة، ولم تتعد عدداً محدوداً من الرجال، ولم تستمر إلا مدة بسيطة إذ لا يلبث مثيرها ومشعل فتنتها أن يقتل وتنتهي بموته الحركة التي قام بها، ثم تقوم حركة ثانية وهكذا.

فقد خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة بأربعين رجلاً في قرية من قرى الموصل عام ١١٩هـ فأرسل إليه والي العراق خالد بن عبد الله القسري جماعة من الشام جاءوا في الأصل مارين بالعراق وذاهبين مدداً لعامل الهند فعندما نزلوا الحيرة أرسلهم خالد بن عبد الله للخوارج إلا أنهم هزموا، فلما بلغت هزيمتهم خالداً أرسل إلى الخوارج جماعة أخرى فالتقت بهم بين الموصل والكوفة ولكنها لم تلبث أن هزمت أمام الخوارج وعادت فلولها إلى الذي أرسلها وهو بالكوفة ينتظر نتيجة المعركة. وأراد بهلول أن يسير إلى الشام فخافه عمال المدن، فأرسل إليه خالد جماعة من الشام وأخرى من العراق، وعبأ له عامل الجزيرة جنداً ولم يكن مع بهلول سوى سبعين رجلاً، والتقى الخوارج بجموع أعدائهم قرب الموصل، فقتل بهلول بعد أن استخلف بعده دعامة الشيباني، ومن بعده عمرو اليشكري، وبعد مقتل بهلول وهزيمة الخوارج ترك دعامة جماعته ممن بقي من الخوارج وفرّ وحده.

وخرج بعدئذ وفي العام نفسه عمرو اليشكري إلا أنه لم يلبث أن قتل.

وخرج العنزي صاحب الأشهب في ستين رجلاً فوجه إليه خالد بن عبد الله القسري أربعة آلاف بإمرة السمط بن مسلم البجلي فالتقى الجمعان على الفرات فهزم الخوارج، وقتلت فلولهم عند الكوفة من عامة الناس.

الدّعوَة العبّاسِيّة

كان بكير بن ماهان مع الجنيد بن عبد الرحمن في السند يعمل ترجماناً له فقدم بكير إلى الكوفة عام ١٠٥هـ في بدء خلافة هشام بن عبد الملك فالتقى هناك بدعاة الدعوة العباسية مثل أبي عكرمة، وأبي محمد الصادق فذكروا له الدعوة لبني هاشم فوافقهما على العمل في عدادها، ودخل على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فوجد محمد في بكير ضالته فقدّمه، ومات داعية بني العباس ميسرة فكان بكير مكانه، فوجه إلى خراسان أبا عكرمة، وأبا محمد الصادق فانكشف أمرهما بعد أن وُشي بهما إلى والي خراسان أسد بن عبد الله القسري فقتلهما عام ١٠٧هـ وعاد فوجه دعاة آخرين إلى خراسان عام ١٠٨هـ فكان مصيرهم مصير سابقيهم نفسه، إلا أن الدعوة قد توسعت فقتل الجنيد بن عبد الرحمن أحد هؤلاء الدعاة وأعلن أن دم من يقتل من هؤلاء يذهب هدراً وذلك عام ١١٣هـ، فخاف الناس إلا أن الشدة وحدها لا تكفي للوقوف في وجه دعوة.

وعاد أسد بن عبد الله القسري مرة ثانية إلى ولاية خراسان وذلك عام ١١٧هـ، واتخذ سبيل الشدة في مقاومة أنصار العباسيين.

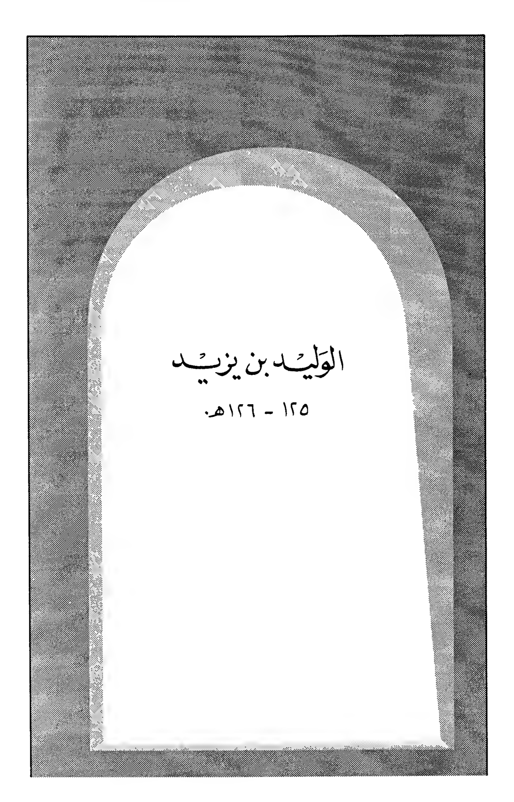
ووجه بكير بن ماهان إلى خراسان عمّار بن يزيد ليكون أميراً على أنصار الدعوة العباسية فجاء عمار إلى مرو، وغيّر اسمه إلى خداش فأطاعه عدد من الناس، ثم انقلب على العباسيين ودعا إلى الإباحية ورخص لبعض أصحابه في نساء بعض، وادعى أن ذلك عن أمر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فلاحقه أسد بن عبد الله فعثر عليه وقتله عام ١١٨هـ إلا أن محمد بن علي قد أنكر أمر أنصاره في خراسان واتباعهم خداش،

ونفض يده منهم، وانقطع عن مراسلتهم، فأرسلوا إليه سليمان بن كثير ليتعرف على أسباب الجفوة لكن سليمان عاد دون جواب، فأرسل إليهم بكير بن ماهان كتاباً يعلمهم أن خداش سار على خط لا ترضى عنه الدعوة وفيه مخالفة صريحة إلا أن أنصارهم في خراسان قد استخفوا بكتاب بكير ولم يصدقوه فسار بكير إلى محمد بن علي فبعث لهم معه ما يبين له مخالفتهم للدعوة فرجعوا عن غيّهم وتابوا.

ومات محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عام ١٢٤هـ، وقام بعده بشأن الدعوة ابنه إبراهيم بن محمد بن علي.

وظهر في هذه الآونة أبو مسلم الخراساني الذي كان في السجن يخدم أحد عمال خالد بن عبد الله القسري الذي سجنهم والي العراق يوسف بن عمر الثقفي فاشتراه بكير بن ماهان، وأرسله إلى إبراهيم بن محمد بن علي، فأعطاه إلى أبي موسى السراج ليؤدبه فسمع منه وحفظ.





الوليد بن يزيد

١٢٥ - ١٢٦هـ.

حياته

ولد الوليد بن يزيد عام تسعين للهجرة، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ابنة أخ الحجاج بن يوسف والي العراقين أيام عبد الملك وابنه الوليد، ويكنى أبا العباس.

عهد إليه بالخلافة أبوه يزيد بن عبد الملك بعد عمه هشام بن عبد الملك، كان عمه يكرمه حتى ظهرت عليه علامات الاستهتار والشراب فوقعت بينهما وحشة. فعزم هشام على خلعه وتولية ابنه مسلمة بن هشام، ففر الوليد إلى البرية، ولم يزل بها حتى مات هشام، وكان الزهري يحثّ هشاماً على خلعه، ومات الزهري قبل تولية الوليد، ولو عاش لناله من الوليد أذى كبيراً. وكان هشام يخشى الفتنة فلم يقدم على خلعه.

بويع الوليد بعد وفاة عمه هشام في ٦ ربيع الثاني. وعمر خمسة وثلاثون عاماً، فسار في أول الأمر بالناس سيرة حسنة فأعطى زمنى أهل الشام وعميانهم وكساهم، وأمر لكل إنسان منهم بخادم، وزاد في الأعطيات. وكان كريماً وشاعراً مجيداً.

عقد من بعده لولديه الحكم، وعثمان ولاية العهد، وبعث بالبيعة إلى والي العراقين يوسف بن عمر الثقفي، فأرسلها إلى نائب خراسان نصر بن سيّار.

ولّى على الحجاز (المدينة ومكة) خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي وعزل خالي عمه هشام، إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل المخزومي وأمر خاله أن يقيمهما بالمدينة مهانين، ثم يبعث بهما إلى العراق إلى يوسف بن عمر الذي عذبهما حتى ماتا.

وفي أيامه غزا أخوه الغمر بن يزيد بن عبد الملك قبرص، وخيّر أهلها بين نقلهم إلى الشام أو إلى بلاد الروم لما كان يبدو منهم حيناً بعد حين فانتقلت جماعة إلى الشام واختارت جماعة بلاد الروم.

وفي عهده قتل يحيى بن زيد بن علي زين العابدين إذ كان مختفياً بخراسان عندما مات هشام بدار الحريش بن عمرو بن داود بمدينة بلخ، فوصل خبره إلى يوسف بن عمر فكتب بذلك إلى نصر بن سيّار الذي أرسل إلى نائب بلخ يعلمه بخبر يحيى فبعث نائب بلخ إلى الحريش وضربه ستمائة سوط ولم يعلمه بشيء عن أمر يحيى، ثم أخبر عنه ولد الحريش، فأخذ يحيى، وسجن، وكتب نصر بن سيار بذلك إلى يوسف بن عمر فبعث إلى الوليد بما تمّ، فكتب الوليد إلى نصر يأمره بإطلاقه وإرساله إليه مع أصحابه فامتثل نصر وفعل ذلك، فلما كان يحيى ببعض الطريق توسم نصر به غدراً فأرسل إليه جيشاً من عشرة آلاف فقاتلهم يحيى وليس معه سوى سبعين رجلًا، وهزمهم، وقتل أميرهم، وأخذ منهم أموالاً كثيرة، ثم جاءته قوة أخرى فقتلته وجميع أصحابه.

أساء الوليد لولد عمه فضرب سليمان بن هشام مائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، وغرّبه إلى عمان حيث حبسه هناك وأرسل العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى الرصافة ليحصي أموال هشام وولده إلا مسلمة بن هشام، وأن يأخذ عمّاله وخدمه ففعل ذلك، ثم أساء كذلك إلى أولاد عمه الوليد بن عبد الملك.

وأساء إلى اليمانية إذ قتل خالد بن عبد الله القسري حيث سلمه إلى خصمه يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين وكان يقيم بدمشق منذ عام ١٢١هـ فعذبه يوسف حتى مات.

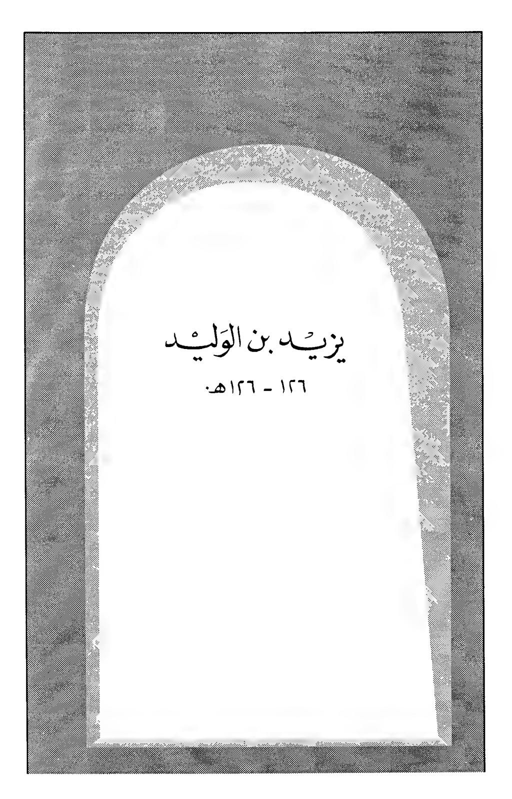
وأساء إلى نفسه إذ بايع لولديه ولم يبلغا سن الرشد بعد. وأسرف في شهواته، وانتهك المحرمات، فثقل ذلك على الناس، ونقموا عليه، وبايعوا سراً ابن عمه يزيد بن الوليد، وكان معروفاً بصلاحه، فنادى يزيد بخلع الوليد الذي كان غائباً بـ (الأغدف) من عمان من جهات الأردن، وقد وضع

نائباً عنه بدمشق خاله عبد الملك بن محمد بن يوسف الثقفي الذي فرّ إلى قطنا وتحصّن بها، واستخلف ابنه على دمشق، واستطاع يزيد بن الوليد أن يدخل دمشق وأن يرسل جماعة من أصحابه بإمرة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك إلى الوليد بن يزيد فقتلوه في (البخراء) في القصر الذي كان للنعمان بن بشير.

وكان مقتله في ٢٨ جمادى الآخرة فكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر تقريباً.

وكان للوليد من البنين الحكم، وعثمان، ويزيد، والعباس، والعاص، وسعيد، وموسى، والفتح، وفهد، وقصي، ولؤي، وواسط، وذؤابة، والمؤمن. وله عدة بنات.

ومن زوجاته عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب. وقد أنجبت له عثمان، وأم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وولدت له سعيداً.



يزيد بن الوليد

١٢٦ - ١٢٦هـ

حَيَاته

ولد يزيد بن الوليد بدمشق عام ٩٠هـ، وأمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، وقد سباها قتيبة بن مسلم الباهلي، هي وأختاً لها فبعثهما إلى الحجاج بن يوسف، فأرسل بهذه إلى الوليد، واستبقى أختها عنده، فولدت هذه يزيد بن الوليد، وقد عرف بالناقص وذلك لأنه أنقص ما زاده الوليد على الأعطيات، ويبدو أن الذي أطلق عليه ذلك ابن عمه مروان بن محمد.

كان رجلاً صالحاً نقم على ابن عمه الوليد بن يزيد بسبب ما انتهكه من حرمات، وقتله لذلك، وكان يقال: الأشج والناقص أعدلا بني مروان، والمراد بالأشج عمر بن عبد العزيز.

بويع للخلافة بعد مقتل ابن عمه الوليد بن يزيد في ٢٨ جمادى الآخرة عام ١٢٦هـ، وتوفي بالطاعون في ٧ ذي الحجة من العام نفسه وبذا تكون خلافته ما يقرب من ستة أشهر، ويكون قد عاش ستاً وثلاثون سنة.

كان يزيد أسمر طويلاً، صغير الرأس، بوجهه خال، وكان جميلاً.

وله من الأولاد: خالد، والوليد وقد قتلهما مروان بن محمد، وعبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وأبو بكر، وعلي، وعبد المؤمن، والأصبغ.

وقد اضطربت الأمور على يزيد، وانتشرت الفتن، واختلفت كلمة بني مروان.

وخرج سليمان بن هشام بن عبد الملك بعمان من سجن الوليد،

فاستولى على الأموال والأرزاق، ثم جاء بعد هذا كله إلى دمشق، وصار يلعن الوليد فأكرمه يزيد، وردّ إليه أمواله التي أخذها منه الوليد، وتزوج أخته أم هشام.

وثار أهل حمص، وساروا إلى دار العباس بن الوليد بن عبد الملك فهدموها، ففر العباس منهم إلى دمشق، وبدأ أهل حمص يطالبون بدم الوليد بن يزيد، وعدوا خليفتهم ابنه الحكم بن الوليد، فخلعوا أميرهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك، وقتلوه وابنه، وأمّروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين، وكتبوا إلى الأجناد يطلبون الأخذ بثأر الوليد فأتتهم أعداد، ثم ركب أبو محمد السفياني في أهل حمص، وسار إلى دمشق فتلقاهم سليمان بن هشام بجيش كثيف أرسله إليهم يزيد بن الوليد، وجعل جيشاً آخر بإمرة أخيه عبد العزيز بن الوليد يرابط عند ثنية العقاب (الثنايا)، وتركزت جماعة أخرى عند عقبة (السلّيمة)، وجاء أهل حمص فالتقت القوتان في سفوح الجبل، وهُزم أهل حمص وقُتل منهم الكثير، وأخذ السفياني أسيراً، ثم بايعوا يزيداً.

وثار أهل فلسطين وبايعوا يزيد بن سليمان بن عبد الملك، وبايع أهل الأردن محمد بن عبد الملك بن مروان فأرسل إليهم يزيد جيشاً من أهل الشام وحمص بإمرة سليمان بن هشام فانتصر عليهم، وبايعوا يزيداً.

وعزل يوسف بن عمر الثقفي عن العراق، وأرسل مكانه منصور بن جمهور، وضم إليه مع العراق السند، وسجستان، وخراسان وفر يوسف إلى أرض البلقاء من نواحي الأردن، فأحضره الخليفة، وحاسبه، وسجنه.

ثم عاد يزيد فعزل منصور بن جمهور عن العراق وولى مكانه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وأقر نصر بن سيار على خراسان.

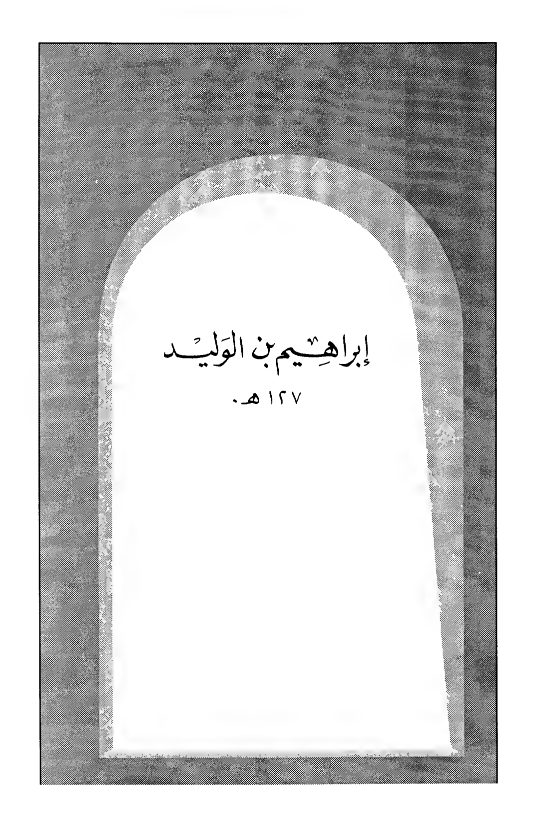
وكان مروان بن محمد بأرمينيا وأذربيجان يحرض على المطالبة بدم الوليد بن يزيد، وسار نحو دمشق فلما بلغ حرّان أظهر الموافقة وبايع.

ثم إن الخليفة يزيد بن الوليد قد عزل عن الحجاز يوسف بن محمد الثقفي، وولى عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز.

وبايع يزيد من بعده لأخيه إبراهيم بن الوليد ثم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك. ولم يلبث يزيد أن توفي بالطاعون في ٧ ذي الحجة من العام نفسه ١٢٦هـ.

وبدأت الفتنة في هذه الآونة تظهر بين القيسية واليمانية، ولطالما كانت مجالاً للحماسة في الجهاد، وتسهيلاً لأمور العطاء، وجمع المقاتلين فلما ضعف الجهاد انقلبت إلى عصبية نتنة، وبدأت تطول قرونها.

وظهرت الفتنة بشكل خاص في خراسان حيث كانت اليمانية تشكل أكثر جندها، وحيث كان لآل المهلب بن أبي صفرة الأزدي أنصار، وخصوم لمن خضد شوكتهم، ثم جاء أسد بن عبد الله القسري، وأخونه خالد بن عبد الله والي العراقين فعادت إلى اليمانية قوتهم، إلا أن يوسف بن عمر الثقفي قد أذلّ القسريين، وغدا نصر بن سيار الكناني والي خراسان وهو من القيسيين. وكان أول من أثار الفتنة بخراسان رجل عرف باسم الكرماني حيث ولد بكرمان.



إبراهيم بن الوَليد

١٢٧ هـ.

حَيَاته

لما وصل خبر وفاة يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد، وهو في حرّان بالجزيرة وبيعة إبراهيم بن الوليد سار نحو دمشق وخلف ابنه عبد الملك بن مروان بن محمد في أربعين ألفاً يرابطون في الرقة، فلما كان في قنسرين وعليها بشر بن الوليد اصطدما وطلب مروان أخذ البيعة لنفسه فمال إليه من جند قنسرين يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية، وأسلموا له بشراً وشقيقه مسروراً، فحبسهما، وسار ومن معه من جند الجزيرة وقنسرين نحو حمص وكان أهلها قد رفضوا بعد يزيد بيعة إبراهيم ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

أرسل إبراهيم بن الوليد إلى حمص عبد العزيز بن الحجاج فحاصرها فلما اقترب منها مروان فكّ عبد العزيز عنها حصار واتجه نحو مروان، فخرج أهل حمص وانضموا إلى مروان، وجرت معركة بين الطرفين انتصر فيها مروان الذي كان يدعو إلى بيعة ولدي الوليد بن يزيد وهما: الحكم، وعثمان، وكانا سجينين في دمشق.

ولما وصلت فلول جيش إبراهيم بن الوليد إلى دمشق رأوا قتل من في السجن فقتل الحكم، وعثمان ولدا الوليد، ويوسف بن عمر الثقفي، ودرأ عن نفسه السفياني إذ لم تلبث أن وصلت جيوش مروان إلى دمشق ودخلتها.

وهرب منها إبراهيم بن الوليد، وسليمان بن هشام، وقتل عبد العزيز بن الحجاج.

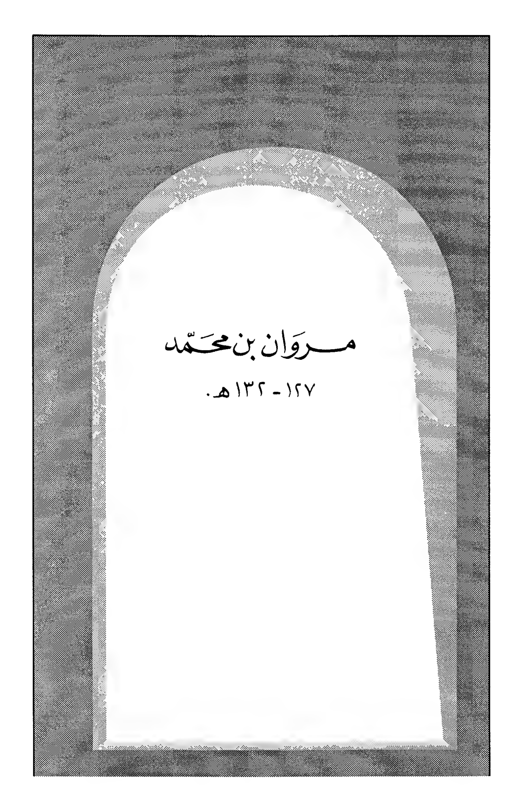
وخرج في الكوفة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي

طالب فقد شجعه بعض الناس على الدعوة لبني هاشم وقد وقعت الفتنة في بني مروان ففعل بينما هو قادم لزيارة الأمير عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في الكوفة لا للدعوة إلى البيعة إلا أن أصحابه قد خذلوه فهزم ففر إلى المدائن ومنها إلى الجبال فغلب عليها.

وكان إبراهيم بن الوليد يكنى بأبي إسحاق، وأمه أم ولد، وقد بقي في الحكم مدة سبعين يوماً فقط، ثم خلع، وبقي حتى أصيب عام ١٣٢هـ.

وله من الأولاد: إسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، وموسى، وعبيد الله.





مـروان بن محمّد

١٢٧ - ١٣٢ هـ.

حَيَاتُه

ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم عام ٧٢هـ بالجزيرة، . وكان أبوه محمد بن مروان والياً عليها، ويكنى مروان بأبي عبد الملك، ويلقب بالحمار لجرأته في الحروب، كما يلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم.

كان مروان أبيض، ضخم الهامة، بليغاً، وكاتبه عبد الحميد الكاتب المشهور.

غزا أرض الروم عام ١٠٥هـ وفتح مدينة قونية، كما قام بعدد من الغزوات، وهو أمير أرمينيا وأذربيجان بعد أبيه:

ومن أولاده: عبد الله، وعبيد الله، وعبد الملك، وعبد الرحمن، وعبد الغفار، وعثمان، وأبو عثمان، ويزيد، وأبان، ومحمد.

بويع بالخلافة بعد دخوله دمشق في الأيام الأواخر من عام ١٢٦هـ، واستمر خليفة حتى أواخر عام ١٣٢ حيث زال بزوال دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس، فكانت خلافته ما يقرب من ست سنوات، وعاش ما يقرب من ستين عاماً.

لما دخل دمشق فرّ منها إبراهيم بن الوليد، وأخذ سليمان بن هشام ما في بيت المال من أموال وهرب أيضاً، وثار والي الوليد بن يزيد السابق عليها على عبد العزيز بن الحجاج فقتله. وجيء إلى مروان بولدي الوليد بن يزيد وهما: الحكم، وعثمان مقتولين، وكذا يوسف بن عمر فدفنهم، وجاء أبو محمد السفياني الذي كان مسجوناً معهم، وقد نجا من القتل ـ فسلم على مروان بالخلافة، فعندما أجابه مروان: مه، ادعى أن

الغلامين قد جعلاها له من بعدهما، ثم بايعه وبايعه أهل حمص ودمشق، فاختار الأمراء للولايات. ولما استقرت له الأمور بالشام رجع إلى حرّان فأقام بها. ثم إن إبراهيم بن الوليد قد طلب منه الأمان فأعطاه إياه، وكذلك سليمان بن هشام الذي جاءه مع أهل تدمر وبايعه.

ولم يستقر في حرّان سوى ثلاثة أشهر حتى قامت ضده الحركات، فبدأ ينتقل من مكان إلى مكان يقضي على هذه، ويقاتل تلك.

ثار أهل حمص فجاء إليهم بجيش ومعه إبراهيم بن الوليد، وسليمان بن هشام فدخل حمص، وأعلن أهلها الطاعة إلا أنه قتل عدداً منهم.

وثار أهل غوطة دمشق، وأمّروا عليهم يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، فبعث إليهم مروان جيشاً انتصر عليهم، وأحرق بلدة المزة، وعدة قرى، وقتل يزيد بن خالد القسري.

وثار ثابت بن نعيم في أهل فلسطين، وسار إلى طبريا فحاصرها، فأرسل إليهم مروان من فك الحصار عن طبريا، وتتبعهم أبو الورد أمير جيش مروان إلى فلسطين.

ورجع مروان إلى الجزيرة عن طريق تدمر، وفي الرصافة استأذنه سليمان للبقاء فيها ريثما يعافى من مرضه فأذن له، واشتغل مروان بقتال الخوارج. وجاءت سرايا من الجند إلى الرصافة، وكان مروان قد أرسلها بمهمات إلى عدة جهات، فكلّم رؤساؤها سليمان في أخذ البيعة لنفسه وخلع مروان ففعل فبايعه الجند، وسار إلى قنسرين، وكاتب أهل الشام ويزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق فأرسل إليهم مروان جيشاً بإمرة عيسى بن مسلم فالتقى الطرفان بأرض قنسرين فاقتتلوا وجاء مروان بنفسه إلى المعركة فانتصرت قواته، وقتل إبراهيم بن سليمان بن هشام أكبر أولاد أبيه، وفرّ سليمان إلى حمص، واحتمى فيها، وساعده أهلها، وجمع حوله فلول جيشه، وجاء مروان إليهم وحاصرهم واستمر الحصار عشرة أشهر،

وانفلت سليمان بن هشام بجماعة من الجند نحو تدمر، ثم إن أهل حمص قد نزلوا على حكم مروان بعد ذلك الحصار الطويل.

ووقعت العصبية في العراق فكانت القيسية مع النضر بن سعيد الحرشي، واليمانية مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وحدث بين الطرفين صراع إلا أنه توقف بسبب الاتفاق على قتال الخوارج، ثم ولى مروان عام ١٢٩ على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، وعزل ابن عمر بن عبد العزيز عنها.

وقاتل يزيد بن عمر بن هبيرة أنصار عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب، وقد استولوا على منطقة الجبال فهزمهم وأسر عدداً منهم، من بينهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الذي كان معهم.

ورجع إلى خراسان الحارث بن سريح وكان قد لجأ إلى بلاد الترك فكتب إليه يزيد بن الوليد وأعطاه الأمان فعاد عام ١٢٧هـ، وبعودته كادت أن تقع فتنة بسبب مفارقته للوالي نصر بن سيار، ولكن الحارث قتل بعد مدة، كما وقعت الفتنة بين نصر بن سيّار والكرماني، ثم توسعت بين القيسية التي دعمت الوالي نصر بن سيار وبين أتباع أبي مسلم الخراساني الذي اعتمد على اليمانية.

وقتل نصر بن سيّار خصمه الكرماني فانضم أنصاره إلى جند أبي مسلم فزاد عدد أنصاره، وأتباع الدعوة العباسية.

الخوارج

خرج في العراق سعيد بن بهدل الشيباني أثناء فتنة مقتل الوليد بن يزيد، واجتمع حوله عدد كبير من الخوارج فجاءتهم جيوش الخليفة، وبدأ القتال بين الطرفين، ومات سعيد بن بهدل بالطاعون، واستخلف مكانه الضحاك بن قيس الشيباني الذي قاتل أهل العراق وانتصر عليهم، وقتل عدداً كبيراً من بينهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز أخو أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، ثم دخل الضحاك الكوفة بعدما انتصر على أهلها، وجاء أمير العراق إلى الكوفة فجرت بين الطرفين معارك واسعة انتقل بعدها الأمير إلى واسط، وسار وراءه الضحاك فحاصره فيها، فراسله الأمير بأن يفك الحصار، ويسير إلى الخليفة فإن انتصر عليه تبعه، ففعل، وسار الضحاك إلى الموصل فدخلها، وقتل نائبها، وبلغ ذلك مروان وهو محاصر لحمص فكتب إلى ابنه عبد الله أن يتتبع الضحاك فسار إليه، وهو محاصر نصيبين، وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها الضحاك، وكان قد استخلف مكانه رجل يدعى «الخيبري»، وتبع الخوارج سليمان بن هشام بن عبد الملك وأهل بيته ومواليه ومن معه من جيشه، فسار إلى الخوارج مروان بنفسه، وكان في القلب، وعلى ميمنته ابنه عبد الله، وعلى الميسرة إسحاق بن مسلم العقيلي، والتقى الجمعان وشدّ الخوارج على القلب فهزم مروان وهو عليه، وثبتت الميمنة والميسرة فحملوا على الخوارج فأزالوهم عن مواضعهم وقتل الخيبري، وفرّ أصحابه. وتولى أمر الخوارج بعده شيبان بن عبد العزيز اليشكري فاقترح عليه سليمان بن هشام أن يعتصم بالموصل، فتحصن بها، وسار إليه مروان، وجرت هناك معارك بين الجانبين استمرت سنة كاملة.

وكتب مروان إلى والي العراق الجديد يزيد بن عمر بن هبيرة أن يقاتل الخوارج وأن يتتبعهم حيثما ساروا، وقد تمكّن يزيد أن يستعيد الكوفة منهم، وأن يقضي على قسم كبير منهم، ثم أرسل سرية لدعم مروان في حصاره لمدينة الموصل، وعندما جاءت النجدة لمروان ترك الخوارج الموصل وساروا إلى حلوان، ومنها إلى الأهواز، فلحقتهم قوات ابن هبيرة حتى قضت على معظمهم، أما سليمان بن هشام الذي كان معهم فقد سار وأهله إلى السند عن طريق البحر. وعاد مروان بعدها إلى حرّان فأقام بها.

وخرج أبو حمزة الخارجي، وسار إلى الحج عام ١٢٩هـ، وهادن أمير الحجاز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وبعد الموسم سار نحو المدينة ودخلها عام ١٣٠هـ واستولى عليها، وبقيت، بيده ثلاثة أشهر، وفرّ منها أميرها عبد الواحد، فأرسل مروان قوة من أهل الشام إلى المدينة فالتقت مع الخوارج بوادي القرى فهزمتهم ودخلت المدينة، ثم تابعت سيرها إلى مكة فاليمن فخرج إمامها عبد الله بن يحيى الذي كان أبو حمزة الخارجي يدعو له ويقاتل باسمه، وقد تمكن أهل الشام من قتل عبد الله بن يحيى هذا. فولى مروان على الحجاز محمد بن عبد الملك بن مروان.

وخرج في خراسان أيضاً شيبان بن سلمة الخارجي عام ١٣٠هـ فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني قوة استطاعت قتله والقضاء على أتباعه.

الدّعوَة العبّاسِيّة

أرسل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بكير بن ماهان إلى خراسان عام ١٢٦هـ، فقويت شوكتهم هناك، واجتمعت جماعة من الدعاة العباسيين بإبراهيم بن محمد عام ١٢٧هـ، وقدموا له خمس أموالهم.

أرسل إبراهيم بن محمد أبا مسلم الخراساني إلى خراسان، وطلب من شيعته الطاعة له عام ١٢٨هـ، فلم يطيعوه فرجع إلى إبراهيم فأعاده، وطلب منه أن يعتمد على اليمانية إذ أن أمير خراسان نصر بن سيار كان يعتمد على القيسية.

وطلب إبراهيم بن محمد من أبي مسلم الخراساني التوجه إليه عام ١٢٩هـ فسار نحوه، وبينما هو في بعض الطريق جاءه كتاب آخر يطلب منه العودة إلى خراسان، وأنه قد بعث له راية النصر، وعليه أن يعلن الدعوة بعد أن كانت سرية.

أظهر أبو مسلم الخراساني الدعوة، وطلب من سليمان بن كثير أن يصلي العيد بالناس فأرسل إليهم نصر بن سيار قوة، ولكن جند أبي مسلم كانوا قد استولوا على هراة، وكشف أمر إبراهيم بن محمد من الرسائل ومعروف أنه يقيم بالحميمة، فبعث مروان إلى واليه على دمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك أن يقبض عليه، ويقيده، ويرسله إليه، فأرسل إلى نائبه على البلقاء فقبض على إبراهيم في الحميمة فأرسله إلى دمشق، ومن هناك سُيّر إلى حران حيث سجن حتى مات في السجن أو قتل في صفر عام ١٣٢هـ، وقد أوصى عند اعتقاله من بعده لأخيه عبد الله بن محمد وأمره أن يسير إلى الكوفة مع أعمامه فأنزلهم أبو سلمة الخلال في

دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم وكتم أمرهم ٤٠ يوماً، وما زال ينتقل بهم حتى تم لهم فتح البلاد، ثم بويع للسفاح، ثم تمكن أبو مسلم من دخول مرو قاعدة خراسان وانتزاعها من يد نصر بن سيار عام ١٣٠هـ، كما أخذ أبو مسلم مدينة بلخ، وهكذا أصبح القسم الشرقي والجنوبي من خراسان بيد أبي مسلم الخراساني الذي أرسل جنداً وراء نصر بن سيار الذي اتجه غرباً يتعقبه، والتقى الطرفان بطوس، وانتصر جند أبي مسلم وقتل قائد قوات نصر، وهو ابنه تميم. وأرسل يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق مدداً إلى نصر بن سيّار ولكن جند بني أمية قد هزموا ثانية. وتوفي نصر بن سيار عام١٣١ هـ قريباً من مدينة همدان.

سار قحطبة بن شبيب قائد جند أبي مسلم قاصداً يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق، وهزم يزيد أمام قحطبة الذي اتجه نحو الكوفة ليدخلها فتبعه يزيد، وجرت معركة بين الطرفين قتل فيها قحطبة، وقد تولى قتله معن بن زائدة، واستخلف قحطبة مكانه ابنه الحسن الذي سار نحو الكوفة فإذا بمحمد بن خالد بن عبد الله القسري قد خرج فيها ودعا لبني العباس، وأخرج عاملها من جهة ابن هبيرة، فاتجه عندئذٍ الحسن بن قحطبة إلى واسط. وقتل ابن هبيرة في المعارك الدائرة بين الطرفين.

أما مروان فقد غادر حران عام ١٣١هـ ونزل على نهر الزاب الكبير بين الموصل وإربيل.

ولما علم أهل الكوفة بمقتل إبراهيم بن محمد أخرج نقباء الدعوة العباسية السفاح عبد الله بن محمد، وبايعوه، وكان أول من بايعه أبو سلمة الخلال الذي قيل عنه إنه أراد نقل البيعة إلى آل علي. وخرج السفاح إلى المسجد فخطب في الناس، ثم أخذ البيعة منهم، ثم خرج وعسكر خارج الكوفة بعد أن استخلف عليها عمه داود، وبقي في معسكره شهراً أرسل خلال ذلك الوقت القادة ردءاً لجنده في كل جهة.

سار عون بن أبي يزيد نحو نهر الزاب الكبير حيث التقى بمروان، كما جاء عبد الله بن علي عم السفاح، وقاد القتال، وانهزم أهل الشام،

وغرق عدد كبير منهم في النهر من بينهم إبراهيم بن الوليد الخليفة المخلوع، وفرّ مروان إلى حران فمكث فيها قليلاً، ثم استخلف عليها ابن أخته أبان بن يزيد، وانطلق منها هارباً، وهو زوج ابنته أم عثمان، فلما وصل عبد الله بن علي إلى حران استقبله أبان وأعطاه الطاعة فأقره على عمله، وتبع مروان.

سار مروان إلى قنسرين ومنها إلى حمص، وحاول أهل حمص قتله، ولكنهم هزموا، ووصل إلى دمشق عن طريق بعلبك، وكان والي دمشق ختنه الوليد بن معاوية بن مروان. وانتقل مروان من دمشق إلى فلسطين في طريقه إلى مصر. ووصل عبد الله بن علي إلى دمشق وقد كثر جنده إذ جاءه أخوه عبد الصمد على رأس أربعة آلاف مقاتل وهو في قنسرين، وجاءه أخوه صالح على رأس عشرة آلاف مقاتل إلى دمشق، فحاصر الجميع دمشق عدة أيام ثم دخلوها وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً، وأبيحت ثلاث ساعات.

وجاء كتاب أبي العباس إلى عمه عبد الله بن علي يطلب فيه إرسال صالح بن علي على رأس قوة لمتابعة مروان، وأن يبقى عبد الله بن علي والياً على الشام ففعل.

دخل مروان مصر، وتتبعه العباسيون حتى قتلوه في كنيسة (أبو صير) في ٦ ذي الحجة عام ١٣٢هـ، وبقتل مروان زالت دولة بني أمية، وقامت دولة بني العباس.

أما أوضاع الجناح الغربي من العالم الإسلامي يومذاك فقد امتدت إليه الفتنة أيضاً كما امتدت إلى المشرق حتى غمرته.

مصر: بعد أن سيّر هشام بن عبد الملك أمير مصر حنظلة بن صفوان إلى المغرب عام ١٢٤هـ أعطى أمر مصر إلى حفص بن الوليد الحضرمي فبقي أميراً عليها حتى عام ١٢٧ حيث عزل، وأعطيت الإمارة إلى حسان بن عتاهية التجيبي ولكنه لم يبق سوى ستة عشر يوماً، وأعيد حفص بن الوليد

الحضرمي فبقي عاماً في عمله ثم عزل وقتل؛ وتولى أمر مصر الحوثرة بن سهيل الباهلي مدة ثلاث سنوات (١٢٨ ـ ١٣١) ثم أرسل لقتال العباسيين فلقي هناك مصرعه، وولى مروان بن محمد على مصر المغيرة بن عبيد الله الفزاري الذي توفي عام ١٣٢ لكنه استخلف ابنه الوليد مكانه فلم يقره مروان، وأرسل إلى مصر عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، وهو آخر من تولى أمر مصر لبني أمية.

إفريقية: زادت الفتنة بين العرب والبربر، وقوي أمر الخوارج، وضعف أمر بني أمية فاستغل هذا الضعف عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع فاستولى على المنطقة، وسار نحو القيروان فحاصرها فخرج منها أميرها حنظلة بن صفوان، واتجه نحو الشام عام ١٢٧هـ، ودخلها عبد الرحمن. وتمكّن عبد الرحمن من قمع حركات الصفرية من الخوارج، وبعد مدة توفي عبد الرحمن بن حبيب فتنازع آله على الإمارة، إذ اختلف حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب وعمه عبد الوارث بن حبيب، وناصر عبد الوارث الخوارج ليؤيدوه ضد ابن أخيه، وبهذا الاختلاف، وضعف الدولة الأموية في الشام عادت إلى الخوارج قوتهم، وتمكنوا من السيطرة على أكثر أجزاء المغرب.

الأندلس: وكثرت الفتنة في الأندلس، فكانت بين العرب والبربر، وبين القيسية واليمانية من العرب، وبين الشاميين والحجازيين.

فعندما أرسل هشام بن عبد الملك والي مصر إلى إفريقية أمره أن يرسل أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي إلى الأندلس، فسار إليها من تونس، وأقام بقرطبة، ولما رأى أن الشاميين قد كثروا في الأندلس رغب في تفرقتهم، فأنزل أهل دمشق (البيرة) لشبهها بها، وسماها دمشق؛ وأنزل أهل حمص (إشبيلية)، وسماها حمص، وأنزل أهل الأردن (رية)، وسماها الأردن، وأنزل أهل فلسطين (شذونه)، وسماها فلسطين.

كان أبو الخطار أعرابياً متعصباً لقومه من اليمانية، وهذا ما أسخط القيسية عليه فثاروا عليه بإمرة الصميل بن حاتم، وجرت معارك بين الطرفين

انتصرت فيها القيسية فعزل أبو الخطار، وتولى أمر الأندلس ثوابة بن سلامة إلا أن الأمر كله كان بيد الصُميل بن حاتم.

انتقل أبو الخطار إلى (باجة)، والتفت حوله اليمانية، فعادت الفتنة من جديد بين القيسية واليمانية وجرت الحرب، وقتل أبو الخطار حيث قتله الصُميل بن حاتم عام ١٣٠هـ، وتولى أمر الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وبقي حتى جاء عبد الرحمن الداخل الأموي فقاومه يوسف والصميل فقتلا.



المراجع والمصادر

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المتوفى عام ٤٦٣هـ طبعة دار الفكر ـ بيروت عام ١٣٩٨هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) المتوفى عام ٨٥٢هـ طبعة دار الفكر ـ بيروت عام ١٣٩٨هـ.
- الأعلام: خير الدين الزركلي طبعة دار العلم للملايين ـ بيروت ١٣٩٩هـ.
- أغاليط المؤرخين: محمد أبو اليسر عابدين.
- البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
- تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ ـ دار الفكر بيروت ١٣٩٩.
- تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم حسن ـ مكتبة النهضة المصرية طبعة عام ١٣٨٤هـ.
- جمهرة أنساب العرب: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ الطبعة الرابعة.
- الخوارج في المغرب الإسلامي: محمود إسماعيل ـ دار العودة ـ بيروت ١٣٩٦.
- الدولة العربية وسقوطها: يوليوس ولها وزن ترجمة يوسف العش ـ مطبعة الجامعة السورية عام ١٣٧٦هـ.
- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١هـ.
- صفوة الصفوة: عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧هـ ـ دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد ـ الهند ١٣٥٥هـ.
- الطبقات الكبرى لابن سعد: محمد بن سعد المتوفى عام ٢٣٠هـ ـ دار بيروت عام ١٣٩٨هـ.
- في تاريخ المغرب والأندلس: أحمد مختار العبادي ـ دار النهضة العربية ـ بيروت عام ١٣٩٨هـ.

- الفيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي ـ دار المعرفة بيروت ١٣٩١هـ.
- قادة فتح المغرب: محمود شيت خطاب ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- الكامل في التاريخ: عزالدين ابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ دار صادر ـ دار بيروت طبعة ١٣٨٥هـ.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى عام ٣٤٦هـ ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- مشاهير أعلام الأمصار: ابن حياب البستي المتوفى ٣٥٤ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٩هـ.
- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفى ٦٢٦هـ ـ دار صادر ـ دار بيروت.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردى المتوفى عام ٨٧٤هـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.

فهرس الموضوعات